العدد (٥٣٣) محرم ١٤٣١هـ - يناير ٢٠١٠م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

# الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

الشيخ الأشقر في ذمة الله

## قبسات من الهجرة

## التخطيط الثقافي.. ضرورة

## العبرنة الشاملة.. لغة مصنوعة لدولة مسروقة!

# من إصدارات الوعي الإسلامي

**ضمن سلسلة إصدارات مجلة «الوعي الإسلامي» يأتي الإصدار الحادي عشر كتاب: «التجديد في التفسير .. نظرة في المفهوم والضوابط» للدكتور عثمان أحمد عبدالرحيم، وهو كاتب مهتم بالنظر في مناهج المفسرين، وفي الكتاب بعض التصورات العلمية حول منهج التجديد في علم التفسير، وانعكاس ذلك على فهم القرآن الكريم.**

# الافتتاحية

## الرسالة الخالدة

العالم تتصارع فيه العقائد والأفكار، وتتصادم فيه المبادئ والآراء، وقد اقتضت سنة الله في هذا الكون أن يكون الصراع بين الخير والشر صراعًا مستمرًا ما استمرت الحياة، وأن الإسلام الذي هو خير كله اختاره الله دينا للبشرية.

ولقد تعاهد الله تعالى البشرية بالمرسلين، وختم الرسالات برسالة خاتم المرسلين محمد، عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهي الرسالة الخالدة التي نقلت الناس من الفوضى إلى البناء.

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم
إلا على صنم قد هام في صنم
والأرض مملوءة جورًا مسخرة
لكل طاغية في الخلق محتكم

رسالة الإسلام أيقظت العالم وجعلته يمضي قدمًا وهي شاملة جامعة، وهي البديل عن الفوضى، وأسباب انتشارها السريع بساطة تعاليمها وخلوها من التعقيدات الغيبية الغامضة المعقدة، ولأن الدخول في الإسلام سهل مُيسَّر، لابد أن يتوافر فيه شرط الإيمان بالله وحده، والإيمان بالحنيفيّة السّمْحة.

إن هذه الرسالة الخالدة شملت العلوم والحضارة، فانطلق علماء المسلمين يحققون نتائج مذهلة في العلوم والطبيعة والإنسانية حتى غيروا مسار تلك العلوم قرونا وقرونا، كما تشهد ميادين العلم في الرياضيات وعلم النبات والطب وفروعه، ونشأت في ظل الإسلام وترعرعت علومُ المعاجم والموسوعات وكتب التاريخ وعلم الاجتماع.

فرسالة الإسلام هي الفطرة التي يقر بها النظام الإلهي الذي يحفز إلى العمل وإلى التنافس الذي هو سبب العمران.

وقد حرص الإسلام على تمييز المسلمين عن سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل، وهو دين عالميٌّ ورسالته موجَّهة لأهل الأرض جميعًا، فهو البديل عن الفوضى المعاصرة التي وصلت إلى درجة الشقاء على الرغم من التقدم المادي والعلمي، فالأمراض النفسية والقلق والجنون والانتحار والمخدرات والجريمة، كلّها، دلائل، على هذا الشقاء، سواء وعى الناس ذلك أو لم يعوه.

فدخول الألوف في الإسلام إشارة إلى مستقبلٍ معيّن يريده الله تعالى، وإشارةٌ إلى بدء إدراك الناس ووعيهم، ولو كان المسلمون اليوم على المنهج الرباني السليم والرسالة الخالدة الصحيحة فلربما كان الداخلون في الإسلام اليوم بالملايين بدلا من الألوف، ولكن البشارة تؤذن بالعودة إلى الإسلام الصّحيح، وعودةُ الأمة إلى رسالتها مبشِّرٌ بالخير لكلّ البشرية.

**رئيس التحرير**

**فيصل يوسف العلي**

# في هذا العدد

منهج تعلم الفقه 10

حوار مع د.عبدالله التطاوي 40

العبرنة الشاملة 52

ثقافة التلفزيون 70

معاقل العلم والعلماء 80

مسجد الحنابلة 86


الوعي الإسلامي

مجلة كويتية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

العدد ٥٣٣

العام السابع والأربعون

محرم ١٤٣١ هـ

يناير ٢٠١٠ م

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير

سليمان خالد الرومي

التحرير

تمام أحمد الصباغ

د. طاهر خذيري

عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك

أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني

الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦

فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

المجلة غير ملتزمة

بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.

والمقالات لا تعبر بالضرورة

عن رأي الوزارة أو المجلة.



التوزيع

وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات

هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ ٢١٢٠٣٢٩ ( ١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات

•الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذيبة . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.

## موضوع الغلاف

لقد كانت الهجرة إيذاناً بأن صولة الباطل مهما عظمت فمصيرها إلى زوال، وإيذانًا بأن الحق، وإن طال مغيبه، لابد له من يوم تحطم فيه الأغلال وترتفع فيه كلمته.

## داخل العدد


| | |
|---|---|
| التخطيط الثقافي | ١٤ |
| المعاصرة والعقل الإسلامي | ٣٤ |
| اللفظ والمعنى | ٤٤ |
| بين الشافعي والشيباني | ٥٠ |
| الإسلام لكل العصور | ٥٤ |
| في فقه التراث | ٩٨ |


## كلمة العدد

# ابدأ بنفسك

الإنسان المسلم في حاجة دائمة للعناية بنفسه، والحرص على ما ينفعها في دينها ودنياها، فما أجمله حين يتهدى بعبارة «ابدأ بنفسك»، فيعمل بمقتضاها، ويسير على سُننها، وهي لفظةٌ نبويّةٌ شريفةٌ قالها رسول الله ﷺ في مواضع عدّة ومُحصّلها أنّ المرء إذا اعتنى بنفسه وبصَّرها، وبدأ بإصلاحها، صار قدوةً وإمامًا ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾ (الأنبياء: 73)، فيحوز أولًا رضا ربه سبحانه وتعالى، ويسلم من الناقد البصير ثانيًا، وتجد دعوته الى الخير قبولًا عند سامعيه ثالثًا، فقد جاء رجلٌ إلى ابن عباس فقال له: إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر! قال: أوبلغت؟- أي: تستطيع ذلك؟ - قال: أرجو، قال: فإن لم تخش أن تفتضح بثلاثة أحرف في كتاب الله عز وجل فافعلْ، قال: وما هنّ؟ قال: قوله عز وجل ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: فالحرف الثاني؟ قال: قوله عز وجل ﴿كبرُ مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، فالحرف الثالث؟ قال: قول العبد الصالح شعيب عليه السلام ﴿وما أريدُ أنْ أُخالفكُمْ إلى ما أنهاكُم عَنْهُ﴾ أحكمت هذه الآية؟ قال:لا، قال: فابدأ بنفسك.

وما أحسن ما قال الشاعر:

يـأيـهـا الـرجـلُ المـعَـلـمُ غـيـرَه
هـلاّ لـنـفـسـك كـان ذا الـتـعـلـيـمُ
ابـدأ بـنـفـسـك فـانـهـهـا عـن غـيـهـا
فـإذا انـتـهـت عـنـه فـأنـت حـكـيـمُ
فـهـنـاك تُـعـذَرُ إن وعـظـتَ ويُـقـتـدَى
بـالـقـول مـنـك ويُـقـبـل الـتـعـلـيـمُ
لا تـنـه عـن خُـلُـق وتـأتـي مـثـلـه
عـارٌ عـلـيـك إذا فـعـلْـت عـظـيـمُ

«الوعي الإسلامي»

## الأسعار والاشتراكات

**الأسعار**

الكويت : ٥٠٠ فلسا • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريال • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

**الاشتراكات**

- **داخل الكويت :** للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- **الدول العربية :** للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- **دول العالم :** للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- **للمؤسسات :** ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

ترسيخًا لمبدأ الشراكة في العمل الإسلامي وتأصيلًا للفكر الإسلامي الوسطي

# وزارة الأوقاف تقيم مؤتمر «السابقون الأولون»

تمام أحمد

**برعاية كريمة من صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح الذي أناب عنه في افتتاح المؤتمر نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون القانونية وزير العدل وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية المستشار راشد الحماد، عقدت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، ومبرة الآل والأصحاب في دولة الكويت، مؤتمر «السابقون الأولون» وذلك خلال الفترة من ١٥-١٦ ذوالقعدة ١٤٣٠هـ الموافق من ٣-٤ نوفمبر ٢٠٠٩م.**

في حفل الافتتاح الذي حضره أكثر من ستين شخصية عالمية وجمهور كبير من العلماء والمفكرين، أكد وزير الأوقاف المستشار راشد الحماد أن القرآن الكريم حرص على الربط بين الصف الأول من المؤمنين السابقين بقصدهم وصدقهم، المتقدمين بجهادهم وفهمهم، وبين اللاحقين من المؤمنين الراغبين في اتباع الصفوة المختارة واقتفاء أثرها، وبين أن الحاجة اليوم ماسة جدا لتوضيح صورة أولئك السابقين الأولين ممن عادتهم قريش والعرب والعالم ومن لم يؤمن ولم يصدق آنذاك، وهم الذين من يعادينا فيهم العالم الملحد اليوم ويحاربنا من أجلهم، وأشار إلى أن الأيام الطوال والدهور المتلاحقة تزيدنا تعلقًا بهم وحاجة إليهم أكثر من تأثيرها في البعد عنهم، وأوضح أنه لا يوجد مسلم فوق البسيطة ينتمي للإسلام انتماء حقيقيا غير مزيف إلا ويكنُّ لهم كل تقدير واحترام، وأكد أن المؤتمر جاء ليقرب بيننا في الأحكام والمواقف كما قرب بيننا في الأبدان والمقاعد، وليوحدنا في الفهم والرؤى، كما وحد بيننا

في الأحاسيس والمشاعر، ولتبرز بواسطته القواسم المشتركة الكثيرة بيننا، وخلص إلى أن مجرد التفافنا حول هذا العنوان الكبير لهو أكبر دليل على أن ملف السيرة النبوية والصحابة الكرام وآل البيت النجباء من أهم ملفات حياتنا أثرًا وأشدها حاجة إلى تكرار النظر وترداده في كل مناسبة ومحفل.

## الإنسان بحاجة إلى نماذج

من جانبه أكد وكيل الوزارة د.عادل الفلاح أن الحياة المعاصرة بتعقيداتها وانطلاقها أبرزت أن الإنسان دائمًا بحاجة إلى نماذج وأمثلة من بني جنسه يكونون له قدوة ونبراسًا، ويقفون أمامه سادة وأبطالًا، ويتعامل معهم باحترام، ويعتبرهم الأسوة الحسنة في الأخلاق، والقدوة الصالحة في التشريع، والنموذج الكامل في الحياة والتطور، وبيَّن أن للحرية نماذج، وللعدالة رموزا، ولحقوق الإنسان أبطالا وللسبق في التطور والاختراعات روادا، وهؤلاء السابقون الأولون في نظر الأمم الشرقية والغربية سخرت لهم إبداعات، وبُذلت من أجلهم الأموال، وسطرت أسماؤهم في حضارتنا وتاريخنا ودِيننا لما نرى لهم من فضل وما نعرف عنهم من أصالة.

## الصحابة طراز فريد

أما الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة د.عبدالله التركي فأشار إلى أن العالم الإسلامي الذي نعتز به وننتسب إليه قد دخل معظم شعوبه في دين الإسلام على أيدي الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم من حكام المسلمين، وبين أن الصحابة طراز فريد وقدوة صالحة لمن جاء بعدهم من التابعين ومن بعدهم، ولن تستطيع الأمة أن تخرج جيلًا أهدى سبيلًا ولا أقوم على الإسلام من جيلهم، وهم الجسر الواصل بين الأمة وبين مصدر شريعتها، وبين أن الانتقاص من الصحابة الكرام لم يجلب على المسلمين إلا الضعف من جراء الشقاق والصراع الداخلي المستهلك لطاقة الأمة المادية والفكرية في غير المجال الذي يجب أن تصرف فيه، والعقلاء من مختلف فئات المسلمين يدركون أن حجم التحديات التي تواجهها أمتنا في هذا العصر يستدعي العمل على توطيد الصلة بين مختلف فئاتها على أسس من الروابط المشتركة التي تحميهم تحت مظلة الإسلام.

## الحماد: المسلم الحقيقي يكن للصحابة وآل البيت كل تقدير واحترام

### لبنة في بناء صرح اجتماعي

وفي كلمته في افتتاح المؤتمر قال رئيس مبرة الآل والأصحاب د.عبدالمحسن الخرافي: إنه من المؤسف أن يكون هناك جهل كبير في الأمة المسلمة بتراث أولئك السابقين وهم من هم في سابق فضلهم، لذلك أنشئت مبرة الآل والأصحاب في الثالث والعشرين من شهر فبراير عام ٢٠٠٥م.

وبين د.الخرافي أن المؤتمر جاء ليناقش قضية مهمة من قضايا تراثنا العريق لندرك جيدا الظروف التي تدور في واقعنا المعاصر، ونعرف بدقة الأحداث الخطيرة التي تمر بها أمتنا، وأن هذا المؤتمر جاء ليكون لبنة في بناء صرح اجتماعي سليم ونسيج وطني قوي يتحدى التيارات الهدامة ويستعصي على محاولات التشوية والتشويش، بعيدًا عن النعرات الطائفية والجدل العقيم.

### التوصيات

وبعد مناقشات مستفيضة لمحاور المؤتمر من خلال البحوث التي استعرضها الباحثون وناقشتها ورش العمل التي كانت مصاحبة للمؤتمر أوصى المؤتمر بما يلي:

### في مجال الدعوة

١- التأكيد على فضل آل البيت والصحابة الكرام وعدالتهم وسمو مكانتهم وعلو قدرهم، لسابقتهم في الإسلام ونصرة رسول الله ﷺ والدفاع عن الدين والسعي لنشره في أرجاء المعمورة.

٢- موالاة آل البيت والصحابة ومحبتهم ونصرتهم والدفاع عنهم والترضي عنهم فهم أفضل الأمة وخير القرون.

٣- التزام الوسطية والاعتدال في الموقف من الآل والأصحاب، والحذر من الغلو والجفاء.

### في مجال التربية والثقافة

أكد المؤتمر على أهمية الاستفادة من مآثر الآل والأصحاب في تربية الأجيال ودعا إلى:

- إدخال ثقافة الحب والتوقير للآل والأصحاب وبيان مآثرهم في المناهج والمناشط الدراسية من قصة ودورات تدريبية وعلمية ومسابقات وأسابيع ثقافية وكراسي علمية مع تشجيع التفرغ الدعوي لعدد من الدعاة للتخصص في هذا المجال.

- تقوية أوجه التعاون بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والملتقى العالمي للعلماء والمفكرين المسلمين ومبرة الآل والأصحاب وغيرها من الجهات ذات الاختصاص من حيث تبادل الخبرات ومد جسور التواصل وتكامل الأعمال والمناشط في جميع المجالات العلمية والثقافية والتطوير والتدريب وغيرها.

### وفي المجال الإعلامي

دعا المؤتمر وسائل الإعلام الإسلامية إلى الإسهام في:

- نشر ثقافة الأمة الواحدة بإبراز علاقة الآل والأصحاب في الوسائل الإعلامية.

- تحري الدقة والموضوعية في تناول الأحداث التاريخية، والابتعاد عما يثير الفتنة الطائفية التي تورث المسلمين الفرقة والتناحر.

- إعداد برامج إعلامية للتوعية بتراث الآل والأصحاب لعرضها في وسائل الإعلام المختلفة.

- إنشاء موقع على شبكة الانترنت بلغات كثيرة يعنى بتراث الآل والأصحاب وإبراز مآثرهم والدفاع عنهم.

- تشجيع إقامة مؤسسات تعنى بتراث الآل والأصحاب في البلاد الإسلامية، والإفادة من التجارب القائمة، ومن أبرزها مبرة الآل والأصحاب في دولة الكويت.

### المشروعات العالمية

١- إقامة مؤتمر دوري للجهات والشخصيات المعنية بتراث الآل والأصحاب.

٢- تشجيع ودعم المشروعات التي تساهم في تحقيق توصيات المؤتمر.

٣- السعي إلى تأسيس مشروع وقفي لدعم الإصدارات العلمية والإعلامية في تراث الآل والأصحاب.

٤- تكوين لجنة تنفيذية من الجهات التي نظمت المؤتمر والمشاركين فيه لمتابعة إنجاز التوصيات العلمية التي أوصى بها المؤتمر.

# العلامة أ.د. محمد سليمان الأشقر في ذمة الله

**محمد بن سليمان بن عبدالله بن محمد (وهو الأشقر) بن سليمان دغلس، من أهل «برقة» (١) بفلسطين ردها الله إلى أحضان المسلمين. وبرقة قرية من قرى نابلس تبعد عنها إلى الشمال مسافة ١٦ كيلومترًا تقريبًا. تقع في منطقة جبلية على سفح جبلين أحدهما شرقيها وآخر شماليها، وتحيط بها بساتين الزيتون والتين وبها من سائر الأشجار المثمرة، وتمتاز ببرودة الهواء وطيبه، وبها عيون كثيرة طيبة عذبة الماء.**

قال فيها مصطفى الدباغ: «ومن يشرف عليها ير منظرًا من أجمل المناظر في الوطن الحبيب...»، وأهلها في أغلبهم من «الحفاة» وهم فرع من «الروقة» من قبيلة «عتيبة» على ما ذكرته دائرة معارف البستاني في مادة «أحفاة». وذكره «إحسان النمر» في كتابه «تاريخ جبل نابلس»، وذكره أيضًا مصطفى الدباغ في كتابه المذكور آنفًا، ومن الحفاة آل دغلس الذين أنتمي إليهم.

وقد مر برقة الشيخ عبدالغني النابلسي سنة (١١٠١هـ) وقال فيها:

**ضفنا ببرقة من أعمال نابلس**
**أهل المكارم والأخلاق والشيم**
**قومًا لقد جمع الله الكريم لهم**
**بين القرينين بش الوجه والكرم**

ولدت ببرقة في ١٦ من أيلول سنة ١٩٣٠م، ونشأت في كنف والدي، وكان والدي رحمه الله أميا، إلا أنه كان يحب أهل العلم والإيمان ويبرهم، وحرص على تعليم أولاده وحملهم على مكارم الأخلاق، وكان أكثر عمله في الزراعة، ووالدتي حفظها الله كذلك في حرصها على تربية بنيها على حب العلم والدين، وقد قرأت القرآن دون معلم.

التحقت بالدراسة الابتدائية بقريتنا، وتخرجت منها عام ١٩٤٤م، ثم التحقت بالدراسة الثانوية بالمدرسة الصلاحية بنابلس حيث مكثت بها أربع سنين، ذهبت بعدها إلى المملكة العربية السعودية فعملت في التدريس الابتدائي سنة في مدينة بريدة (١٣٦٩هـ) وعملت في التجارة بالرياض (١٣٧٠هـ) وعندما افتتح معهد الرياض الديني الثانوي (١٣٧١هـ) بادرت إلى الالتحاق به الى أن تخرجت في كلية الشريعة بالرياض (١٣٧٦هـ) في الفوج الأول، وأخذت فيها العلم عن مشايخ أجلاء، فأخذت التفسير وأصوله وأصول الفقه على الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والفقه والعقيدة على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والفرائض على الشيخ عبدالعزيز بن رشيد، والحديث على الشيخ عبدالرحمن الإفريقي، والنحو على الشيخ عبداللطيف سرحان والشيخ إبراهيم الضبع، وغيرهم، رحم الله الموتى منهم وحفظ الأحياء وجزاهم عنا أحسن الجزاء، ثم عملت في التدريس بمعهد «شقراء» العلمي، وأسندت إليّ إدارته عام (١٣٧٧هـ) نقلت بعدها للتدريس بكلية الشريعة بالرياض، وكنت أول من درس بها من خريجيها، فبقيت كذلك من (١٣٧٨- ١٣٨٣هـ)، ثم التحقت بالتدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة فبقيت فيها سنتين، إلى أن أراد الله تعالى لي النقلة إلى أرض الكويت حيث أسندت إلي أمانة مكتبة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية اثني عشر عامًا من سنة (١٣٨٥- ١٣٩٧هـ) حصلت في أثناء ذلك على درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة الأزهر.

العلامة الأشقر بصحبة الشيخ أحمد الغنام

وكانت رسالتي للدكتوراه بعنوان «أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية».

وهي فيما يتعلق من علم أصول الفقه بالسنن الفعلية، وكانت بإشراف الشيخ عبدالغني عبدالخالق حفظه الله، وقد يسر الله تعالى فيها كشف كثير من غوامض هذا العلم، والحمد لله على فضله.

ولما أن استأنفت وزارة الأوقاف بالكويت مشروع الموسوعة الفقهية نقلت للعمل مع العاملين فيه. والله المسؤول أن يأخذ بيد القائمين عليه حتى يكمل على خير الوجوه.

وشاركت في لجنة الفتوى الشرعية بالكويت كعضو من أعضائها منذ سنة ١٩٦٩م، والله المستعان أن يتم علينا نعمته بالهداية والسداد ويوفقنا لصالح القول والعمل ويختم لنا عليهما.

## مؤلفاته

أثرى الشيخ - رحمه الله- المكتبة الإسلامية بعدد من المؤلفات المتميزة، منها:

### في التفسير

١- زبدة التفسير من فتح القدير (وهو مختصر تفسير الشوكاني).

٢- نفحة العبير من زبدة التفسير.

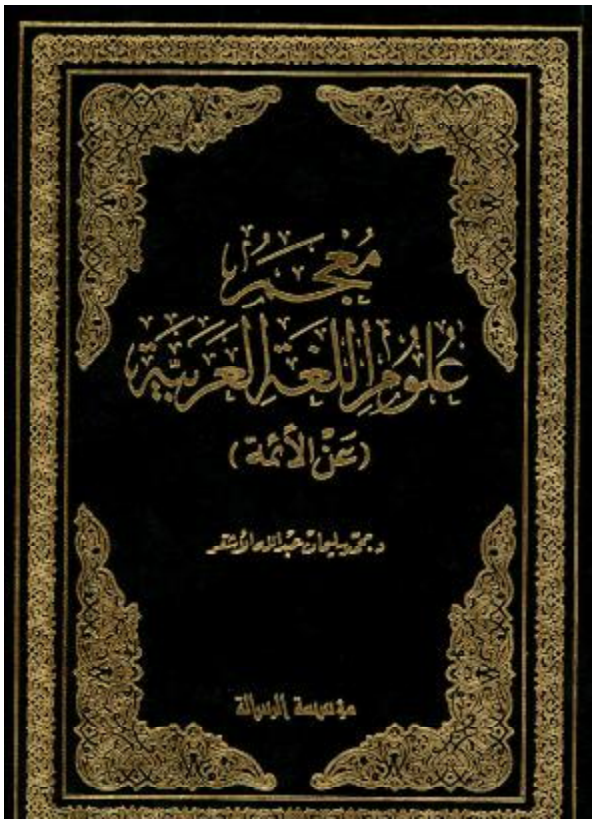


### في الفقه وأصوله

٣- أفعال الرسول ﷺ ودلالتها في الأدلة الشرعية (أطروحة الدكتوراه في مجلدين).

٤- الواضح في أصول الفقه للمبتدئين.

٥- الفتيا ومناهج الإفتاء.

٦- معجم المغني لابن قدامة، بالاشتراك مع آخرين.

٧- المجلي في الفقه الحنبلي.

٨- أبحاث اجتهادية في الفقه الطبي.

### أبحاث فقهية في قضايا الزكاة المعاصرة

١- الأصول المحاسبية للتقويم في الأموال الزكوية.

٢- أحكام المال الحرام، وحكم إخراج زكاته.

٣- الإلزام بالزكاة في الظاهر والباطن من الأموال، ومشمولات كل منهما في العصر الحديث.

### بحوث فقهية في قضايا اقتصادية معاصرة

١- التأمين على الحياة، وإعادة التأمين.

٢- بدل الخلو.

٣- بيع المرابحة كما تجريه المصارف الإسلامية.

٤- الأسس والقواعد التي تحكم النظام التجاري في الإسلام.

٥- الامتيازات الاتفاقية على الديون.

٦- عقد السلم.

٧- عقد الاستصناع.

٨- آداب الاستقراض.

٩- النقود وتقلب قيمة العملات.

١٠- صيانة الأعيان المؤجرة، وتبعية ذلك على المؤجر والمستأجر.

### أبحاث فقهية متعددة ظهرت في الموسوعة الفقهية الكويتية، منها:

مادة: «تصوير»، «دعوة»، «ذكر»، «بيت المال»، «مصحف»، «لحية»، «رق»، «أرض الحوز».

### في الفهرسة:

١٢- الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمي.

١٣- فهرس المغني في الفقه الحنبلي لابن قدامة.

١٤- فهرس البداية والنهاية، ونهاية البداية، لابن كثير.

### في الدعوة والتزكية

١٥- كيف تدخل في الإسلام؟ (مختصر للدعاة).

١٦- فقه العمل للآخرة، وجزاء الأعمال وموازنتها في الكتاب والسنة.

### في اللغة

١٧- معجم علوم اللغة العربية.

### تحقيقاته لكتب التراث

١- نيل المآرب شرح دليل الطالب في الفقه، للشيخ عبدالقادر التغلبي الشيباني الحنبلي (مجلدان).

٢- حاشية الشيخ عبدالغني اللبدي على نيل المآرب.

٣- رسالتان في الصحابة للحافظ العلائي، وهما:

أ- إجمال الإصابة في أقوال الصحابة.

ب- منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة.

٤- مجموع بالمناقلة والاستبدال بالأوقاف، لابن قاضي الجبل الحنبلي وآخرين.

٥- المستصفى من علم الأصول، للغزالي (مجلدان).

### مؤلفات مخطوطة

١- الجامع العزيز في الحديث.

٢- الأربعون حديثًا الطوال، جمع ودراسة وشرح.

٣- لهجة برقة ووادي الشعير من قرى فلسطين (معجم مصنف).

٤- مجموعة أبحاث أصولية.

٥- ترميز كتب الحديث (بحث مقدم إلى مؤتمر السنة في قطر ١٤١٠هـ).

٦- مشاركة النساء في الولايات العامة والجزئية ومجالس الشورى والمجالس النيابية.

٧- صحيح مسند الإمام أحمد على شرط البخاري.

٨- التفسير المنير مختصر تفسير ابن كثير.

### وفاته

وافته المنية يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة لعام (١٤٣٠هـ) الموافق ١١/١٥/ ٢٠٠٩م، ودفن يوم الاثنين بعد صلاة الظهر بمسجد مقبرة سحاب في ضواحي مدينة عمان بالأردن.

رحمة الله على الشيخ محمد الأشقر، وجزاه الله على ما قدم للأمة خير الجزاء وأوفاه، وبارك له في مؤلفاته.

**أكثر هذه الترجمة بقلم الشيخ (رحمه الله) وقد أضفنا لها الجديد من مؤلفاته وأبحاثه العلمية.**

**(١) هي بضم الباء، وقد تحدث عنها السيد مصطفى مراد الدباغ في كتابه القيم «بلادنا فلسطين» في القسم الأول من الجزء الخاص بالديار النابلسية ص٤١٣-١٢٤.**

تعليم المتعلم طريق التعلم

# منهج تعلُّم الفقه

التحرير

**من نعمة الله على المرء أن يحبِّب إليه العلم الشرعي، وييسّر له سُبُل طلبه، ويوفقه إلى ذلك، وإنه لعلامة على إرادة الله الخيَر للمرء أن يجد نفسه في حلَقات العلم حاضرًا بروحه، ومستمعًا بأذنه، ومنصتًا بقلبه ووجدانه، سائلا عما لم يفهمه، وقد ثبت في السنة «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدّين» (رواه البخاري).**

**وقد تميّزت الأمة المسلمة بثراء فقهيّ، ونبغ فيها نوابغُ قَلّ أن يوجد لهم نظيرٌ، حتى إنه ليتضاءل أمامهم مَن يوصفون بعباقرة العالم اليوم، ذلك لأنهم لم يقولوا يوما «ربّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين»، وإن الأئمة الذين نفاخر بهم كثُرٌ، ولكن أشهرهم في المجال الفقهي أربعة، هم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، شكلوا أربع مدارس فقهيّة، سُمّيت بالمذاهب، واستقرت من أيام أصحابها إلى يوم الناس هذا.**

وهذه المذاهب الفقهيّة هي اجتهاداتٌ في فهم النصوص الشرعية، قد تصيب وقد تخطئ، ولهذا فالحقّ ليس محصورًا في أحدها لا يخرج عنه، بل الحقّ موزّع عليها جميعًا، ولذلك فقد حظيت هذه المذاهب الأربعة بقبول واسع لدى المسلمين، وجاءت فترات للأمة لا تكاد تجد فيها أحدًا إلا وهو ينتسب لمذهب منها، بل استحوذ كلّ مذهب في غالب الأحيان على مناطق ومواضع شاسعة، فيقال مثلا بلاد كذا جميعها حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنابلة.

## الموقف من المذهبيّة الفقهية

انقسم الناس في «المذهبية الفقهيّة» على قسمين، مغالين فيها متعصّبين لها، ومغالين في رفضها وعدِّها بدعة لا يجوز اتباعها، ويبدو أنّ هذا التوجّه كان ردّة فعل لغلوّ المقلّدة في تقليد الأئمة والتعصب لهم، ولو كان على حساب القرآن والسنة.

والصّواب أنّ المذاهب الفقهية هي حصيلة اجتهادات العلماء من لدن الصحابة إلى الآن، وفيها من العلم الجمّ المبارك الكثير، وشطْبها بجرّة قلم، أو بكلمة نابية عابرة خطأٌ فادح، وعليه فالدراسة المذهبية لأيّ مذهب كانت هي أفضل وسيلة للتفقّه والتمرّس في مجال العلم الشرعي، وعندما نحبّذ للطالب دراسة الفقه المذهبيّ نحبّذ أن يدرس المذهب المنتشر في بلده، لكي يعرف الخلفية الفقهيّة لأعمال وعوائد الناس؛ لأنها كثيرا ما تستند إلى إفتاء علماء المذهب، في حين أنّ مَن لم يتعلم ذلك قد يسارع إلى الإنكار والاستغراب، كما ينبغي أن يستقر في ذهن الطالب وهو يدرس الفقه المذهبي أنه إنما يدرسه من أجل التفقه والتمرس فيه ومعرفة طرق استدلال واستنباط الفقهاء، بلا تعصّب ولا غرور.

## الطريقة المثلى في تعلم الفقه

اتبع المسلمون في تدريس العلوم الشرعية في العصور الماضية طريقة أصيلة، تقوم على أساس تحفيظ الطالب منذ الصغر متونًا في علوم الشريعة؛ ممّا يشتمل على مبادئ العلوم وأساسياتها، بالإضافة إلى تحفيظ القرآن الكريم وبعض الأحاديث السهلة، ثم تدرّجوا بالطالب في تعليم العلوم الشّرعيّة إلى أن تتحقق له الملكات العلميّة المطلوبة، وهذه هي الطريقة المثلى في تكوين الملكات العلمية للطالب وتقوية الذاكرة عنده.

والطريقة التي كان يتبعها المدرسون للفقه في جميع المذاهب الفقهية أن يبدأ المدرس مع الطالب بتحفيظه مختصرًا في فقه المذهب. ثم ينتقل بعد ذلك إلى كتاب أوسع يحكي اختلاف الفقهاء في المذهب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تبين أدلة الآراء المختلفة في المذهب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى دراسة الكتب التي تحكي مذاهب السلف والمدارس الفقهية المشهورة.

ودراسة الفقه على مذهب معيّن في بداية التحصيل العلمي هي اللائقة بالطالب، شرط أن يكون بعيدًا عن التعصب، وذلك لضرورة هذه الطريقة للتأصيل والتأسيس في علم الفقه، ومما يؤيد هذا أنّ عبدالرحمن ابن خلدون- رحمه الله- (في المقدمة صـ:٥٣١-٥٣٢) ذكر التدرّج في التعليم، وقال ما ملخّصه: اعلم أنّ تلقين العلوم للمتعلّمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج، شيئًا فشيئًا، يلقى عليه أولًا مسائل من كلّ باب من الفن هي أصول ذلك الباب، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال، ويراعي في ذلك عقله

واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم إلا أنها جزئية وضعيفة، ثم يرجع به إلى الفن ثانية، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها، ويستوفي الشرح والبيان، ويخرج عن الإجمال، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن، فتجود ملكته، ثم يرجع به وقد شذا، فلا يترك عويصًا ولا مهمًّا ولا مغلقًا إلا وضحه، وفتح له مقفله، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته، هذا وجه التعليم المفيد.ا.هـ بتصرف

وقبل أن نبيّن المنهج الدراسي للفقيه يلزم أن نشير إلى حقيقة غاية في الأهمية، وهي أن الفقيه الذي يريد أن يكون الفقه سجية عنده، لابد أن تكون اللغة العربية عنده ملكة، بحيث يفهم نصوص الشريعة من غير تكلف ولا توقف، وعليه فينبغي له أن يشرع في دراسة متن من متون النحو، مثل «الآجرّوميّة» ثم «قطر الندى»، ثم «الألفية لابن مالك» وشروحها، وذلك حتى تحصل له المَلَكة في النحو.

## المنهج الدراسي لتعلم الفقه

من المقومات الأساسيّة للمَلَكة الفقهيّة وجودُ منهاجٍ دراسيٍّ أصيلٍ يتلقّاه المتفقّهُ في مراحل دراسته، ويتمثل في المختصرات والكتب الأساسيّة التي ينبغي له أن يدرسها في أول أمرِ الطلب، وها نحن نضعها مجدولةً بين يدي طالب الفقه، كلٌ حسب مذهبه الفقهيّ الذي عليه نشأ وعلى أصوله تربّى، وقد راعينا في الجدول اختلاف البلدان وتنوّع طرائق المعلمين.

**جدول كتب الفقه المعتمدة في التدريس المذهبيّ بحسب اختلاف البلدان ومراعاة التدرّج**

| المذهب المتّبع | المبتدئ | المتوسط | المتقدّم |
|---|---|---|---|
| الحنفي | - نور الإيضاح وشرحه مراقي الفلاح<br>- متن القُدوري<br>- الوقاية لفضل الشريعة وشرحه لصدر الشريعة<br>- الهدية لابن العماد وشرحه نهاية المراد | - الاختيار لتعليل المختار للموصلي<br>- اللباب في شرح الكتاب للميداني<br>- ملتقى الأبحر للحلبي<br>- كشف الحقائق شرح كنز الدقائق للأفغاني<br>الدرر والغرر لمنلا خسرو | - حاشية ابن عابدين<br>- الهداية للمرغيناني وشروحها<br>- مَجْمَع الأنهر شرح ملتقى الأبحر لداماد أفندي<br>- البحر الرائق شرح كنز الدقائق لابن نجيم<br>-فتح القدير لابن الهمام<br>- بدائع الصنائع للكاساني<br>-المبسوط للسرخسي |
| المالكي | - نظم المرشد المعين (ابن عاشر) وشروحه<br>- متن العشماوية<br>- مختصر الأخضري | - الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني<br>- جامع الأمهات لابن الحاجب<br>-أقرب المسالك للدردير<br>- تدريب السالك إلى أقرب المسالك لعبدالعزيز بن حمد آل مبارك، وشرحه تبيين المسالك<br>- التلقين والمعونة كلاهما للقاضي عبدالوهاب | - مختصر خليل، مع شروحه وحواشيه<br>- النوادر والزيادات لابن أبي زيد<br>- البيان والتحصيل لابن رشد الجد<br>- الذخيرة للقرافي<br>- تحفة الحُكّام لابن عاصم وشروحها |
| الشافعي | - المقدّمة الحضرمية لبافضل وشرحه<br>-متن سفينة النجاة لسالم الحضرمي وشرحه<br>- متن الغاية والتقريب لأبي شجاع مع شرحه الإقناع<br>- نظم الزُّبد لابن رسلان<br>-نظم نهاية التدريب للعمريطيّ | - المنهاج للنوويّ وشروحه، النهاية للرّملي، والتّحفة لابن حجرالهيتميّ، والمغني للخطيب | - روضة الطّالبين للنووي<br>- المهذّب وشروحه، المجموع، والبيان للعمراني<br>- نهاية المطلب للجويني<br>-الحاوي الكبير للماوردي |
| الحنبلي | - بداية العابد وشرحه للبعلي<br>- أخصر المختصرات لابن بلبان وشروحه<br>- دليل الطالب للشيخ مرعي الكرمي<br>- زاد المستقنع | - نيل المآرب على دليل الطالب للتغلبي<br>-منار السّبيل شرح الدليل لابن ضويان<br>-الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي | - منتهى الإرادات للفتوحي وشرحه<br>- الإقناع للحجّاوي وشرحه<br>-غاية المنتهى لمرعي الكرمي وشرحه<br>- الإنصاف للمرداوي<br>- الفروع لابن مفلح<br>- المغني لابن قدامة |

من صور الحياة العلمية في الكويت

# «مدرسة السعادة للأيتام»

التحرير

**صفحة من صفحات العمل التطوّعي بدولة الكويت التي امتازت بالعطاء، والبذل، والحب، وعمل الخير.**

**مدرسة السعادة: هي تلك المدرسة العظيمة التي تُعَدُّ من أهم المؤسسات التعليميَّة في دولة الكويت مطلع القرن العشرين.**

## مؤسس المدرسة

هو المحسن المفضال شملان بن علي بن سيف بن محمد الدراج، ولد، رحمه الله، في الحي الشرقي من مدينة الكويت، في عام (١٢٨١هـ الموافق: ١٨٦٤م)، ونشأ في بيت عز وجاه وثراء، تعلم على يد الشيخ أحمد ابن محمد بن محمود القطان، حيث تتلمذ معه على الشيخ عدد من أبناء الكويت منهم: سالم بن مبارك الصباح (حاكم الكويت)، وأخوه الشيخ ناصر بن مبارك الصباح، والشيخ عيسى القناعي (قاضي الكويت)، رحمهم الله جميعًا.

وبعد أن توفي والده نهض لإدارة عمل الأسرة بهمة ونشاط، ونما ماله وكثر حتى أواخر العشرينيات من القرن العشرين، حيث كسدت تجارة اللؤلؤ، ووقع في ضائقة مالية كبيرة.

تمتع شملان بعلاقة واسعة مع الشخصيات البارزة في العالم العربي والإسلامي، فكانت له علاقة وطيدة مع الملك عبدالعزيز آل سعود، وحكّام قطر والبحرين، وزعماء القبائل المجاورة لدولة الكويت، وشغل عضوية كل من: «المجلس الاستشاري»، «مجلس المعارف»، «لجنة الصنف»، وحرص رحمه الله على الأعمال الخيرية بمختلفها ومنها: إرساله لطلاب العلم للدراسة خارج الكويت، وبناء المساجد وعمارتها، فبنى مسجد «المطبة»، ومسجد «علي الشملان»، وساهم ببناء مسجد «سعد أخو ناهض»، فكان رحمه الله محسنًا، مفضالًا، كريمًا، مضيافًا، جوادًا.

توفي رحمه الله في عام (١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م)، عن عمر ناهز (٨٣) عامًا، وخلّدت الدولة اسمه بتسمية إحدى مدارس الكويت وأحد وشوارعها باسمه، رحمه الله رحمة واسعة.

## تاريخ وأسباب تأسيس المدرسة

أسس شملانُ المدرسة في عام (١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م)، وأطلق عليها اسم «مدرسة السعادة» ليكون قريبًا من اسم أخته «سعيدة» التي أحبها كثيرًا.

ويعود سبب تأسيسها إلى حبه وحرصه على طلب العلم، واهتمامه بالأيتام والفقراء، وأحوالهم، بالإضافة إلى رغبته بتدريس أبنائه فيها، ولعل إدخال مادة الإنجليزي إلى منهاج المدرسة المباركية، واعتراض أهالي منطقة الشرق عليه، كان من أهم الأسباب

الدافعة لبناء هذه المدرسة.

شجعه الكثير من فضلاء الكويت، حيث شكروه وآزروه، فلما علِمَ الشيخ عبدالعزيز العلجي برغبة شملان بتأسيس هذه المدرسة، أرسل إليه رسالة يشكره فيها على هذا التأسيس المبارك، ومما جاء فيها:

«لحضرة من سلّمت لمجده الأمثال، واقتدت بفضله الأفاضل... وكان الحقيق بقول القائل:

**نميل على جوانبه كأنّا**
**نَميل إذا نميل على يمينا**
**ونأتيه لنَخْبُرَ حالتيه**
**فنخبر منهما كرمًا ودينا**

.... فقد بلغني أنه ثبت لكم العزم التام على بناء مدرسة للأيتام، فلا زلت يا أبا المجد موفقًا لأمثال هذه الآثار الحميدة في الحال والمال، ولا زلت كما قال الشاعر:

**إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد**
**تلقاها عُرابَةُ باليمين**

## مقر المدرسة

تطلّ المدرسة على البحر مباشرة في الحي الشرقي بدولة الكويت في «فريج ابن خميس»، في الجهة الغربية من وزارة الصحة حاليًا، وهي عبارة عن طابقين، في الدور الأول عدد (٤) غرف، وممرات، وهي مخصصة للطلاب الصغار، وفي الدور الثاني غرفتان، وسطح كبير.

## افتتاحها

افتُتحت مدرسة السعادة عام (١٣٤٣هـ- ١٩٢٤م)، بحفل كبير حضره العديد من رجالات الكويت، وعلمائها، وممن حضر هذا الافتتاح الشيخ عبدالله الخلف الدحيَّان عالم الكويت وقاضيها.

وقد أثنى الزائرون عليها، لما رأوا من جهد متميز من المدرِّسين والطلّاب، كما أصبح للمدرسة علاقة وثيقة مع العلماء من داخل وخارج الكويت، وقامت المدرسة بالاشتراك في مجلة الهلال، وأصبح للمدرسة متبرعون من أهل الخير يقدمون لها الأموال مشاركة مع مؤسسها شملان لتواصل عطاءها ونجاحها.

## طلابها

كان عدد طلاب المدرسة في بدايتها ما يقرب من (٤٠) طالبًا، وكان معظمهم من الأيتام الذين قَدموا من المدرسة المباركيَّة، والمَدرسة الأحمديَّة، والكتاتيب، ووُزعوا في أربعة فصول، ثم ارتفَع عدد الطلاب ليبلغ (٢٥٠) طالبًا، ثلثهم من الأيتام والفقراء، وعدد منهم من أبناء عائلة الشملان، والعدد الآخر من أبناء التجار والمقتدرين، وكان تعليمهم فيها بالمجَّان، بل كان يُصرَف لهم ملابس لكسوة الصيف والشتاء، ومواد غذائية شهرية، ومن طلاب

هذه المدرسة

١- خالد صالح حمد الرومي، رحمه الله تعالى.

٢-المربي الفاضل السيد/ أحمد علي بوكحيل، رحمه الله.

٣-المؤرخ الكويتي الكبير السيد/ سيف مرزوق الشملان، حفيد مؤسس المدرسة.

٤- النوخذة/ يعقوب خلف اليتامى وإخوانه، إبراهيم وخليفة، وكانوا أيتامًا.

وغيرهم من أبناء الكويت الكرام.

## ناظر المدرسة

تم اختيار الشيخ أحمد الخميس الجبران، ليكون ناظرًا ومديرًا للمدرسة، وطُلب إليه أن يختار مدرسين لديهم الخبرة والكفاءة لتعليم الأبناء.

قسَّم الشيخ الخميس الطلابَ إلى قسمين بحسب السن، وتولى بنفسه تدريس الطلاب الكبار، بالإضافة إلى إشرافه على المدرسة.

دَرَس الشيخ أحمد الخميس، رحمه الله، بمدينة الزبير في العراق، ثم رجع إلى الكويت ليتلقى العلوم الشرعية على «خاله» الشيخ عبدالله الخلف الدحيان، رحمه الله، ثم درَّس في مدارس الزبير في بداية طريقه العلمي، ولمَّا عاد إلى الكويت درَّس في عدة مدارس فيها مثل «المباركية، العامرية، السعادة، كشك الصقر»، كما تولى الإمامة في مسجد البدر خلفًا لخاله الدحيان، ثم عُيّن قاضيًا في المحكمة الشرعية في العام (١٩٦١)، ثم وكيلًا للمحكمة الكليّة في العام (١٩٦٤)، ثم مستشارًا في محكمة الاستئناف العليا في العام (١٩٦٦م)، بالإضافة إلى عضويته في المجلس البلدي.

توفي رحمه الله في العام (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

## المدرّسون

تعاقب على التدريس فيها عدد من المدرسين والعلماء الذين تم اختيارهم بعناية، منهم:

١- الشيخ عيسى خليفة الجيران، (ت: ١٣٥٤هـ).

٢- الشيخ علي بداح المطيري، (ت: ١٣٧٢هـ).

٣- الأستاذ عبدالمحسن عبدالله البحر، (ت: ١٣٧٧هـ).

٤- الملا أحمد سيد محمد عقيل، (ت: ١٣٨٥هـ).

٥- الشيخ عبدالوهاب ابن عبدالرحمن الفارس، (ت: ١٤٠٣هـ).

٦- الأستاذ عبدالقادر عبدالعزيز العثمان، (ت: ١٤٠٨هـ).

٧- الملا عيسى مطر حسن مطر، (ت: ١٤١٥هـ).

٨- الأستاذ أحمد محمد محمد السنان، (ت: ١٤٢٢هـ).

٩- الأستاذ عبدالكريم محمد العثمان البدر، (ت: ١٤٢٣هـ).

١٠- الأستاذ سليمان أحمد علي بوكحيل، (ت: ١٤٢٩هـ).

## المنهج التعليمي

اهتمت المدرسة بتدريس المواد الشرعية، بالإضافة إلى اللغة العربية، والتاريخ الإسلامي، ومبادئ الجغرافيا، وبعد زيارة الشيخ محمد الخضري للمدرسة تم اعتماد تدريس الفقه على المذهب المالكي، بعد أن كان يُدَرَّس كل طالب مذهبه، وكانت الدراسة من الصباح حتى الظهر.

ذاع الحديث عن مدرسة السعادة في الكويت، وفي أنحاء العالم العربي والإسلامي؛ فأرسل العديد من رجالات العلم في العالم رسائل شكر وثناء للقائمين عليها، ومن هؤلاء، الشيخ عبدالوهاب الزيَّاني.

ومن العلماء و الوجهاء الذين زاروا المدرسة:

١- الشيخ المصلح المجاهد عبدالعزيز الثعالبي التونسي.

٢- الوجيه عبدالرحمن إبراهيم القصيبي.

٣- الأديب قاسم الشيراوي.

٤- الأمير سعود بن عبدالعزيز آل سعود وأخوه الأمير خالد.

٥- أمير البلاد الشيخ أحمد الجابر الصباح، رحمه الله.

٦- الشيخ محمد الخضري.

٧- الشيخ حافظ وهبة المصري.

٨- الشيخ محمد رشيد رضا.

## مصاريف المدرسة وضائقتها المالية وإغلاقها

تبرع شملان ببناء المدرسة من أمواله الخاصة، وأوقف أوقافًا خيرية للصرف على رواتب المدرسين، وخصص إحدى سفنه التجارية، ليصرف من أرباحها على المدرسة، كما ساهم غيره من المحسنين في دعمها.

وبعد الكساد الذي لحق بتجارة اللؤلؤ خسر شملان أمواله وتجارته، ولم يستطع الإنفاق عليها، فاضطر إلى إغلاقها في عام (١٩٣٢م)، وجعل مقرها وقفًا على مسجد ابن خميس.

تم فُتحت أبواب المدرسة مجددًا عام (١٩٣٣م)، لتصبح مقرًا لمدرسة «الإرشاد لتعليم الأولاد»، والتي أنشأها الملا قاسم حمادة، والملا راشد حمادة، واستمرت حتى العام (١٩٣٦م)، حيث أسست دائرة المعارف وانصرف الطلاب إلى مدارسها.

## هدم المدرسة

بعد أن توسعت الكويت في شوارعها، وبدأ التنظيم الجديد لها، هُدمت المدرسة في عام (١٩٤٧م)، لتوسيع شارع الميدان الذي يصل إلى البحر مباشرة.

وتابع أبناء الكويت اهتمامهم بهذا الصرح الكبير حتى بعد هدمه، فجسده د.خالد يوسف الشطي في كتابه «مدرسة السعادة للأيتام»، الذي قام فيه بدراسة شاملة لهذه المدرسة ألقى الضوء فيها على كثير من الوثائق والإنجازات، وترجم لصاحبها ومدرسيها.

ناظر المدرسة الشيخ أحمد الخميس الجبران


**المصادر**

١. مدرسة السعادة للأيتام د.خالد يوسف ربيع الشطي.

# التخطيط الثقافي.. ضرورة

د. فاتح ممدوح عبد الحليم

**ربما يستغرب بعض القراء الكرام حقيقة امتداد ميادين ومجالات التخطيط إلى قطاع الثقافة، في وقت يدرك آخرون مدى أهميته، وهم بالتالي لا ينفونه، إنما يثمنون دوره وأهميته في الوصول إلى ثقافة متميزة، مادتها ثقافة نوعية، والمتعامل معها هو المثقف الحقيقي، وأما صانعها فهو المبدع.**

لو حاولنا عزيزي القارئ أن نبسط مفهوم التخطيط الثقافي، لوجدنا أن من معناه وضع استراتيجية أو أجندة حالية أو مستقبلية (قريبة أو بعيدة) تأخذ بالاعتبار ركائز عملية إنتاج أو توليد المادة الثقافية الإبداعية، تلحظ أيضًا تقويم ما أنجز خلال الخطة الثقافية، كل ذلك في سبيل التطوير الثقافي والوصول إلى جيل مثقف قادر على حمل رسالة الثقافة وغاياتها الإنسانية السامية والنبيلة.

## تخطيط الأنظمة والاستعمار

ما من شك بأن الكثير من الأنظمة لها سياسات معينة تجاه ثقافة بلادها، منها أنظمة تركز على ثقافة تدميرية، يعني «بصريح العبارة» أنها تقوم بكل ما لم يقم به المستعمر، وقد جاءت أصلًا لتكمل دوره في هدم البنيان الثقافي، ومثل هذه الأنظمة لها استراتيجيات ترمي في نهاية المطاف إلى نسف الإبداع الحقيقي، والاكتفاء بتلميع مبدعين (أو هكذا تسميهم أنظمتهم) إذ لا ندري ما هي الأسس التي اعتمدتها ولا نعرف المعايير التي استخدمتها في تصنيفها غير الولاء المطلق وتقديم جميع أنواع التنازلات وتأدية كل أنواع الخدمات للأسياد، على أية حال، مثل هؤلاء هم من ضمن خطط أنظمتهم، وبالتالي فإن وجودهم لم يكن عبثًا ولا بالمصادفة، إنهم نالوا رضا واستحسان أسيادهم لما قاموا به من اجتثاث لجذور ثقافة الأصالة.

ولعل ما أعنيه في هذا السياق هو إغراق أسواقنا الثقافية بنتاج (حجم هائل يركز على ثقافة الكم وفي حقيقته أمي أو جاهل بثقافة النوع) مثل هذا النتاج سواء كان كتابًا أو وسيلة إعلام (مسرحاً، سينما) وغيرها من سبل الثقافة يراد به أصلاً الوصول إلى نوع من الأشخاص المؤطرين هم في حقيقتهم غير مثقفين إلا من جانب ثقافة السلطة.

كاتب سوري

## حقيقة فاعلة

اذا كان ذلك هو حال بعض الأنظمة التي تعيش خارج حدود وأسوار العصر، فإن أنظمة أخرى أعطت أهمية كبيرة للثقافة ورصدت الكثير من الإمكانات، فهي تطمح إلى وجود المثقف الحقيقي، وبالمناسبة مثل هذه الأنظمة لم تخطط لـ«مقص» الرقيب إلا في حدود وحالات ضيقة جدًا، بحيث إنها تريد أن تصل إلى مثقف يقتنع بأن ما قد يتعامل معه من مادة ثقافية هو هابط وغير جدير بالمتابعة وأنه من الواجب أن يخرجه من دائرة تعامله.

ولعلي كلما تذكرت مقص الرقيب الخاص ببعض الأنظمة المترهلة أبتسم ساخرًا وأنا أردد: القائم بهذا الأمر يعمل ضمن منظومة تخطط وتعرف أبعاد ما تقوم به، لكن ما يجهله هو أن المتعامل مع المادة المبتورة أو المساء إليها بهذا القص والإلغاء، مثل هذه المادة ستشد الكثيرين وربما تشدني شخصيًا لمتابعتها وقد يكون ذلك من باب الفضول، يعني أن هناك الكثيرين ممن لم

يكن في أذهانهم التعامل مع مثل هذه المادة باتوا الآن أمام أبوابها، وربما دخلوا في عوالمها وتفاعلوا معها بدرجة كبيرة.

أعود إلى نقطة مهمة تتعلق بربط ما أشرت إليه بالتخطيط الثقافي، فبإمكان الرقيب (لو كان مخلصًا للثقافة بالفعل) أن يخطط للوصول إلى حالة أو مرحلة يستطيع من خلالها أن يرد على تلك المادة بطريقة مقنعة توضح للآخر أنها فعلًا ستسيء له إذا ما تعامل معها.

## التخطيط الثقافي ومعاناته

عندما يكون القائمون على عملية التخطيط الثقافي أشخاصًا يتسمون بكفاءات وإمكانات وإبداعات ثقافية، فلابد لخططهم أن ترتكز على أسس موضوعية وصحيحة، مثل هؤلاء بالتأكيد يضعون في مقدمة خططهم مصلحة البلد الثقافية، وفي أذهانهم ملامح غد واعد ومستقبل مشرق يسعون إليه، كل ذلك انطلاقًا من اقتناعهم بأن هذا لا يرسمه أو لا يصله غير المثقف الحقيقي عبر ما يقدم له من مادة جادة وهادفة، أو من خلال ما يصنعه من ثقافة لا تغيب عن فضاءاتها نسمات العلم والاختراع والقيم السامية والنبيلة، أو كل ما هو جديد ويقدم خدمة للمجتمع.

وبعكس ذلك نجد أنه عندما يكون القائمون على التخطيط الثقافي أشخاصًا نفعيين وانتهازيين لا علاقة لهم بالثقافة، اللهم إلا من جانب ثقافة «تسريحات الشعر» أو «السهرات»، إضافة إلى ثقافة كتابة التقارير التي تخدم أنظمتهم.. تقارير علاقتها تنحصر بثقافة الزيف والمكر والخداع، فأية خطط نتوقعها من مثل هؤلاء، وأية لوحات ننتظرها منهم مستقبلًا غير لوحات التضليل وإفساد كل من لم يفسد بعد.

مثل هؤلاء عزيزي القارئ يلحظون في خططهم محاولة التغلغل أو اعتلاء منابر ثقافية نعتز بها أشد اعتزاز، ربما نجح بعضهم في ذلك، وهذا مؤلم ومؤسف لنا ولثقافتنا، وبالمناسبة أقول للقائمين على تلك المنابر: احذروا تلك الأبواق والطبول الجوفاء، فهم دائمًا يرددون «لسنا الوحيدين الفاسدين».

## مفسدو الثقافة

من المفيد لثقافتنا أن نحسن التعامل مع مفرزاتهم (سأكون مخطئًا لو قلت نتاجهم) وأظن أن في ذلك مشكلة ستعترضنا، وأسئلتي: مع أية مكبات للنفايات سنتعامل بحيث أنها تستوعب هذا الحجم أو الكم الذي أتخمنا طويلًا طويلًا؟ ماذا عن تأثيره في المدى القريب والبعيد على بيئتنا الثقافية؟ وما هي أفضل السبل للتخلص من آثاره أو من بقاياه؟

يهمنا أيضًا عملية الوصول إلى ثقافة الآخر والتخطيط للتلاقح معها، فنحن نريد منه فهم ثقافتنا، وعلينا أن نثبت له بأن ما لدينا حسنٌ، في وقت نحترم ما بحوزته، نريد منه أيضًا ألا تأخذه نزعة أو عاطفة ما فيكون حكمه غير صائب على ثقافتنا، وطبعًا يساعد على إنجاز ذلك التخطيط لإيجاد ملحقين ثقافيين حقيقيين، واستبعاد الكثير من الحاليين وإعادتهم إلى مؤسساتهم غير الثقافية أصلًا.

# العلّامة الشيخ فريد الأنصاريّ إلى رحمة الله

**انتقل إلى رحمة الله تعالى مساءَ يوم الخميس ٥-١١-٢٠٠٩ الفقيه والعالم المغربي أ.د.فريد الأنصاريّ، رائد مشروع «مجالس القرآن» بتُركيا، حيث كان في رحلة علاجيّة، وقد نقل جثمان المرحوم إلى بلده المغرب يوم السبت ٧-١١-٢٠٠٩م، وبقلوب حزينة شيِّعت يوم الأحد ٢١ ذي القعدة ١٤٣٠ الموافق ٨ نوفمبر ٢٠٠٩ جنازةَ العلامة الشيخ الدكتور فريد الأنصاري، تغمده الله بواسع رحمته، جموعٌ غفيرة من الناس أتت من مختلف نواحي المغرب، لتحضر جنازة هذا العالم الجليل، حيث أقيمت صلاة الجنازة بعد أداء صلاة الظهر بمسجد الروى بمكناس، حيث امتلأ عن آخره بالمصلين، ثم انطلق الموكب الجنائزي الطويل في جو مهيب نحو مقبرة الزيتون.**

ولقد عُرف الفقيد بعطائه العلميّ والدعويّ، حيث أثْرت مؤلفاته المكتبةَ الإسلامية داخل المغرب وخارجه، وكان آخرها، قبل شهر، كتابه حول «الدين هو الصلاة .. والسجود لله باب الفرج»، بعد كتابه السابق قبل شهور: «الفطرية».

وبفقدان الدّاعية الأنصاري يكون المغرب بهيئاته الرسمية والشعبية والعالم الإسلامي قد فقد منارة من منارات العلم الأصيل.

## سيرة ومسيرة

وُلد الشيخ فريد الأنصاريّ بالجُرْف الرشيدية (جنوب شرق المغرب) سنةَ ١٣٨٠هـ- ١٩٦٠م، وانخرط في سلك الدّعوة العامّة عبر مؤسّسات المجلس العلميّ الأعلى والمحلي بمدينة مكناس المغربيّة، وفي مساره العلميّ حصل الأنصاريّ على إجازة الدراسات الإسلاميّة من جامعة محمد بن عبدالله بكلية الآداب بفاس، ودبلوم الدراسات العليا (الماجستير) في الدراسات الإسلامية تخصّص أصول الفقه من جامعة محمد الخامس بالرباط، ثم دكتوراه الدّولة في الدراسات الإسلامية تخصّص أصول الفقه من جامعة الحسن الثاني بكلية الآداب المحمّدية، والفقيد عضو مؤسِّسٌ لمعهد الدراسات المصطلحية التابع لكلية الآداب والعلوم الإنسانية، وعمل أستاذا لكرسي التفسير بالجامع العتيق بمدينة مكناس، وأستاذا لأصول الفقه ومقاصد الشريعة بكلية الآداب جامعة المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

وتولى أيضا رئاسة «وحدة الفتوى والمجتمع ومقاصد الشريعة» لقسم الدراسات العليا بجامعة المولى إسماعيل بمدينة مكناس.

واتجهت مؤلفاته العلميّة الأخيرة إلى ترسيخ الدعوة لتأصيل العلم الشرعيّ، وإشاعة «مجالس القرآن» وتدبّر «بلاغات الرّسالة القرآنية» أسوةً بالتجربة النّورسيّة.

وإجمالا دعتْ مؤلّفاته العلميّة إلى الانطلاق من القرآن إلى العمران، كما بشّر فيها بعودة الإسلام إلى الحياة العامّة.

■ نقلا عن بعض المواقع في الشبكة المعلوماتية، وبالأخص موقع إسلام أون لاين.

نظرات تحليلية

# المحاولات التجديدية المعاصرة في أصول الفقه

وصفي عاشور أبوزيد
باحث في المركز العالمي للوسطية

يعتبر التجديد الحقيقي فريضة من الفرائض، وضرورة من الضرورات، وسنة من السنن، وطبيعة من طبائع الأشياء، فهو مطلوب في كل شيء، في الماديات والمعنويات، في الدين والدنيا وفي الإيمان، حتى الدين نفسه يحتاج إلى تجديد، وقد روى أبوداود بإسناد صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يَبْعَثُ لهذه الأمة عَلَى رأس كل مائة سنة مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا» (سنن أبي داود)، وهو حديث يصرح بشرعية التجديد في الدين، ويشير إلى أنه فريضة تهدف إلى أن دينها محفوظ يقيض الله له من يحفظه سواء كان فردا أو جماعة، ولهذا ظهر في تاريخنا الحافل من عُرفوا باسم «المجددون»، مثل عمر بن عبدالعزيز والشافعي والغزالي وابن تيمية وغيرهم.

ليس معنى التجديد أن نتخلص من القديم أو نهدمه ونستعيض عنه بمستحدثات مبتكرة، فهذا ليس من التجديد، بل هو تبديد، إنما المراد به الاحتفاظ بالقديم، وترميم ما بلي منه، وإدخال التحسين عليه(١)، ومحاولة العودة به إلى ما كان عليه يوم نشأ، دون المساس بثوابت هذا القديم، أو العبث بخصائصه الأصيلة وطابعه المميز، ولولا هذا ما سمي تجديدا، لأن التجديد إنما يكون لشيء قديم.

وبهذا لا يكون التجديد مناقضا للأصالة، بل إنه- بالحفاظ على جوهر القديم والترحيب بكل جديد لا يتنافى مع الموروث- آية من آيات الأصالة، وعامل من عوامل الحفاظ عليها وإثرائها(٢).

وعلم أصول الفقه من أشرف العلوم الإسلامية، وليس بمعزل عن التجديد، ذلك أن التجديد مشروع في الدين بصفة عامة كما يشير الحديث السابق، وأولى الميادين بالتجديد هو علم الأصول الذي يعتمد عليه علم الفقه المتسم بالسعة والمرونة والذي يضمن للدين النشاط والحركة، ويحتضن كل جديد بالفتوى والبيان.

والدعوة إلى تجديد علم الأصول ليست وليدة العصر الحديث، ولكنّ لها جذورٌ تمتد إلى الماضي، فللغزالي (ت: ٥٠٥هـ) في «المستصفى» و«شفاء الغليل» إشارات تدل على أن طرفا من قضايا هذا العلم تحتاج إلى تحرير القول فيها، ثم جاء الشاطبي في موافقاته فنبه إلى أن في علم الأصول مسائل ليست منه، وأن الركن الثاني من أركان هذا العلم- وهو ركن المقاصد- لم يلق اهتمام علمائه الجدير به، ثم حاول الشوكاني محاولته البارزة في تاريخ التجديد كما ينبئ عنوان كتابه: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول(٣).

وقد أثيرت قضيته في العدد الافتتاحي من «مجلة المسلم المعاصر»، حيث دعت المجلة إلى اجتهاد شامل يعتمد على أصول الإسلام، ولا يغفل حاجات العصر(٤)، وظهرت في عصرنا محاولات عديدة في تجديد أصول الفقه تتعذر الإحاطة بها، بلغت بها بعض الدراسات الأكاديمية نيفا وثلاثين محاولة، تتفاوت في مدى عمليتها واقترابها أو ابتعادها عن معايير التجديد الحقيقية، وتتراوح في أصالتها بين القوة والضعف، والالتزام بسلطان العلم وعدم الالتزام.

وباستقراء هذه المحاولات وُجد أنها أخذت صورا عديدة، منها غير الأصيل، ومنها الأصيل، والذي تميز بالأصالة منه ما اتصل بالشكل والصياغة، ومنه ما اتصل بالمضمون، والأخير منه ما أضاف إلى مسائله، ومنه ما حذف منها، ومنه ما يتصل بإعادة النظر في هيكل العلم، ومنه ما يعود إلى تعميق البحث وتوسيع مداه، ومنه ما انطلق بالعلم إلى مجالات أخرى رحيبة، ليتفاعل معها ويؤثر فيها، إلى غير ذلك من محاولات، وسوف نتحدث هنا عن المحاولات الأصيلة التي التزمت بأصول التجديد وعملت تحت مظلة العلم وسلطانه، أما المحاولات غير الأصيلة فلها حديث آخر.

## محاولات أصيلة في تجديد الأصول

ونقصد بالأصيلة هنا باختصار تلك المحاولات التي ترتكز على أساسيات هذا العلم، كما استقرت أصوله وقواعده على مر القرون، وتسير في مظلته، وتتحدث تحت سلطانه، وهذه المحاولات أيضا ليست بالقليلة، إنما هي كثيرة نقدمها في اتجاهين:

## الاتجاه الأول: إعادة صياغة القديم بأسلوب جديد

وهو اتجاه من اتجاهات التجديد الذي تصاغ فيه مصطلحات هذا العلم وتعريفاته وقضاياه ومباحثه بأسلوب سهل العبارة قريب المأخذ واضح البيان خالٍ من الألغاز والإعجاز.

وقد ظهرت هذه الدعوة على يد مدرسة القضاء الشرعي ودار العلوم(٥)، ثم توالت المجهودات في هذا الطريق، فألف أحمد

**التجديد ليس مناقضاً للأصالة بل هو الحفاظ على القديم والترحيب بكل جديد**

إبراهيم بك «علم أصول الفقه»، وعبد الوهاب خلاف «علم أصول الفقه»، ومحمد أبوزهرة «أصول الفقه»، وعلي حسب الله «أصول التشريع الإسلامي»، كما ساهم الحقوقيون في ذلك من تلامذة خلاف وأبي زهرة وعلي حسب الله، مثل بدران أبوالعنين بدران في «أصول الفقه الإسلامي»، وزكريا البرديسي في «أصول الفقه»، وعبدالكريم زيدان في «الوجيز في أصول الفقه»، وغيرهم.

وفي خط مواز جاءت جهود رجال الأزهر مع دعوة الشيخ محمد المدني لعلماء كلية الشريعة إلى التأليف، وعدم الركون إلى تدريس القديم من المتون والشروح.

وهذا الفريق يرى أن التجديد في أصول الفقه أو في الصياغة الميسرة لمسائله إنما تكون في التحقيق العلمي لما اختلف فيه أهل العلم وعرض القضايا الأصولية عرضا موضوعيا مبسطا، لأنه شائع بين علماء الأزهر أن القسمة العقلية للآراء الأصولية قد انتهت، فلا مزيد ولا رأي جديدا في مسائل الأصول، حيث قد قيل كل ما يمكن أن يقال، فما من رأي يظنه صاحبه جديدا وتكون له وجاهة إلا سنجده عند الأقدمين(٦).

ومن هنا انبرت تلك الأقلام لاختصار مسائل العلم دون الإخلال بمحتواه، مع العبارة السهلة الواضحة، فهذا الشيخ الخضري في أصوله الذي ألفه للتدريس يقول: «بذلت الجهد في أن أجعل ما أمليه عليهم سهل العبارة واضح المعنى، ورأيت أن لا فائدة من إكثار الموضوعات مع استغلاق الألفاظ»(٧).

وهذا الشيخ أحمد إبراهيم بك في أصوله الذي ألفه للتدريس أيضا يقول: «وبعدُ، فهذه مذكرة موجزة في علم أصول الفقه... سلكت فيها طريقة مبتكرة ابتدأتها، رجاء أن ينتفع بها الطلاب نفعا صحيحا، وأن تكون باكورة عمل نافع لطلاب القوانين والشريعة، وأساس بناء صالح لهيكل تشريعي جديد تأتلف فيه الشريعة والقانون في جميع الفروع»(٨).

يضاف إلى هذه المحاولات محاولات بعض المعاصرين دراسة بعض الأبواب بصورة مستقلة في كتاب، لاستيفائه، وذكر الآراء المختلفة حوله، وتحرير محال النزاع، وترجيح ما قوي دليله، وهو اتجاه في أصول الفقه أشبه باتجاه التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

ومن العلماء الذين شاركوا في ذلك د.يوسف القرضاوي في كتابه: «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية»، ود.شعبان إسماعيل في كتابه: «قول الصحابي»، ود.علي جمعة في كتبه: «الإجماع»، و«القياس»، و«الحكم الشرعي»، ود.البوطي في كتابه: «ضوابط المصلحة»، وغيرهم من العلماء.

## محاولة الشيخ محمد الخضري

وسنكتفي في هذا المطلب بإشارات سريعة من كتاب الشيخ الخضري- باعتباره باكورة هذا الاتجاه- تبين طبيعة هذا الاتجاه وقيمته العلمية.

بدأ الشيخ الخضري كتابه بمقدمة تاريخية عن العلم ذكر فيها أن الشافعي أول من صنف فيه، وتحدث عن مباحث العلم وكيف انقسمت إلى أبواب أربعة: الحكم، والأدلة، وطرق الاستنباط، وأحكام المجتهد، ثم بيّن طرق التأليف التي سلكها العلماء في هذا العلم، وهي طريقة المتكلمين، وطريقة الحنفية، وطريقة تجمع بين المتكلمين والحنفية، وذكر مصنفات لكل طريقة تمثيلا لها.

ويعلق الشيخ الخضري على مصنفات الطريقة الثالثة فيقول:

«وهذه الكتب التي عُنيتْ بأن تجمع كل شيء استعملت الإيجاز في عباراتها حتى خرجت إلى حد الإلغاز والإعجاز، وتكاد لا تكون عربية المبنى، وأدخلُها في ذلك كتاب التحرير لابن الهمام، لأنك إذا جردته من شروحه وحاولت أن تفهم مراد قائله فكأنما تحاول فتح المعميات»(٩).

ويذكر الشيخ الخضري منهجه في عرض المسائل فيقول: «والطريقة التي جريت عليها هي أنني أذكر القاعدة أولا- حسبما يقع في نفسي أنه الصحيح- ثم أتبع ذلك ببيان شاف لها، ثم أبرهن على صحتها، ثم أذكر قول المخالفين إن رأيت لخلافهم وجها، ولا أضن على القرطاس بذكر مثال أو أكثر مما ينطبق على هذه القاعدة»(١٠).

ثم يمضي الشيخ ذاكرا حد العلم وموضوعه واستمداده والغاية منه كما هي عادة المصنفين، ثم يقسم الكتاب إلى أبواب أربعة كما ذكرنا من قبل.

ونظرة سريعة على تعريف المصطلحات فقط بين الخضري والقدماء توقفك على مدى الفرق بين الصياغتين، فالخضري يعرف أصول الفقه مثلا فيقول: «أصول الفقه هو القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة»(١١).

أما القدماء فإنهم يقررون ابتداء أن أصول الفقه قول مؤلف من مضاف هو الأصول، ومضاف إليه هو الفقه، ولن نعرف المضاف قبل معرفة المضاف إليه، ثم يعرفون أصول الفقه.

يقول الغزالي: «وقد عرفتَ من هذا أن أدلة الأحكام الكتابُ والسنة والإجماع، فالعلم بطرق ثبوت هذه الأصول الثلاثة وشروط صحتها ووجوه دلالتها على الأحكام هو العلم الذي يعبر عنه بأصول الفقه»(١٢).

وقال الآمدي: «فأصول الفقه هي أدلة الفقه وجهات دلالاتها على الأحكام الشرعية وكيفية حال المستدل بها من جهة الجملة لا من جهة التفصيل»(١٣).

وفي تعريف النسخ قال الخضري: «هو رفع الشارع حكما شرعيا بدليل شرعي»(١٤).

بينما قال الجصاص مثلا: «والنسخ في الشريعة هو بيان مدة الحكم الذي كان في توهمنا وتقديرنا جواز بقائه فتبين لنا أن ذلك الحكم مدته إلى هذه الغاية وأنه لم يكن قط مرادا بعدها»(١٥).

وقال الغزالي: «حده أنه الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بالخطاب المتقدم على وجه لولاه لكان ثابتا به مع تراخيه عنه»(١٦).

ويقول الخضري في تعريف النهي: «هو طلب الكف عن فعل على جهة الاستعلاء»(١٧).

بينما قال الجويني: «النهي قسم من أقسام الكلام القائم بالنفس وهو في اقتضاء الانكفاف عن المنهي عنه بمثابة الأمر في اقتضاء به»(١٨).

إلى غير ذلك من مصطلحات، ناهيك عن طريقة التناول والعرض، وسرد الاختلاف الطويل، وإيراد مسائل لا طائل تحتها، وتفريع المسائل والقضايا، وغير ذلك مما لو تكلمنا عنه لسُوِّدت به صفحات كثيرة.

والحكم على محاولة الخضري في التبسيط والتيسير هو الحكم على أول ما يوضع في أي علم، فقد تجد في أصول الخضري سردا لخلاف طويل لمسألة من المسائل لا أثر عمليا لها، كما تجد مثلا في مسألة التحسين والتقبيح العقليين، وهي مسألة من مسائل علم الكلام، إلا أن الكتاب فتح بابًا مهما لمن أتوا بعده، فاستطاعوا أن يبلغوا مبلغا بعيدا في تيسير مسائل العلم، مع الاقتصار على ما تستدعيه الحاجة في استمداد الأحكام الشرعية من مصادرها، دون إخلال بالمضمون بلغ أوجّه في أصول خلاف وأبي زهرة.

وعلى كل حال فالذين شاركوا في هذا الاتجاه لم يختلفوا في الكيف، إنما تكررت في مؤلفاتهم التعريفات والتقسيمات والمسائل والشواهد، وجاء تفاوتهم في الكم والأسلوب في الصياغة من حيث الإيجاز أو الإطناب والدقة في تناول الموضوعات، ومن ثم لم يقدم هذا الاتجاه تجديدا ذا بال مما دعا بعض المعاصرين إلى مسألة التجديد حتى يتسنى للاجتهاد أن يواجه تطورات الحياة ومشكلاتها.

## الاتجاه الثاني: اتجاه التجديد المحدود والمتناثر

وهو اتجاه يتوقف على الإتيان بجديد في مسائل الأصول نفسها، والقول برأي لم يُسبق إليه، أو على الأقل لا نجده فيما بين أيدينا من كتب الأصول، وهو يكاد يكون نادرا لاسيما بعد انحسار الاجتهاد والتجديد في أصول الفقه، وإنما سمينا هذا المطلب «اتجاه التجديد المحدود والمتناثر» لأن:

■ هذا النوع من التجديد لا يحسنه إلا من تضلع من علم الأصول وعلم الفقه وعلوم الشريعة واللغة بوجه عام، وينتج عن ذلك تولد مسائل أصولية جديدة، ومن أجل ذلك سمّيناه «المحدود».

■ هذا النوع من التجديد لا تجده في كل أبواب ومسائل الأصول، ذلك أن معظم مسائل الأصول قسمة عقلية لا تقبل الزيادة ولا النقص، إنما يكون في أماكن متفرقة ومسائل متناثرة، ولذلك سمّيناه «المتناثر».

## محاولة الشيخ عبد الله الغماري

وممن ساهموا في هذا الاتجاه العلامة المحدث عبد الله بن الصديق الغماري، وقد أهله لذلك تلقيه العلم من علماء لا يحصون كثرة فأتقن فنونا كثيرة

قلما تجتمع لواحد في عصره، منها- كما قال(١٩): علم العربية، والفقه المالكي والشافعي، والأصول والمنطق، والتفسير، والحديث والمصطلح، والتوحيد، والفرائض، وعلوم اللغة والبلاغة، وغير ذلك.

ويضيف مع علمه لهذه الفنون قوله: «مع تحقيق بحوث في كثير منها- أي العلوم- بطريقة لم أسبق إليها»(٢٠)، والذي يطالع مصنفاته لاسيما المتعلق منها بالفقه والأصول يجده يعقد فيها مباحث أصولية موسعة لقضية معينة يأتي فيها بأقوال مبتكرة، ويهمنا من هذا كله ما قاله الشيخ في مجال أصول الفقه، ومدى ما أضافه من جديد في مسائله.

يقول: «ذكر بعض ما حررته من الفوائد ومنها ما لم أسبق إليه:

- منها أني فرقت بين دلالة الاقتران، التي اشتهرت بين العلماء أنها ليست بحجة، وجعلتها نوعين:

نوع ليس بحجة باتفاق وهو أن تقترن بأفعال متعاطفة بأو تكون داخلة تحت أمر عام أو بالواو أيضا مثل: خمس من الفطرة... الحديث.

فلا يدل ذكر الختان فيها على أن غيره واجب كالختان.

ولا يدل ذكر السواك فيها على أن غيره ليس بواجب كالختان، فهذه الدلالة ضعيفة باتفاق.

النوع الآخر: أن يقترن أمران في نهي، نحو النهي عن كل مسكر ومفتر، فهذه الدلالة حجة في تحريم المفتر مثل الخمر لأنهما اندرجا تحت نهي يخصهما.

وانظر توضيح هذه الفائدة في آخر كتابي «واضح البرهان».

## أدلّة الأحكام هي الكتاب والسنة والإجماع والعلم بثبوتها هو «أصول الفقه»

- ومنها أنني ذكرت أن الشيء قد يحرم ويباح مرتين وأكثر، مثل نكاح المتعة، قد نسخ تحريمه مرتين أو ثلاثة، ثم نسخت إباحته إلى الأبد.

أما الواجب فإنه إذا نسخ لا يعود واجبا أبدا، وهذا لم يقله أحد قبلي.

وهاتان الفائدتان مذكورتان في كتابي «الصبح السافر في تحرير صلاة المسافر».

- ومنها أن ابن حزم أكثر في كتابه «المحلى» من إلزام خصومه بالقياس، مع أنه لا يقول به، وتبعه مقلدوه في المغرب.

فقررت أن المعلوم عند علماء الجدل أن العالم لا يلزم خصمه في المناظرة إلا بما يعتقده ويذهب إليه، ولا يجوز أن يلزمه بما لا يذهب إليه، لأن الغرض من المناظرة عند علماء الجدل الوصول إلى الحق من أحد الطرفين، وليس الغرض الإلزام للمخاصم فقط.

وهذه الفائدة نبهتُ عليها في «الرأي القويم».

- ومنها أنني نبهت على أن نسخ التلاوة الذي أجمع عليه الأصوليون ليس بجائز، بل هو مستحيل عقلا، وكتبت فيه «ذوق الحلاوة» وهي مطبوعة، وقد خالفني في رأيي هذا بعض العلماء تقليدا لما عرف عند الأصوليين، وإني مستعد لموافقتهم بشروط:

١- أن يثبتوا أن تلك الآيات ثبتت قرآنيتها بالتواتر، وهذا غير موجود قطعا.

٢- أن يبينوا الحكمة من نسخ التلاوة بعد وجوده في القرآن.

٣- أن يجيبوا عن قول الله تعالى: ﴿لا مبدل لكلمات الله﴾(٢١). ا.هـ.

وممن سار في هذا الاتجاه د.أحمد حمد في كتابه: «الإجماع بين النظرية والتطبيق»، حيث قسم كتابه قسمين: الأول نظري، والثاني تطبيقي، وقال في بداية القسم الثاني إنه سار فيه على منهج هو إلى التجديد أقرب منه للتقليد حيث عالج قضايا في الإجماع لم تطرق من قبل، مثل: معالم الإجماع في الأمة، والإجماع في عهد الخلفاء الراشدين، وأنواع الإجماع التي بلغت خمسة عشر نوعا، وأركان الإجماع، ومناقشة صعوبات في طريق الإجماع، وقواعد الإجماع، والإجماع عند غير المسلمين، إلى غير ذلك من مسائل جديدة وحيوية.

ويرى د.علي جمعة أنه على الرغم من أن كثيرا من القضايا التي أثارها الكتاب لا يسلمها له علماء الأصول، وأنه ستختلف مواقفهم منها بين الرفض الشديد والقبول الحذر فإنه كتاب جدير بالمناقشة والفحص(٢٢).

وهذا الاتجاه من الاجتهاد عموما لا يقدم عليه إلا من بلغ رتبة الاجتهاد أو قارب، وتضلع من علم الأصول، وهي درجة قلما يبلغها عالم في عصرنا الحاضر.

وينبغي لهذا النوع من الاجتهاد أن يشجع، وتستنفر فيه وله طاقات العلماء الراسخين، وتعقد له المؤتمرات، وتدار فيه الندوات، وتكتب فيه الأبحاث، حتى نصل في هذا العلم إلى قواعد مقررة، ومسائل محققة.

### الهوامش

(١) راجع الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد: ٢٩-٣٠، د.يوسف القرضاوي. مكتبة وهبة. ط ثانية. ١٤١٩هـ.
(٢) التجديد في الفقه الإسلامي: ٤٨/١، د.محمد الدسوقي. ضمن سلسلة «قضايا إسلامية» طبع وزارة الأوقاف المصرية، وراجع الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد للقرضاوي: ص٢٥ وما بعدها.
(٣) راجع: نحو منهج جديد لدراسة علم أصول الفقه: ١٣٧، د.محمد الدسوقي، بحث منشور في حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، العدد الثاني عشر ١٤١٥هـ.
(٤) الاجتهاد في الشريعة الإسلامية: ٦٧، د.يوسف القرضاوي، ط. دار القلم. الكويت.
(٥) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٢٢٦-٢٢٧، د.علي جمعة محمد، بحث منشور في العدد العاشر من حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية. ١٤١٢هـ.
(٦) السابق: ٢٢٧-٨٢٢.
(٧) أصول الفقه: ١٣، المكتبة التجارية. ط. ثانية. ١٣٥٢هـ.
(٨) علم أصول الفقه: ٢، طبع دار الأنصار. القاهرة، وراجع مثل هذه العبارات وما في معناها وهدفها عند عبد الوهاب خلاف في علم أصول الفقه: ٨، مكتبة دار التراث. القاهرة، وعند الشيخ محمد أبي زهرة في أصول الفقه: ٧، دار الفكر العربي. القاهرة. ١٩٩٧م، وعند الشيخ علي حسب الله في أصول التشريع الإسلامي: صنحتي ج، د من المقدمة.
(٩) أصول الفقه: ١١.
(١٠) السابق: ٤١.
(١١) السابق: ٥١.
(١٢) المستصفى: ٥-٦.
(١٣) الإحكام في أصول الأحكام: ٢٣/١. تحقيق د.سيد الجميلي. دار الكتب العربية. بيروت. ط. أولى. ١٤٠٤هـ.
(١٤) أصول الفقه: ١١٣.
(١٥) الفصول ٧٩١/٢.
(١٦) المستصفى: ٦٨.
(١٧) أصول الفقه: ٩٤٢.
(١٨) البرهان في أصول الفقه: ١٩٩/١. تحقيق د. عبد العظيم الديب. دار الوفاء. المنصورة. مصر. ط. رابعة. ١٤١٨هـ.
(١٩) سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق: ٥١. مكتبة الدار البيضاء.
(٢٠) السابق: ٤٥.
(٢١) السابق: ١٣٦-٨٣١.
(٢٢) حول قضية تجديد أصول الفقه: ٧٢٢.

# لا هجرة من العجز إلى النصر إلا بالتضحية والفداء يا أمة الإسلام!

د. ماهر عباس جلال

**إن المتأمل للأحداث التاريخية الفارقة في حياة الأمم، سيدرك أن الانتصار فيها كان له ثمن دفعته الأجيال لتحقيق هذا الانتصار، وتحقيق الغايات السامية المنشودة، تلك سنة الله في كونه، ولن نجد لسنة الله تبديلا.**

## المعنى اللغوي للهجرة

ومن هذه الأحداث التاريخية الفارقة، بل على رأسها الهجرة إلى المدينة المنورة، فقد تجسد فيها أسمى معاني التضحية والفداء، ونظرة أولية إلى المعاني اللغوية لمادة «هجر» تؤكد هذه المعاني، فمن المعاني اللغوية لمادة «هجر»: الترك، والإعراض، والسير في الهاجرة، وهي نصف النهار عند اشتداد الحر، وتسمى المهاجرون مهاجرين، لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله، ولحقوا بدار ليس لهم بها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة.

## حقيقة الهجرة

إذن فالهجرة- في حقيقتها- ترك للأهل والوطن، والإعراض عن زخارف الدنيا وعرَضها الزائل، وتحمُّل الآلام والمعاناة المادية والمعنوية في سبيل تحقيق الأهداف السامية للهجرة، وهي الانتقال بالدعوة الإسلامية إلى بيئة إيمانية صالحة لاستنباتها واحتضانها، وتأسيس مجتمع إسلامي يتولى رعايتها ويحمل لواء نشرها في العالم، فلا هجرة إذن دون تضحية وفداء.

## نماذج حية للتضحية في الهجرة

من النماذج الحية الرائعة التي تعكس لنا هذه المعاني السامية للتضحية والفداء:

١- هجرة أم سلمة رضي الله عنها

كان أول المهاجرين إلى يثرب (المدينة المنورة فيما بعد) من المسلمين، أبو سلمة المخزومي ومعه زوجه أم سلمة وولده سلمة، ولما رآه بنو المغيرة رهط زوجه، قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيتُك صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده وأخذوا أم سلمة منه، وعند ذلك غضب بنو عبدالأسد رهط أبي سلمة، وقالوا: لا، والله، لا نترك ابننا عندها إذ انتزعتموها من صاحبنا، وأخذ الفريقان يتجاذبان سلمة حتى خلعوا يده، وقلب أم سلمة أخذ يتحرق

كاتب مصري

## من معاني الهجرة

لم تكن هجرةُ الرسول الكريم، ﷺ، هربًا من المشركين ولا يأسًا من واقع بئيس مقيت، ولم تكن هجرته، ﷺ، حُبًا في الشهرة أو الجاه والسُلطان؛ إذ كيف يكون ذلك وقد جاءه أشراف مكة وصناديدها، وقالوا له: «إنْ كنتَ تريدُ بما جئتَ به مالًا جمعنا لكَ من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالًا، وإنْ كنتَ تريدُ مُلكًا مَلَّكْناكَ علينا»، ولكنَّ نبيَّنا الكريم، ﷺ، كان أسمى وأعزّ وأنبل من أنْ يكونَ مقصودَهُ حطام الدنيا وبهرجُ زينتها.

ولم تكُن الهجرة النبوية المباركة التماسًا للهدوء وطلبًا للراحة، فهو يعلم يقينا أنّها دعوةُ حقٍّ ورسالةُ صدْق، لابُدَّ أنْ يُؤَدِيها على أتمّ وجوه التبليغ والأداء، كما أمَرَه ربُّه جلّ وعلا، ولذلك واجه عمّه الحانيَ عليه بقوله: «والله يا عمّ لو وضعوا الشمسَ في يميني والقمرَ في يساري على أنْ أترك هذا الأمرَ ما تركتُهُ حتى يُظهرَهُ الله أو أهلكَ دونَهُ».

لقد أجمع مشركو مكّة أمرَهم على قتْل رسولِ الله، ﷺ، للخلاص منه ومن دعوته، فجمعوا لأجل ذلك من كلّ قبيلة رجلا جَلْدًا نَسيبًا ليضربوهُ ضربةَ رجلٍ واحدٍ فيتفرَّق دمُهُ في القبائل، ولكن عناية اللهَ تعالىَ وحمايته أبتْ أن يُغدَر بحبيبِ الله، ﷺ، ليقضيَ الله بعد ذلك أمرًا كان مفعولا.

لقد كانت الهجرةُ إيذانًا بأنَّ صوْلةَ الباطل مهما عظُمتْ ومهما بلغَتْ؛ فمصيرُها إلى زوال، ونهايتُها إلى فشَل وبَوار، وإيذانًا بأنَّ الحقَّ، وإنْ طال مغيبُه واشتدَّ البطْش بأهله، لابدّ له من يوم تُحَطَّم فيه الأغلال، وتعلو فيه رايتُه وترتفعُ كلمتُه، وكيفَ لا، والله سبحانه وتعالى وعدَ المؤمنينَ بالنّصر المبين وجعل لهم بعد الشدّة فرَجًا، ومن العُسر يُسْرًا، ومن الضّيق سَعَة؟ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

إنَّ الدروسَ المستفادةَ من الهجرة كثيرةٌ، ومن جُمْلَتها ضرورةُ الصّبر على الشدائد والبلايا، وأنواعِ الظلم والاستبداد كافّة، وأهمّية الصّمود في وجه الباطل، والثّباتُ في ميادين الجهاد، والوقوف إلى جانب الحقّ في شجاعة وحزْم وصرامة.

إنَّ بهجتنا بهذه الذكرى تمتزج بعزمنا على الاقتداء بصاحب الذكرى، ﷺ، والتمسّك بهديه الكريم وعقيدته الصافية، والالتزام بشريعته، مُعلّمين ومتعلّمين؛ فهو القائل ﷺ: «بلّغوا عنّي ولو آية».

إعداد : تمام الصباغ

على ولدها حزنًا وكمدًا، فهاجر أبو سلمة صابرًا محتسبًا فراق زوجه وولده وما لحق به من ضرّ، أما أم سلمة فظلت تبكي فراق زوجها وولدها حتى رق بنو المغيرة لحالها فأذنوا لها بالهجرة، ورد بنو عبدالأسد إليها ولدها.

فوضعت أم سلمة ولدها في حجرها وهاجرت ليس معها زاد ولا راحلة تقطع المسافات الطويلة وسط الصحراء المقفرة وفي لهيب الحر، فهيأ الله لها أحد مشركي مكة عثمان بن أبي طلحة، حيث دفعه كرم نفسه العربية ونخوة رجولته الأبية إلى عونها، فاصطحبها على ناقته حييًا شهمًا إلى المدينة، ثم انصرف راجعًا إلى مكة.

فحب الله ورسوله كان الدافع لأم سلمة لتحمل فراق زوجها وولدها الذي فقد ذراعه، وقوة الإيمان واليقين في الله ونصره جعلها تسافر مع ولدها الصغير بلا زاد ولا راحلة وسط الرمضاء، وهي تعلم أنها ربما لقيت حتفها وصغيرها في هذه الصحراء الموحشة، وحينما انقطعت أسباب الأرض تدخلت أسباب السماء والعناية الإلهية، فهيأ الله لها هذا الرجل الشهم الحيي رغم أنه مشرك، فالله ينصر دينه بالبار والفاجر، بالمؤمن والكافر.

امرأة من الجنس الناعم تتجاسر على ما يعجز عنه جلة من الرجال، لأنها اختارت ما عند الله على متاع الدنيا الزائل، واحتسبت نفسها وولدها عند الله، فضربت لنساء المسلمين القدوة الحسنة، وأن المرأة المسلمة ليست بأقل من الرجل في التحمل والصبر والتضحية والفداء إذا تمكن نور الإيمان من قلبها، وكان الله ورسوله أحب إليها مما سواهما.

٢- هجرة صهيب بن سنان

كما ضرب صهيب الرومي بن سنان المثل الرائع في التضحية بالمال في سبيل الله، واستبدل بعرض الدنيا الزائل ثواب الله الباقي، يرجو تجارة لن تبور، فقد كانت عنده أواق من الذهب وحلتان ذهبيتان، فلماً همَّ بالخروج مهاجرًا اعترضه فتيان من قريش، فحبسوه عن الهجرة، فساومهم بأن يتنازل لهم عن هذا ويدَعوه يهاجر، فلما قدم على الرسول ﷺ، بشره الرسول ﷺ فقال: «يا أبا يحيى، ربح البيع. ثلاثاً» فعندئذ قال صهيب، يا رسول الله، ما سبقني إليك أحد، وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام. (أخرجه الحاكم في مستدركه).

وما قاله الرسول ﷺ لصهيب، إنما هو لكل مسلم أو مسلمة يضحي بماله في سبيل الله، ولنصرة الإسلام والمسلمين، ولوضع لبنة في صرح الحضارة الإسلامية، إذ المال عصب الحياة، وشريان الحضارة، ووقود التقدم والرقي، فحينئذ يقال لكل من ضحى بماله في سبيل ذلك كله: ربح البيع يا عبدالله! ربح البيع يا أمة الله!

**حب الله ورسوله كان الدافع لأم سلمة لتحمل فراق زوجها وولدها**

٣- صنيع أبي بكر الصديق

كان أبوبكر الصديق رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال، وما تردد لحظة حين عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام، وشهد له الرسول ﷺ بذلك فقال: «ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة، ما عكم عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه».

وقد ضرب أبوبكر الصديق أمثلة حية للتضحية بالمال والنفس والولد في سبيل الله، حين هاجر مع الرسول ﷺ، فقد احتمل معه ماله كله تاركاً أهله وأباه من دون مال، وهو لا يعلم إن كان سينجو في رحلته هذه أم لا، وهل سيجمع الله بينه وبين أهله ثانية في الدنيا أم سيفرق بينهما الموت أو كفار قريش؟

ومشهد آخر له وهو مع الرسول ﷺ في طريقهما إلى غار «ثور»، حيث جعل يمشي ساعة بين يدي الرسول ﷺ وساعة خلفه، حتى فطن الرسول ﷺ لذلك فقال: «يا أبا بكر، ما لك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي؟» فقال أبوبكر: يا رسول الله، أذكر الطلب فأمشي خلفك، ثم أذكر الرصد (الجواسيس) فأمشي بين يديك.

فقال له الرسول ﷺ «يا أبا بكر، لو كان شيء لأحببت أن يكون بك دوني؟» قال أبوبكر: نعم، والذي بعثك بالحق.

فأبوبكر رضي الله عنه يوضح لنا فهمًا دقيقًا للدعوة الإسلامية، فهلاك فرد من المسلمين، وليكن أبا بكر، يعني هلاك نفس واحدة، أما هلاك الرسول القائد- معاذ الله- فيعني هلاك أمة بأكملها.

وحين انتهيا إلى الغار لم يشأ أبوبكر أن يدخله الرسول ﷺ أولا، حتى يستبرئه أبوبكر ويطمئن على خلوه من أي حيوان مفترس، أو حشرة سامة، أو جاسوس يترصدهما، فلما اطمأن دعا رضي الله عنه الرسول ﷺ إلى نزول الغار.

ومواقفه رضي الله عنه في الهجرة كثيرة وجليلة، وتعظم تضحيته فيها وخاصة في الغار، وكان الفاروق عمر بن الخطاب يقول فيها: «والذي نفسي بيده، لتلك الليلة خير من آل عمر».

مما سبق يتبين لنا أن الإيمان إذا وقر في القلوب ضحت في سبيله النفوس والأبدان، فلا خوف ولا هلع، بل ثبات ويقين وتضحية وفداء، فما عند الله خير وأبقى، لا فرق في ذلك بين رجل وامرأة، ولا بين شيخ وشاب، ولا بين كبير وصغير، فالجميع لابد لهم من تضحية، فدين الله ثمنه غال، وقد دفعه أسلافنا، ولابد أن ندفعه في عصرنا لنشعر بلذة الإيمان، ولنسترد كرامتنا، ولنسترجع أعراضنا المستباحة، ولنفوز بوعد الله ونصره، فكلنا بحاجة إلى هجرة واقعنا المرير لمستقبل أفضل نتبوأ فيه المكانة اللائقة بأمة محمد ﷺ، ولا هجرة دون تضحية وفداء يا أمة الإسلام!

# الإيثار أحد دروس الهجرة

عبدالجواد محمد الخضري

**تعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة نموذجًا فريدًا للمدينة الفاضلة، والمجتمع المثالي الذي فاق في نظمه تصورات الفلاسفة، بيد أنه بُني على الواقع بإرادة إلهية، ثم نفذه سيد البشر محمد ﷺ ومن أهم الفضائل التي ظهرت ملامحها في هجرة المصطفى ﷺ خلق «الإيثار»، ذلكم الخلق الكريم الذي يحمي الديار ويؤمن الذمار، ويجعل المسلمين يدًا واحدة لا فرق بين كبيرهم وصغيرهم، ولا بين عبدهم وسيدهم، أَوَلَيْسُوْا لآدم وآدم من تراب؟ إنهم أمة واحدة منذ أن أعلنوا التوحيد!**

والإيثار «تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة فيما عند الله، وذلك ينشأ عن قوة اليقين ووكيد المحبة، والصبر على المشقة يقال: آثرته بكذا أي خصصته به وفضلته» (١)، ومضاده الأثرة، وهي الأنانية التي تجر صاحبها إلى قتل نفسه طمعًا! هلا علم أن رزقه في خزائن الغني المغني، وعمره لن ينقص عند مقدر الأقدار، فلم الحرص على الدنيا وعلام الجري وراء الملاذ الواهمة؟!

لقد سجل التاريخ بحروف من نور كيف كان صحابة رسول الله ﷺ حين استقبلوا إخوتهم الذين تركوا المال والولد فارين بدينهم غير مبالين بالنتائج إذ هاجروا بلا زاد ولا متاع، فكان الأنصار أهل نجدة ومروءة حيث استقبلوا أهل مكة أكرم استقبال، حتى ليكاد الضيف يحس أنه في مكة بل في منزل أحب إليه من منزله الذي فيه أهله!

لقد استحقوا الوسام ولهجت بذكرهم القلوب قبل الألسن، يقول تعالى ﴿والذين تبوءو الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر:٩).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال المهاجرون يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا من كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال: «لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم» (٢).

يروي القرطبي في تفسيره قائلًا: «كان المهاجرون في دور الأنصار، فلما غنم عليه الصلاة والسلام أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صدقوا ما عاهدوا الله عليه مع المهاجرين في إنزالهم إياهم في منازلهم وإشراكهم في أموالهم، ثم قال: إن أحببتم قسمت ما أفاء الله عليّ من بني النضير بينكم وبينهم، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم، فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ: بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا، ونادت الأنصار رضينا وسلمنا يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأعطى رسول الله المهاجرين ولم يعط الأنصار شيئًا إلا ثلاثة نفر لأسباب خاصة» (٣).

وأخرج البزار عن جابر رضي الله عنه قال: «كانت الأنصار إذا جزوا نخلهم قسم الرجل ثمره قسمين أحدهما أقل من الآخر ثم يجعلون السعف مع أقلهما ثم يخيرون المسلمين يأخذون أكثرهما، ويأخذ الأنصار أقلهما من أجل السعف حتى فتحت خيبر، فقال رسول الله: وفيتم بالذي كان عليكم فإن شئتم أن تطيب أنفسكم بنصيبكم من خيبر ويطيب ثمارهم فعلتم، قالوا: إنه قد كان

كاتب مصري

لك علينا شروط ولنا عليك شرط بأن لنا الجنة قد فعلنا الذي سألتنا بأن لنا شرطنا قال: فذاكم لكم!

وعن أنس رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا: لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال: أما لا فاصبروا حتى تلقوني فإنه سيصيبكم أثرة» رواه البخاري.

وتزخر كتب السيرة النبوية بعشرات المواقف التي تتجلى فيها صفة الإيثار والتضحية بأغلى ما يملك الإنسان من أجل أخيه المسلم ابتغاء مرضاة الله، ومن العجيب أن البذل والجود قد وصل بهؤلاء القوم إلى التنافس في مد يد العون إلى الآخرين حتى تمت المؤاخاة.

## الأخوة تذيب الفوارق

إذا تصادق اثنان في الله ارتفعت بينهما الكلفة، وأصبحا كالجسد الواحد ينطلقان إلى غاية مشتركة تجعل المجتمع مترابطًا متضامنًا شعاره الحب، وسمته الوئام والعطف، إنه مجتمع المدينة المنورة الجديد التي وصلت درجة التآخي فيه إلى مستوى جعلت المهاجري يرث الأنصاري دون ذوي رحمه! للإخوة التي قررها النبي ﷺ، لما نزلت الآية الكريمة: ولكل جعلنا موالي نسخت ثم قال: ﴿والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ (النساء: ٣٣)، أي من النصر والرفادة والنصيحة ثم ذهب الميراث ويوصى له.

آخى النبي ﷺ بين جماعتين من المهاجرين والأنصار قائلاً: «تآخوا في الله أخوين» ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال «هذا أخي»، فكان رسول الله إمام المرسلين وعلي بن أبي طالب أخوين، وكان حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وعمه الحبيب وزيد بن حارثة

## الأخوة بين المسلمين لا تحتكم إلى معيار السن أو القبيلة أو النسب والقرابة

أخوين، وجعفر بن أبي طالب ومعاذ بن جبل أخوين، وكان أبوبكر الصديق وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين، وعمر بن الخطاب وعتبان بن مالك أخوين، وأبوعبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ أخوين، وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، والزبير بن العوام وسلمة أخوين، وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين، وسلمة بن عبيدالله وكعب بن مالك أخوين، وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين، ومصعب بن عمير وأبوأيوب أخوين، وعمار وحذيفة بن اليمان أخوين، وسلمان الفارسي وأبي الدرداء أخوين...» (٤). حتى وصلت المؤاخاة بين تسعين رجلا من المهاجرين والأنصار.

## دلالات وإشارات

المؤاخاة التي حدثت بين النبي ﷺ وعلى بن أبي طالب على الرغم من وجودهما معًا في منزل واحد تجعلنا نتساءل لماذا كانت؟!

وأجيب: لكي يعلم المسلمون أن الأخوة بين المسلمين لا تحتكم إلى معيار السن، فعلي يصغر النبي ﷺ بثلاثين عامًا على الأقل لكنه الأخ المختار لأفضل الخلق، مما يجعلنا ننظر الى العلاقات الإنسانية بمنظار الإيمان حين نقيم تواصلاً مع الناس ففارق السن ليس حاجزًا، المسلم أخو المسلم بغض النظر عن عمرهما السني، وبذا يرسي الإسلام قاعدة مثلى للصحبة.

والمؤاخاة بين حمزة أسد رسول الله وزيد بن حارثة تمت لتهدم العصبية القبلية القائمة على تقسيم البشر الى سادة وعبيد، ناهيك أن الإسلام يدعو الى عبودية الله وحده ومَنْ كان يعتقد أن يكون حمزة وهو مَنْ هو عزًا وجاهًا ومنعة أخًا لمولى رسول الله ﷺ؟!

والمؤاخاة بين جعفر بن أبي طالب- المقيم بالحبشة حينها- ومعاذ بن جبل تعلمنا أن رابطة الأخوة لا تعرف وطنًا ولا يحدها مكان، فالمسلم اليوغسلافي أخو المسلم السعودي، والمسلم الكويتي أخو المسلم المصري، والمسلم الإماراتي أخو المسلم السوداني، لا فرق بين من يعيش في سراييفو ولا من يقيم بأم القرى، كلاهما شرف بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجًا.

والمؤاخاة بين أبي بكر الصديق وخارجة ترينا مدى التربية المحمدية للمسلمين، فأبوبكر الذي يعلمه القاصي والداني من رجالات مكة والمدينة التاجر الشهير صاحب النبي يغدو اليوم أخًا لخارجة، منتهى العظمة الإسلامية التي لا تحتكم الى معايير التفرقة الإنسانية.

ثم نأتي الى المؤاخاة بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء، سلمان ليس عربيًا لكنه مسلم إذن هو عربي! ويؤاخي أبا الدرداء العربي القح الذي شرب القيم العربية ورضع لبان الصحراء، كي ينصهرا في بوتقة واحدة هي «الإسلام» فيستويان في القومية الدينية «سلمان منا آل البيت»!

وإنك لواجد في اختيار الأخوة للتآخي أعظم الدروس العملية في التنشئة الاجتماعية لمجتمع تباينت أطرافه واختلفت طباعه، لكن الإسلام حين يتدخل في سلوكيات الناس فإنه يصفي فطرهم ويعيدهم الى نقائها الذي خلقت به وجبلت عليه مما أهل المجتمع المدني ليقود العالم مستقبلاً.

## نموذج فذ في الإيثار

أخرج الإمام أحمد عن أنس: أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه فقال سعد: أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان فانظر أيهما أعجب إليك حتى أطلقها، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك! دلوني على السوق فدلوه فذهب فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن ثم لبث ما شاء الله له أن يلبث فجاء وعليه ردع زعفران فقال رسول الله ﷺ مُهْيَم؟! فقال يارسول تزوجت امرأة! قال ما أصدقتها؟ قال: وزن نواة من ذهب! قال: أولم ولو بشاة، قال عبدالرحمن رضي الله عنه فلقد رأيتني ولو رفعت مجرًا لرجوت أن أصيب ذهبًا وفضة» (٥).

انظر الى مدى الكرم الإلهي، والتفضل الإسلامي، والمشاركة الوجدانية منقطعة النظير، هل قبل عبدالرحمن هذا العرض المغري؟!

إن الإسلام رباه على العزة والكرامة، وصيانة النفس عن المذلة والمهانة، فلم يعش عالة على غيره باسم الهجرة! لقد دعا لأخيه بالبركة وشكر له صنيعه، ثم قال له: دلني على السوق فباع واشترى وتحول الى ثري يشار إليه بالبنان وهو الذي ترك من قبل كل شيء، فعوضه الله بما لا يخطر على باله فاتسعت تجارته وزادت ممتلكاته حتى أخطأ العادون فيها، يروى أنه «تصدق مرة بسبعمائة جمل بأحمالها قدمت الى مكة من الشام، وأعتق ثلاثين ألف رقبة في يوم واحد، وأوصى لأمهات المؤمنين بحديقة بيعت بأربعمائة ألف، وأوصى لمن بقي ممن شهد بدرًا لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها، وتصدق على عهد النبي بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألفاً، ثم تصدق بأربعين ألف درهم، ثم حمله على خمسمائة راحلة في سبيل الله، وباع ضيعة له بخمسة عشر ألف درهم قسمها في الأطباق (٦).

بهذه الروح الإيمانية الكريمة تمت المؤاخاة في جو مفعم بالمحبة، وبهذا الإخاء الشامل أرسى الرسول دولة الإسلام، وبدأت معالم البناء الحضاري الشامخ تتبلور بعد الهجرة المباركة.

إن الإيثار هو دستور الأخوة الخالصة التي تجردت من المطامع، وتنزهت عن الضغائن، وأقبلت تعطي بلا أذى، فمكن الله لسلفنا الصالح في الأرض وبوأهم مكانة سامية يتيهون بها على مر الدهور وكر العصور.

**الإيثار دستور الأخوة الخالصة التي تجردت من المطامع وتنزهت عن الضغائن**

**الهوامش**

١- الجمل (الفتوحات الإلهية) ج ٤ص٣١٦ ط الحلبي (بدون).
٢- ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ج٤ ص٣٣٧ ط التراث (بدون).
٣- القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج٩ ص٦٥ط الشعب ١٩٦٨م.
٤- ابن كثير (البداية والنهاية) ج٢ ص٢٦٤ط الغد العربي ١٤١١هـ.
٥- محمد كرد علي (الإسلام والحضارة العربية) ج١ ص١٥٥ ط دار الكتب ١٩٣٤م.
٦- الأطباق = الجماعات من الناس.

# بواعث الفكرة في حوادث الهجرة

محمد بن ناصر العجمي

**اهتم أئمتنا الأوائل بالسيرة النبوية وألَّفوا فيها المؤلفات الكثيرة، ومن ذلك ما أُلِّف في هجرته ﷺ، وهذه منظومة في هجرته لأحد الأئمة حفاظ الحديث وهو ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢ هـ، أحد المعاصرين للإمام ابن حجر العسقلاني، وقد تم نشرها عن نسختين إحداهما من مكتبة وزارة الأوقاف في الكويت برقم ٢٨٦/٢ وهي منسوخة قبل وفاة المصنف، وذلك سنة ٨٣٤ هـ، والأخرى من المكتبة المركزية في جامعة أم القرى برقم ٢٩٩٢، قال المصنف رحمه الله:**

سنو هجرة المختار فيها حوادث ... كذا حفصة مع أم كلثوم زوجت ... «وثامن» عام مؤتة الفتح أسلموا

فخذ نثرها من كل عام وأحكم ... أتى حسن قبل الحسين المقدم ... ومولد إبراهيم نجل المعظم

مصلى قبًا في «أول» ثم مسجدًا ... وفي «رابع» تزويج هند معونة ... حنين غلاء طائف نصب منبر

بني وبيوتًا والصلاة فأتمم ... نضير وقصر والتيمم فافهم ... وبنت رسول الله زينب سلم

وحلف أذان جمعة مات أسعد ... مريسيع إفك والرقاع وموعد ... «بتسع» تبوك والوفود وجزية

براء وعبدالله أسلم فاسلم ... ورجم وموت أم المساكين عظم ... وحج أبي بكر وموت أم كلثم

و«ثان» صيام فطرة أم كعبة ... وصلى لخوف ثم في «الخمس» خندق ... ومات ابن بيضا والنجاشي وعروة

وغزوة ودانا بواط لمغنم ... قريظة سعد مات دومة قدم ... قتيل ثقيف والسلولي فافهم

عشير وبدر عرس عائش مثله ... ضمام أتى إسلام عمرو وخالد ... لعان وإيلاء وبوران ملكت

البتول وموت لابن مظعون أكرم ... وعثمان الداري التزلزل فاعلم ... لقتل فتى شيرويه بتظلم

سويق سليم قينقاع ومسور ... وفي «سادس» لحيان ذو قرد به ... وفي «العاشر» إبراهيم مات ومولد

ومروان والنعمان سروا بمقدم ... حديبية استسقى ابن خولة أعظم ... لنجل أبي بكر محمد أعلم

كذا ابن زبير مثل موت رقية ... مقوقس أهدى والظهار وخاتم ... جرير اهتدى ضلت بأسود عنسة

أبو بنت هند أنمار كانت بمعلم ... لشيرويه الطاعون حج لمسلم ... كسوف بخلف حجة التم أعجم

غزا أحدًا في «ثالث» قتل حمزة ... وخيبر في «سبع» صفية رملة ... وسبع وعشرون المغازي ومثلها

وذا أمر والخمر ردت فحرم ... زواجهما ذو الحبس آبوا بأنعم ... سراياه مع عشرين أرّخ لمقدم

وحمراء مع بدر أخيرًا بناؤه ... قدوم أبي هر هدايا عطية ... أصبنا «لإحدى عشرة» بنبينا

بزينب ذات البر كسبا لمعدم ... قضا عمرة تزويج ميمونة أتم ... فيا عظمه رزءًا لدى كل مسلم

بها بايعوا الصديق ردة وابكين

لفاطمة مع أم أيمن واختم

## نبذة من ترجمة الناظم من كتاب الاعلام للزركلي (٦/٢٣٧)

هو محمد بن عبدالله أبو بكر بن محمد بن أحمد بن مجاهد، القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين.. حافظ للحديث، مؤرخ.

أصله من حماة، ولد في دمشق، وولي مشيخة دار الحديث الأشرفية (سنة ٨٣٧) وقتل شهيدًا في إحدى قرى دمشق.

من كتبه «افتتاح القاري لصحيح البخاري» و«عقود الدرر في علوم الأثر» و«الرد الوافر - ط» في الانتصار لابن تيمية، و«برد الأكباد عن فقد الأولاد - ط» و«شرح منظومة الاصطلاح - خ» في مصطلح الحديث، و«بديعة البيان -خ»، أرجوزة في التراجم، على طريقة مبتكرة في تواريخ الوفيات، و«التبيان - خ» شرحها، و«السراق والمتكلم فيهم من الرواة - خ» و«كشف القناع عن حال من ادعى الصحبة أو له اتباع - خ» و«الإعلام بما وقع في مشتبه الذهبي من الأوهام - خ»، و«المولد النبوي» ثلاثة أجزاء، و«سلوة الكئيب بوفاة الحبيب - خ» في خزانة الرباط (٢٦٩٤ كتاني) و«مختصر إعراب القرآن، للسفاقسي - خ» النصف الثاني منه، في الظاهرية بدمشق، و«ربع الفرع في شرح حديث أم زرع - خ» رسالة في خزانة الرباط (٢١٢٤ كتاني).

باحث كويتي

# الهجرة وضرورة التحرك الإيجابي في حياة الأمة

د.الشبراوي محمد عبدالهادي الجهوري

**كانت حياة رسول الله ﷺ مثالًا للمسلم العالم الآخذ بالأسباب المتحرك بإيمان صادق وإيجابية فعالة نحو تبليغ ما كلف بتبليغه للناس وانجاز المهمة التي أمره الله بها في قوله تعالى: ﴿يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من برك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (المائدة: ٦٧)، فالتحرك الإيجابي والعمل الجاد الدؤوب نحو التماس منافذ وسبل تتيح له ﷺ نشر دعوته وتبليغ رسالته وأداء مهمته كان ديدنه وكان دأبه ﷺ وقد تجلى ذلك بوضوح في هجرته ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة وما سبقها من أحداث واجهته ﷺ، فعمل جاهدا للتغلب عليها وتحرك ﷺ نحو تحقيق هدفه بإيجابية وفعالية نالت إعجاب وتقدير المؤرخين، حتى رأينا المؤرخ الإنجليزي وليم موير يقول: «امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الأعمال مايدهش العقول، ولم يعهد التاريخ مصلحًا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد (١).**

ونحن عندما نتعاطى موضوع الهجرة النبوية المشرفة تتراءى لنا أمور ثلاثة لابد من الوقوف عندها والاستفادة منها في حياتنا لأن الله عز وجل أمرنا أن نأخذ القدوة الحسنة من حياة رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ (الأحزاب: ٢١).

١- أما الأمر الأول فهو الواقعية الإيجابية، وإنما بدأنا بالواقعية لأن هجرة رسول الله ﷺ جاءت نتيجة واقع حاول المشركون في مكة فرضه على رسول الله ﷺ ونعني بالواقعية الايجابية قراءة الواقع والتحرك على أساسه وتوظيف جميع الطاقات واستخدام جميع الطرق المشروعة للوصول للهدف وعدم التراجع أمام المثبطات والمعوقات التي تعترض طريق الإنسان، وهذا ما نجده في مسيرة الدعوة التي قطعها رسول الله ﷺ منذ بعثته، وتجلت بوضوح في تحركاته ﷺ قبل هجرته بوقت قصير، فقد مات عمه أبوطالب في السنة العاشرة من البعثة وهو الذي كان يدفع عنه أذى المشركين وماتت زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها في السنة نفسها وكانت بمثابة وزير صدق لرسول الله ﷺ يشكو إليها همومه ويبثها أحزانه، وبموتهما لاقى رسول الله ﷺ وأصحابه من العنت والايذاء ما لم تكن تطمع قوى الشرك والطغيان فيه قبل ذلك، فلم يستسلم رسول الله ﷺ لهذا الواقع ولم تثنه المعوقات عن أداء رسالته ولكنه ﷺ جد في التماس الطرق والوسائل التي تعينه على تخطي هذا الواقع، وتحرك بايجابية وفاعلية نشطة لاجتيازه والوصول إلى ما يصبو إليه، وهو نشر دعوته وتبليغ رسالة ربه إلى الناس مؤتمرًا بأمر الله عز وجل حيث ناداه قائلًا: ﴿يأيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر﴾ (المدثر:١-٧).

وقد تعامل رسول الله ﷺ مع الظروف التي كان يواجهها بواقعية عملية، حيث أدرك أن قوة الشرك قد جمدت على عقائدها الباطلة ونهضت بكل ما أوتيت من قوة تحارب الدعوة الجديدة وصاحبها حفاظا على زعامتها ودفاعًا عن سلطانها وسطوتها

كاتب مصري

فأخذ رسول الله ﷺ يضع الخطط ويستخدم كل الإمكانات المتاحة لتبليغ دعوته للناس، وقد تمثل ذلك أولًا في عرض نفسه ودعوته على القبائل التي كانت تنهال على مكة في موسم الحج يطلب منهم أن يمنحوه أرضهم ويحموه ليبلغ رسالة ربه، ولكن قريشًا كانت تقف له بالمرصاد وتصد عنه كل من جاء ليتعرف على الدعوة الجديدة وصاحبها.

كان رسول الله ﷺ يقف على قبائل العرب يعرض عليهم الإسلام قائلاً: يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دون الله من الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوني حتى أبين عن الله ما بعثني به، يقول ابن إسحق «كان رسول الله ﷺ على ذلك - أي مستمرًا في دعوته مداوما عليها - كلما اجتمع الناس في موسم الحج أتاهم يدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ويعرض عليهم نفسه، وما جاء به من المعروف والرحمة وكان ﷺ لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له ودعاه إلى الله وعرض عليه ماعنده» (٢).

وهكذا كانت حياة رسول الله ﷺ حركة دائبة، وعملاً مستمرا لا يتراجع أمام المعوقات ولا يتعلل بالظروف والأحداث، بل كان يعرف طريقه ويمضي فيه بكل حزم وعزم، وهذا هو ما يجب علينا اليوم، ألا نستسلم للواقع وألا نتعلل بالظروف وألا نخضع للأحداث الجسام التي تواجهنا، بل علينا أن نجد ونجتهد لتخطي هذا الواقع المرير الذي تعيشه الأمة الإسلامية أفرادًا وجماعات ودولا، ملتمسين في سيرة رسول الله ﷺ وفي تحركه الايجابي وفي اقتحامه الصعاب وفي تغلبه عليها القدوة الحسنة والدرس المستفاد.

إن مفهوم الواقعية الايجابية الذي نلمسه في سيرة رسول الله ﷺ جدير بالطرح والبحث الجاد، الآن، لأنه على أساسه يتحرك الإنسان ويحاول التماس الحلول المناسبة للمشكلات التي تعترض طريقه، وتخطي العقبات التي تقف دون تحقيق أهدافه حسب الإمكانات المتاحة وبالطرق المشروعة، ودائرة الواقعية الايجابية هذه تتسع فتتخطى حيز الإنسان كفرد إلى حيز المجموع كجماعة أو كدولة، فالكل مطالب أن يعمل لإيجاد حلول سريعة واقعية في الوقت نفسه، نقتحم بها الصعاب ونتخطى الحواجز النفسية والعقبات المادية التي تعترض طريقنا حتى نصل بأنفسنا وبأمتنا إلى بر الأمان ونجتاز الأخطار التي تحاك لنا ولأمتنا.

٢- أما الأمر الثاني الذي يجب أن نخرج به من درس الهجرة فهو المصداقية في القول والعمل، نتبين ذلك بوضوح عند عرض رسول الله ﷺ دعوته على القبائل، فقد كان ﷺ صادقًا مع ربه صادقًا مع نفسه صادقًا مع الناس، لم يستعمل التدليس والخداع وسيلة للوصول إلى هدفه مستخدما ما يقوله البعض اليوم «إن الغاية تبرر الوسيلة» لأن صدق الإيمان يستدعي بل يستوجب طهارة الوسيلة ومشروعيتها وصدق السالك لها وهذا ما كان من رسول الله ﷺ عندما عرض نفسه على القبائل ومنها قبيلة بني عامر بن صعصعة، فقد قالوا له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك، أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الأمر لله يضعه حيث شاء» (٣)، لقد رأى رسول الله ﷺ أن القوم طالبو دنيا، فلم يخدعهم ولم يغرر بهم ولم يمنهم بجاه أو

ثروة ولكنه ﷺ قال لهم بكل صدق «إن الأمر لله يضعه حيث يشاء» وهكذا يظهر صدق الداعية وأمانته نحو الكلمة التي يبلغها للناس.

كما تجلى صدق رسول الله ﷺ وأمانته مع أصحابه عندما أشار عليهم بالهجرة قبله، فلقد آثر رسول الله ﷺ أن يهاجر أصحابه إلى المدينة المنورة قبله ليبقى هو آخر المهاجرين، حرصا منه ﷺ على أصحابه، على خلاف عادة الزعماء والرؤساء الذين يحيطون أنفسهم بهالة من التحوط والأمن واتقاء الشرور ودفع الأذى عن أنفسهم بأقرب الناس إليهم من الرعية، إن رسول الله ﷺ الذي أمرنا بتحري الصدق في قوله ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا» (صحيح البخاري) لقد كان رسول الله ﷺ يعطينا درسا عمليا في الصدق والأمانة مع أصحابه أثناء الهجرة فهو ﷺ لم يشأ أن يتركهم يعانون العذاب والآلام في مكة، لكنه ﷺ آثرهم على نفسه فأمرهم بالهجرة إلى المدينة المنورة قبله ليكونوا في مأمن من ظلم وطغيان أهل مكة، إنها الصداقة الحقة التي تجعل المسلم حريصًا على سلامة أخيه المسلم وأمنه، لا يظلمه ولا يسلمه للأعداء ولا يتخلى عنه في أوقات الشدة، كما أمر بذلك رسول الله ﷺ في حديثه الشريف الذي يقول فيه: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة» (صحيح البخاري).

٣- الحركة العاقلة: هذا هو الدرس الثالث الذي نود أن نخرج به من الهجرة النبوية المباركة، ونسارع فنقول: إن المؤمن مطالب بالتحرك الإيجابي المتعقل، وإذا قصر المسلم في الحركة وتعلل بالعلل الواهية وضع نفسه موضع التقصير في حق نفسه وفي حق دينه، واندرج ضمن من ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرًا﴾ (النساء: ٩٧)، والله عز وجل يقول في نفس السورة: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغمًا كثيرًا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورًا رحيمًا﴾ (النساء:١٠٠)، إن الحركة المتعقلة المحسوبة تهدي إلى الخير، وتقود إلى النصر والظفر، وتحقق النجاح والفلاح، وهذا ما نجده في هجرة رسول الله ﷺ، فعندما جمدت مكة على عقائدها البالية لم يتوقف رسول الله ﷺ ولكنه تحرك صوب الطائف يلتمس النصرة من قبيلة ثقيف والمنعة بهم من قومه آملا منهم أن يقبلوا دعوته، فلما رده أهلها ردًا عنيفًا وأساءوا مقابلته ورفضوا دعوته لم ييأس ولم يتوان، لكنه اتجه إلى الله عز وجل متضرعًا قائلا: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الرحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إذا لم يكن بك غضب علي فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»، وأخذ رسول الله ﷺ يبحث عن أنصار جدد للدعوة وعن منافذ أخرى يستطيع من خلالها توصيل رسالة ربه للناس، فتحرك رسول الله في كل اتجاه يبحث عن أرض صالحة يقبل أصحابها دعوته ويدافعون عنه بإخلاص، وكانت العقبة الأولى في السنة العاشرة من البعثة فاتحة خير، فقد التقى رسول الله ﷺ بنفر من الخزرج وعرض عليهم

**كان رسول الله ﷺ يعطينا درسا عمليا في الصدق والأمانة مع أصحابه أثناء الهجرة**

الإسلام فآمنوا به وصدقوه، فلما عادوا إلى قومهم في يثرب- المدينة المنورة فيما بعد- ذكروا رسول الله لقومهم ودعوهم للإسلام فأسلموا وفشا فيهم الإسلام وانتشر بينهم، ثم كانت العقبة التالية في العام الحادي عشر، وفيها التقى رسول الله ﷺ بنفر من الأوس والخزرج عددهم اثنا عشر رجلا بايعوا رسول الله بيعة الإسلام إيمانا بعقيدته والتزاما بقيم الإسلام وتمسكا بأخلاقياته، فقد بايعوه على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره، وأرسل رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير يعلمهم أمر دينهم ويستوثق من القوم، وجاء العام الثاني عشر وكانت العقبة الكبرى والتي تعهد فيها الأنصار على حماية رسول الله ﷺ ونصرة دينه والدفاع عنه وعن دعوته وتجلت عبقرية رسول الله ﷺ في اختياره اثني عشر نقيبًا من الأنصار، تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، ليشرفوا بأنفسهم على سير الدعوة في يثرب ويهيئوا الأجواء لهجرة رسول الله ﷺ وقيام الدولة الجديدة.

وضع رسول الله ﷺ خطته المحكمة لهجرته المباركة فوظف كل الإمكانات المتاحة والمؤدية لنجاحها، فاختار الرفيق الأمين الذي سيرافقه على درب الرحلة، وكان هذا الرفيق هو أبوبكر الصديق أول من

**هجرة رسول الله ﷺ كانت انطلاقة من السكون إلى الحركة وانتقالا من الضعف إلى القوة**

آمن به من الرجال وصدق بكل ما جاء به، واستعمل رسول الله ﷺ فطنته في وضع طريقة استطاع من خلالها التمويه على كفار مكة حتى اختفى عن أعينهم في غار ثور، فجعل علي بن أبي طالب ينام في فراشه ليوهم الكفار أن رسول الله مازال نائما في فراشه وليرد علي رضي الله عنه الأمانات التي كانت عند رسول الله ﷺ لأصحابها، كما اختار رسول الله ﷺ دليلًا عالما بالصحراء ودروبها ليسلك به طريقا غير مألوف لدى أهل مكة، وكان هذا الدليل هو عبدالله بن أريقط، كما أعد رسول الله ﷺ جهاز مخابرات دقيق ومحكم تمثل في شخصين أولهما عبدالله بن أبي بكر الذي أمره رسول الله ﷺ أن يتحسس أخبار قريش بالنهار ويأتيه بها ليلا ليعرف رسول الله ما تفكر فيه قريش، وثانيهما عامر بن فهيرة الذي أمره رسول الله ﷺ أن يتحرك بالأغنام التي كان يرعاها لأبي بكر حول الغار وفي الطرقات المؤدية إليه ليخفي آثار أقدام عبدالله بن أبي بكر، وليشرب رسول الله وصاحبه الأمين أبوبكر من ألبانها حتى تحين لحظة التحرك صوب المدينة المنورة.

إنها خطوات محكمة وتحرك إيجابي مدروس قام على الأخذ بالأسباب الموصلة إلى تحقيق الهدف، يرافق كل ذلك اعتماد على الله عز وجل ترجمه رسول الله ﷺ في دعائه الذي توجه به إلى ربه قائلًا: ﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرًا﴾ (الإسراء: ٨٠).

إن هجرة رسول الله ﷺ كانت انطلاقة من السكون إلى الحركة، وانتقالا من الضعف إلى القوة، واجتيازا لحالة الضيق والحصار الذي فرضته دولة الكفر والشرك في مكة على رسول الله ﷺ وأتباعه إلى حالة من السعة والانفتاح على الدنيا لتبليغ قضية التوحيد إلى الناس في مشارق الأرض ومغاربها، فهل نأخذ الدرس والعبرة من هجرة رسول الله ﷺ فننطلق بإيجابية وفاعلية من واقعنا المتردي إلى آفاق أرحب نعمل ونبني ونعمر بصدق وإخلاص، إنا لنأمل ذلك ونرجوه، وما ذلك على الله بعزيز.

جعلنا الله عز وجل من المتقدين برسول الله ﷺ في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

**الهوامش**

١- مجلة منبر الإسلام العدد٣ ربيع أول ١٤١٩هـ ص ٨٦ مقال للأستاذ: عادل عبدالباري محمد، تحت عنوان «شخصية الرسول في مرآة نوابغ الغرب ومفكريه».
٢- سيرة ابن هشام ج٢ ص ٣٥، تحقيق جمال ثابت ومحمدمحمود، طبعة دار الحديث بمصر.
٣- المرجع السابق ص ٥٣.

# الهجرة.. تأملات وخواطر

د.أمان عبدالمؤمن قحيف

**مغرية هي أحداث الهجرة على التأمل والتدبر بما تحويه من دلالات ومعان راقية وسامية.. وإذا كان المتفق عليه بين اللغويين أن الهجرة هي الترك والمفارقة، فإن الهجرة في حالتنا هذه كانت تهدف إلى أن يهجر المسلمون مجتمع قريش ويتركوه، ولقد كان من أهداف الهجرة النبوية المباركة السعي باتجاه تهيئة الجو والمناخ الملائم لأن يتمسك المسلمون بدينهم ويعضوا عليه بالنواجذ، وذلك من خلال العيش في مجتمع جديد يصنعه الدين وتصوغه شريعة الإسلام الحنيف.**

ولقد شغل حدث الهجرة مساحات واسعة من كتابات علماء السيرة الذين أرخوا لحياة الرسول ﷺ، وكان لابد له أن يشغل هذه المساحة وذلك للعديد من الأسباب التي نوجزها فيما يلي:

أ- كانت الهجرة النبوية إلى يثرب بمنزلة الإعلان الرسمي عن استعداد الرسول ﷺ للتمسك بهذا الدين وتلك الرسالة مهما تكبد في سبيل ذلك من صعوبات ومشاق، وحملت الهجرة الدليل الساطع والقوي على تلك الحقيقة، إذ ترك الرسول ﷺ مكة المكرمة التي هي موطنه ومسقط رأسه ومرتع طفولته وصباه، وبها الأهل والأقارب والعشيرة، كل هذا من أجل اللحاق بأرض تتسع لدين الله تعالى، وتتيح له ﷺ العمل على التأسيس لمجتمع الإسلام الأول الذي ستكون مهمته الأساسية بعد ذلك حمل لواء الدعوة وتبليغ الرسالة إلى الناس حيثما كانوا.

ب- برهنت الهجرة على أن الإسلام لم يأت لوطن محدد أو أرض معينة دون سواها، فالإسلام ينظر إلى أرض الله تعالى كلها باعتبارها تمثل ميدانًا للدعوة، ومن ثم فالرسالة عامة وعالمية، وبالتالي فهي ليست ملكًا لأمة ولا حكرا على شعب دون بقية الشعوب أو أمة دون بقية الأمم.

ج- أثبتت الهجرة أن الرسول ﷺ قد انطبق عليه نفس القانون أو السنة التي انطبقت على باقي الأنبياء والمرسلين، فما جاء أحد بمثل ما جاء به النبي ﷺ إلا وأخرجه قومه، كما أخبره بذلك ورقة بن نوفل يوم أن ذهب إليه مع السيدة خديجة رضوان الله عليها ليستفتيه فيما رآه وحدث له في غار حراء في بداية عهده بنزول الوحي.

والمتأمل في الهجرة يستطيع الانتهاء إلى مجموعة من الحقائق نذكرها على النحو التالي:

## أولا: الرسول ﷺ هاجر بحثا عن الحرية الدينية

نستطيع الاشارة إلى أن الرسول ﷺ هاجر بحثًا ودعما وتنفيذًا لقاعدة أساسية أرساها القرآن الكريم، ألا وهي القاعدة المتمثلة في قول الله تعالى ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة:٢٥٦)، فهو ﷺ قد هاجر طلبًا لتعزيز هذا المبدأ، مبدأ الحرية في الاعتقاد، فالثابت أنه «لم يكن يفكر في مُلك ولا في مال ولا في تجارة، بل كان كل همه توفير الطمأنينة لمن يتبعون رسالته، وكفالة الحرية لهم في عقيدتهم ككفالتها لغيرهم في عقيدتهم.. يجب أن يكون المسلم واليهودي والنصراني سواء في حرية العقيدة، وفي حرية الرأي وحرية الدعوة إليه، فالحرية وحدها هي الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال في وحدته العليا، وكل حرب على الحرية تمكين للباطل ونشر لجيوش الظلام لتقضي على جذوة النور المضيئة في النفس الإنسانية، والتي تصل بينها وبين الكون كله، من أزله إلى أبده، صلة اتساق ومحبة ووحدة، لا صلة نفور وفناء» (١).

فهو ﷺ قد هاجر طلبًا لحرية العقيدة لأن المسلمين كانوا قد تعرضوا للكثير من أشكال الإيذاء ليس لذنب اقترفوه أو لسلوك شائن سلكوه، كل ما في الأمر أنهم آمنوا بالله ربا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولا، فاضطهدتهم قريش لهذا السبب، الأمر الذي يؤكد أن بيئة مكة لم تكن تعرف حرية العقيدة، أو بالأحرى لم تكن تعرف أي نوع من أنواع الحرية

كاتب مصري

أو درجاتها.

ومما يؤكد لنا أنه ﷺ كان شديد الحرص على تحقق هذه الحرية على أرض الواقع أنه لم يشأ ان يكره يهود المدينة على الدخول في الإسلام بل تركهم- هم وغيرهم- على دينهم ولم يطلب منهم تغيير هذا الدين، بل منحهم الحق في البقاء على معتقداتهم وأعطاهم حقوقا وواجبات كالمسلمين سواء بسواء، وقال قولته الرائعة التي تتضاءل أمامها كل المواثيق البشرية، وتتراجع أمامها كل أقوال من يتحدثون عن حقوق المواطنة، وكذلك كل الشعارات التي ترفعها منظمات حقوق الإنسان، لقد قال ﷺ: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا».

إن هذا الإيمان العميق بحرية العقيدة لم يكن ليتوافر في هذا الوقت الموغل في القدم إلا لدى إنسان يحمل منهجًا سماويا، لأن البيئة وقتها كانت مشبعة بثقافة القهر للعبيد الأرقاء وللنساء وللقبائل التي لا تستطيع الدفاع عن حرماتها وأموالها، وكانت الخشونة في التعامل والغلظة في الأقوال هي السمات السائدة بين الجميع، فهي بيئة لا تمنح حرية القول أو الفعل إلا للأقوياء الذين تتوافر لهم الأسباب لقهر الآخرين والسيطرة عليهم، ولقد كان من الصعب- بل من المستحيل- أن يتحدث أحد وسط هذا الجو العام عن الحق في حرية العقيدة أو عن الحق في ممارسة اختيار الدين أو الملة التي يجب أن ينتمي إليها، لأن البيئة كانت ترفض ذلك تماما بكل مكوناتها الثقافية والاجتماعية والدينية، الأمر الذي يؤكد لنا أن الرسول ﷺ لم يكن مجرد مُصلح أو عبقري ظهر في هذه البيئة، ويؤكد أيضًا أنه لم يكن من هواة المناصب أو من الساعين إلى الانخراط في النخب أصحاب الحظوة أو السلطان، لأن المصلح أو العبقري اذا جاء إلى الدنيا في بيئة كهذه لم يكن ليعنى بالحديث عن الحرية الدينية، بل إنه كان سيسخر أغلب جهده أو وقته للتحدث في الحرية المدنية، كما فعل فلاسفة اليونان وعباقرتهم الكبار أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو، الذين لم ينشغلوا بالحريات الدينية بقدر ما انشغلوا بالحديث عن حرية الأوطان، بل إن هؤلاء الثلاثة الكبار لم ينصفوا الضعفاء والنساء والعبيد من ظلم وتكبر واستعلاء أهل السيطرة والسيادة، بينما رسول الله ﷺ ركز- لأنه مبعوث السماء إلى أهل الأرض - على دعم وتكريس مسألة حرية الناس في اختيار الدين الذي يقتنعون به كمنهج لعبادة الله تعالى، وركز أيضا على نصرة الضعفاء من خلال الإعلان عن المساواة بين البشر أجمعين.

## رسول الله ﷺ هاجر بحثاً ودعماً وتنفيذاً للقاعدة المتمثلة في قوله تعالى ( لا إكراه في الدين)

إن تركيز الرسول ﷺ على الحريات الدينية يؤكد لنا أنه نبي مرسل وليس مجرد عبقري مصلح، لأن القول بالحرية الدينية يصب في النهاية في تأكيد مسؤولية الإنسان عن اختياراته وقناعاته، وبالتالي فهو محاسب عن ذلك أمام الله، وتلك مهمة لا يضطلع بها إلا الرسل والأنبياء (٢).

### ثانيا: الهجرة اثبتت ثقة المؤمنين اللانهائية في صدق الرسول ﷺ

لقد تسابق المسلمون وتسارعوا في تلبية دعوة الرسول لهم بالهجرة بصورة تدعو إلى العجب والدهشة!، إذا سارع المؤمنون إلى الخروج باتجاه يثرب، لدرجة أنه لم يمر غير وقت قصير إلا وكان كل الصحابة القادرين على الهجرة - تقريبا- قد هاجروا، لذلك تذكر كتب السيرة أن رسول الله ﷺ أقام في مكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين، إلا من حبس أو فُتن، إلا علي بن أبي طالب، وأبوبكر بن أبي قحافة، رضي الله عنهما، وكان أبوبكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له رسول الله ﷺ «لا تعجل، لعل الله يجعل لك صاحبًا»، فيطمع أبوبكر أن يكونه. (٣).

والآن يأتي السؤال: ماذا يعني اندفاع المؤمنين، بل ربما تسابقهم إلى الهجرة بمجرد سماعهم بدعوة الرسول لهم إليها؟ لاشك أن هذا الموقف يعني أول ما يعني أن الإيمان قد رسخ لدى هؤلاء الطيبين الأبرار الأطهر بأن هذه النبي ﷺ على حق، وأنه صادق في كل ما يقول، وأن الله لابد ناصره ومظهر ودينه، ولابد أنهم قد أدركوا هذا من خلال متابعتهم ومشاهدتهم لسلوك الرسول ﷺ، ومن إدراكهم لسمو رسالته ونبل الأخلاقيات والقيم والعقيدة التي يدعو الناس الى الإيمان لها والالتزام بتنفيذها ما كانت لهم الحياة وما كان لهم البقاء في هذ الدنيا، فهم اقتنعوا من خلال رؤيتهم لأخلاقه العملية وأقوله النظرية وأفعاله الذاتية بأنه مرسل من رب العالمين لتبليغ رسالته تعالى إلى الناس كافة، وأنه النبي المنتظر المشار إليه في الكتب السماوية التي كانت موجودة بين أيدي أهل الكتاب وقتذاك.

ولعل يقين الصحابة بصدقه ﷺ هو الذي جعلهم يتركون المال، والوطن والولد من أجل الهجرة، فهم استصغروا كل

شيء أمام الدين وأمام قناعتهم بصدق صاحب الرسالة.. والحق أن هناك العديد والعديد من الأمثلة التي يمكن أن نضربها ونستشهد بها في هذا السياق لنثبت انهم- رضوان الله عليهم - استهانوا بكل ما هو عزيز من أجل الفوز بالهجرة، تنفيذا لأمر الرسول ﷺ (٤)، غير أن موقف صهيب يغني عن الكثير، حيث ذكرت كتب السيرة أن صهيبًا أراد الهجرة، فقال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكًا حقيرًا، فكثر مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك، والله لا يكون ذلك، فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: فإني جعلت لكم مالي، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فقال: «ربح صهيب ربح صهيب» (٥)

## ثالثا: أيام الغار أكدت ثقة الرسول ﷺ المطلقة في توفيق الله تعالى له

لقد كشف الرسول ﷺ عن بعض أبعاد ثقته في الله عندما صعب الأمر، واشتد الكرب، وندرت الحيل، وتأزم الموقف لدرجة جعلت أبابكر الصديق يقول - عندما شعر بوجود قريش بالقرب من الغار - من شدة ألمه وحزنه وتوتره: يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا، وأغلب الظن أن الرسول ﷺ كان شديد القرب من الله تعالى في هذه اللحظة، وكان يشعر بهذا القرب بروحه وقلبه ووجدانه، الأمر الذي جعله يجيب على كلمة أبي بكر إجابة تثلج صدر السائل وتطفئ نار القلق والتوتر والغليان التي كانت قد استعرت بين جنبيه خوفًا على الرسول وحزنًا على الرسالة.. لقد قال الرسول لأبي بكر: «لا تحزن إن الله معنا».. كلمات قليلات لكنها تحمل العديد من المعاني والدلالات التي تفيد وتؤكد ثقة الرسول ﷺ في نجاح دعوته، وأن الله تعالى متم نوره ولو كره الكافرون.. وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الموقف خير تعبير بقوله تعالى: ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ (التوبة: ٤٠).

لقد كان رد الرسول ﷺ على استغاثة أبي بكر- إن صح التعبير- كحبات الندى التي تتساقط الهوينا على الزهور فتزيدها جمالا على جمال وروعة على روعة، حيث هدأت كلمات الرسول ﷺ الطيبات من روع أبي بكر، وأذهبت ثورة التوتر والحزن التي تفاعلت داخل نفسه رضي الله عنه، وأنزل الله تعالى سكينته على هذا الجمع المبارك، وانصرف أهل الكفر والطغيان ترهقهم ذلة ويحتويهم الإحساس بالفشل.

## رابعًا: فرحة أهل المدينة .. ضرب من الإعجاز

لقد انتابت أهل المدينة حالة من البهجة والسرور بوصول رسول الله ﷺ إليهم بصورة لم يسجل التاريخ مثلها على الإطلاق لا في أزمنته القديمة الموغلة في القدم ولا في أيامه الحديثة التي نشهدها بأم أعيننا ونعيش أحداثها ليل نهار، وكم قاسى أهل يثرب وعانوا من حرارة الشمس ولهيب الصحراء في عز الصيف يوم وقفوا في انتظار وصول الوافد الكريم إليهم (٦).

وثمة اسئلة كثيرة يطرحها العقل البشري الذي يتأمل هذا الموقف ويتعقل هذا اللقاء، منها: هل فرح أهل المدينة بمقدم الرسول ﷺ لأنه جاء إليهم محملا بالرخاء الاقتصادي والتقدم العمراني الذي ينفعهم وينفع ذريتهم من بعدهم؟ أم فرحوا لأنه جاء لينصرهم على عدوهم الذي كان يهددهم ويتوعدهم بالويل والثبور وعظائم الأمر؟ أم فرحوا لأنه جاء إليهم وبين يديه أمصال تقي أجسامهم وعلاجات تشفي أبدانهم من أمراض كانت ترهقهم وتنهك قواهم؟ أم فرحوا لأنه كان محملا بمبيدات لقتل الآفات والحشرات التي كانت تهلك حرثهم وتقض مضاجع نسلهم؟

الحق أن رسول الله ﷺ لم يكن محملا عند دخوله المدينة بهذا أو بذاك، لكنه كان محملا بما هو أفضل من هذا وذاك، لقد جاء الرسول الى المدينة بالعقيدة الجديدة والدين الوليد فمن الذي ألف قلوب أهل المدينة على حب هذا الوافد الجديد وجعلهم يعاهدونه على النصرة والعون، وأن يحفظوه مما يحفظون منه نساءهم وأبناءهم!(٧)

## الخلاصة

ستظل الهجرة النبوية تجذب الباحثين في التاريخ العربي الإسلامي وستظل تدفعهم إلى طرح العديد من التساؤلات، وذلك لعظمتها ولصعوبة تكرارها على مدى التاريخ الإنساني، ونظرًا لما تحمله من دلالات عظيمة ومعان راقية.. وسيعجز التاريخ عن إفراز حدث يتساوى في الأهمية والقيمة مع حدث الهجرة، لأن الأحداث العظام لا تقع إلا مع الرجال العظام.. وكانت الهجرة عظيمة لأن الله قد وفر لها الرجل العظيم، والنبي العظيم، والرسول العظيم، محمدًا ﷺ.

**الهوامش**

١- محمد حسين هيكل، حياة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- ٢٠٠٥ الطبعة الخامسة، ص ٢٣٥.
٢- راجع مقالنا، الهجرة وبراهين نبوة محمد ﷺ تحت النشر.
٣- ابن هشام، ج ٢، ص ٧٩.
٤- راجع مقالنا السابق.
٥- ابن هشام ص ٧٨.
٦- راجع تفاصيل ذلك في سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ٨٩.
٧- راجع مقالنا السابق.

شاعر مصري

# الهجرة فتح أبدي

للشاعر: يس الفيل

تتغير الأقدام والأكوان
ويزول من بعد المكان مكان
ويدب فوق الأرض ألف معمر
وتموت - رغم شبابها - فتيان
وتطول ألف بناية، وبناية
تهوي ليعلو فوقها بنيان
كلٌ إلى أجلٍ يعيش مخلفًا
لك أنت فيض الخلد يا رحمن
إني لأعجز حين يجمح خاطري
ويدور بي خلف الزمان زمان
أين الذين استنفروا سبق الردى
وبهم تراكض للردى عصيان؟
أين الجبابرة العتاة وقد مضوا
وعن اللحاق بهم كبت فرسان؟
ليظل هذا الدين رغم أنوفهم
أملا يقاوم إن عدا شيطان
هاجرتَ عن وطن المحبة معلنا
أن الخضوع لأمره إيمان
لم تثنك الآمالُ أنّ بمكة
بيتا بألوية السماء يصان
هاجرتَ محتسبًا جهادك للذي
لو شاء حاصرهم لظىً ودخان
لتظل يا امل السماء محمدًا
في الأرض حتى يأذن الديان
ياخير مبعوث وخير مهاجر
إن المحبة للهدى عنوان
هذي أناشيد الوفاء تشدنا
لربى سمت وبها استقر أمان
في هذه الذكرى يطيب لنا الهوى
ما استنفرتنا للعطاء جنان

شاعر مصري

تحقيق

حق يراد به باطل

# «المعاصرة» والعقل الإسلامي

محمد أبوالوفا

**هناك حالة من التسطيح الغريب للفكر العربي الجديد في تعامله مع المصطلحات الجديدة بوجه خاص، حيث تغيب الرؤى النقدية، ويغيب تمحيص المصطلح والتحقق الموضوعي من سلامته ومن دلالاته، تمامًا كما حدث مع عبارة «العالم أصبح قرية واحدة»، وهي التي تحولت في أفهام البعض إلى كونها مجرد «جسر» تعبر من فوقه جيوش الغزو الثقافي والأخلاقي إلى العقل المسلم ومجتمعه، وما هكذا تقصد صاحب العبارة، ولا هكذا فهم الغرب نفسه!**

وإنما حاول بعض أبناء الأمة «تسويق» هذا المعنى محليا، بحسن نية أو بفسادها على حد سواء.

ومصطلح «المعاصرة» مثال جيد على هذا العبث، وتلكم السطحية في التعامل مع المصطلحات الجديدة.

التحقيق التالي يمحص مصطلح «المعاصرة» حتى لا ينخدع البسطاء والعامة، بل الصفوة، عند الترويج له أو تسويقه.

بداية يعلق الكاتب الإسلامي جمال سلطان بقوله: هذا المصطلح أصبح يؤسس للسلبية المطلقة في العقل الإسلامي ومجتمعه، رغم أن ظاهر أمره يخدع بغير ذلك، وبداية فإن الحديث عن «العصر» أصبح حديثا عن كيان فكري وحضاري كامل متكامل وناضج، نجح الآخرون في إنتاجه، وأصبح الموقف المطلوب من المسلم حيال هذا «الكيان» هو الانصياع لمرجعيته الفكرية والقيمية والسلوكية معا.. وغدا من الشائع إذا اختلف اثنان في فكرة أن يبادر أحدهما صاحبه بالقول: «إنك تعيش خارج العصر.. أو ينبغي عليك أن تتواءم مع العصر الجديد»، ونحو ذلك من عبارات تشير إلى معنى خطير.. وهو أننا- نحن العرب والمسلمين- مجرد فضاء فكري وقيمي وسلوكي يتحرك في إنتاج «الآخرين» الثقافي والقيمي والسلوكي، وانتهت الدعوة إلى «المعاصرة» إلى مجرد دعوة للتبعية الثقافية وتسليم مفاتيح العقل والضمير والأخلاق إلى الآخرين الذين صنعوا العصر.

## كشف الزيف

يستطرد سلطان: بوجه آخر، فإن المعاصرة أشبه بحالة «التسوق» الثقافي مما هو متاح من بضائع في السوق، أو «استيراد» الأفكار والمناهج والقيم من الخارج.. مع السيارة وجهاز الحاسوب والمناديل الورقية! وأصبح من الطبيعي- وفق هذا المنطق- أن يكون هناك بعض «الوكلاء التجاريين» لتلك البضائع الثقافية في بلادنا ممن يتوسدون بعض المؤسسات الثقافية أو المنابر الإعلامية، الذين لا يهدأون في سبيل الترويج لبضائعهم المستوردة، وإذا خالفهم أحد، أو كشف زيفهم وسطحيتهم وتبعيتهم، كان أول سلاح يشهرونه هو «المعاصرة»، ويصبح المخالف لهم خارجا على العصر، ومن ثم فهو رجعي أو ظلامي أو جامد أو... الخ.

ويشدد سلطان على أن مصطلح «المعاصرة» بحاجة ماسة إلى إعادة إبراز وجهه الإيجابي وكشف اللاديني «العلماني» في الترويج له.

ويختتم سلطان موضحا أن المعاصرة هي دعوة للمشاركة، وليست للتلقي.. دعوة للنقد والمراجعة وليست للتقليد والتبعية.. دعوة لتنشيط الجهد الخلاق والمبدع والأصيل الذي يضيف إلى الحياة الإنسانية الجديد ولا يواكبها فقط.. المعاصرة هي دعوة إلى فقه الواقع وممارسة الاجتهاد لإبراز ما يصلحه ويحجم من الفساد فيه.. المعاصرة هي وجه قول السلف الصالح: «رحم الله امرءًا عرف زمانه فاستقامت طريقته».. المعاصرة ليست أن أساير قيما وأنماطا حياتية صنعها الآخرون، وإنما هي أن أفيد مما أحسن فيه الآخرون لصياغة عصري الجديد..

كاتب مصري

عصر الإسلام.

ويعلق أستاذ علم الأخلاق والفلسفة الإسلامية د.أحمد عبدالرحمن على مصطلح المعاصرة قائلا: هو مصطلح مشتق من العصر الراهن، ولا يوجد يوم معين يبدأ فيه هذا العصر، والعلمانيون يقصدون بالمعاصرة الفلسفة المادية والفكر المادي العلماني الذي لا يعترف بأي مصدر من مصادر المعرفة غير الحواس، بعبارة أخرى المعرفة خبرة إنسانية عندهم.. أي إنه لا مجال للوحي.. فالكتاب والسنة والكتب السماوية لدى أصحاب الأديان الأخرى لا يُعترف بالمعلومات التي وردت فيها عندهم، فالمعرفة خبرة إنسانية، والخبرة الإنسانية تأتي من العلوم المختلفة.. المادية والاجتماعية والفكر الفلسفي.

باختصار.. المعاصرة جوهرها أن المعرفة خبرة إنسانية، والإنسان المعاصر هو الذي يعتمد على الخبرة الإنسانية من صياغة القوانين والأخلاقيات.

يستطرد د.أحمد عبدالرحمن: الخبرة البشرية متغيرة متطورة نسبية، ليس فيها ثوابت، ولذلك أدخلوا النسبية في المعاصرة، فأصبح مبدأ التغير والتطور والتحول سمة أساسية في المعاصرة، كما أن الثبات فكرة رجعية وغير معاصرة، حتى الدين نفسه أرادوا أن يغيروا ويبدلوا فيه لكي يصبح معاصرا.

فالعدو اللدود للمعاصرة هو الثبات والمبادئ الثابتة، والمشكلة التي تواجه المعاصرة هي تعميم فكرة النسبية، لأن النسبية الجزئية مقبولة، نظرا لأن هناك

## المعاصرة ليست مسايرة أنماط حياتية وقيم صنعها الآخرون

متغيرات لا يمكن إنكارها، مثل التقنية ونظم التعليم والصحة والسياسة ونظم الحكم، فلا أحد ينكر المتغيرات، لكنّ إنكار الثوابت غير ممكن أيضاً، وهذه هي الصخرة التي اصطدموا بها وقد أدمت رؤوسهم، فالرياضيات فيها حقائق ثابتة، وكذلك باقي العلوم فيها حقائق ثابتة لا تتغير، والخدعة عند هؤلاء هي الخلط بين المعرفة والحقيقة.

نحن في الإسلام عندنا الثوابت والمتغيرات، ومن فضل الله علينا أن المتغيرات ليست محددة بنصوص ثابتة قاطعة، فالشرع لم يجبر المسلم- مثلا- على الحج على الإبل، لأن هذه وسيلة تتغير، وكذلك الحرب، فلم يفرض الإسلام الحرب بالسيف، ولكن قال اجتهدوا وأعدوا... وهكذا.

ومن جهته يرى أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة برمنجهام بالمملكة المتحدة د.بسطامي سعيد خير أن كثيرًا من المصطلحات الفكرية والعلمية المتداولة اليوم بين المسلمين ترجع إلى أصول غربية، وقد جنى ذلك على التصورات والمفاهيم الإسلامية أسوأ جناية، إذ إن المصطلحات الغربية قد نشأت في ثقافة وبيئة وظروف تاريخية مختلفة، وتحمل في طياتها عقائد الغرب وفلسفاته الخاصة المباينة للإسلام، بل المناهضة له في أحيان كثيرة، وحين يجري البحث عن رؤية إسلامية لهذه المفاهيم الغربية يتخبط كثير من الباحثين ويلتبس عليهم الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك مثل حال بعض سلف لهم ممن يسمون خطأً بالفلاسفة المسلمين، الذين أتوا بخيالات وشبهات الإغريق وأحلوها في عقائد المسلمين، وما أشبه الليلة بالبارحة في تناول كثير من القضايا الفكرية، ومن ذلك قضية المعاصرة.

### أهواء العصر

ويفسر د.بسطامي هذا المصطلح بقوله: هو مذهب نشأ في كل الأديان من جراء مواجهتها للحضارة الغربية القائمة اليوم، ويسعى في مجمله إلى محاولة صبغ الدين بصبغة جديدة تجعله موائما وموافقا لمعارف العصر ونظمه، وذلك باعتبار أن نصوص الدين وأحكامه لا تثبث وتجمد على فهم الأولين لها، بل تخضع للمراجعة وإعادة التفسير حسب الظروف المتغيرة.

ومن هذا المنطق زعم «العصرانيون تجديد الدين بإخضاعه لأهواء العصر، وأخذوا ضمن ما أخذوا المفهوم الغربي له، وأعجبوا به غاية الإعجاب، وجعلوه من شروط حركة النهضة، وراحوا يلبسونه ثوبا إسلاميا، وذلك بتأويل النصوص وأقوال السلف التي أعملوا فيها يد القص والتهذيب، بل الإلغاء أحيانا إن استعصت عليهم، و ﴿... يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا﴾ (النساء: ٦٢).

يستطرد د.بسطاوي: وقد يبدو منهج هؤلاء لأول وهلة حميدا في نظر عوام الناس ومن لا علاقة له بنصوص الشرع، ولكن نظرة فاحصة تبين أن أكبر خطأ يقعون فيه أنهم يحسنون الظن بنماذج من المصطلحات الغربية ويجعلونها أصلا يطوعون النظم الإسلامية لاستيعابه والتوافق معه، بدلا من أن يجعلوا الإسلام هو الأصل، ولعل هذا الموقف أثر من آثار الهزيمة النفسية أمام الغرب، ونتيجة لرؤية نظمه واقعا مجسدا مع غياب نماذج عملية لنظم الإسلام، فالمنهج السليم لرؤية إسلامية صحيحة بلورته القرون الأولى من المسلمين، وصنعت به نمط حياة إسلامية وعمرانا وحضارة من نسيج فريد، ويقوم هذا المنهج على تلقي التصورات والقيم والمفاهيم من نصوص القرآن والسنة حسب أصول وطرائق محددة، حتى إذا استقام العقل المسلم واستوى بنيانه العلمي والفكري أخذ بمبدأ الاجتهاد ليوسع دائرة النصوص وتطبيقاتها على جوانب الحياة المتطورة المتغيرة.

وأخيرا يشير د.بسطامي قائلا: عندما كانت هناك حاجة لاستعارة شيء من الثقافات والحضارات الأخرى، صهره العقل المسلم صهرا لينفي عنه خبثه والشوائب العالقة به، وصقله صقلا، وصاغه صياغة جديدة فاستقر في موضعه الذي وضع فيه بإحكام كأنه قد تولد منه ونبت فيه، وحين تخلى المسلمون عن هذا المنهج وضعفت قدراتهم العقلية عنه، انحطت حضارتهم وغلبت عليهم الثقافات الجاهلية بعد أن فتحوا لها المنافذ والأبواب التي كانت موصدة أمامها.

# دمج المعوقين في المدارس العامة

أحمد حسن الخميسي

**كثيرًا ما تلحق الإعاقة بالإنسان ضررًا يجعله يقصر في القيام ببعض ما عليه من واجبات حياتية وإنسانية واجتماعية، ولكن المعوق لا يكون عالة على أهله ومجتمعه، بل هو إنسان- وإن فقد بعض حواسه أو نقصت قدرته- يمتلك قدرات لا يستهان بها إن ساعدناه على تربيتها وتوظيفها ما يجعله يقدم لنفسه وأمته خدمات جُلّى.**

يجب على الأهل والمجتمع أن يهتموا بتربية المعوقين وتعليمهم، وهذه التربية لها طريقتان: طريقة العزل، وتتم في مؤسسات أو مدارس خاصة تناسب طبيعة إمكاناتهم واستعداداتهم وتوافق حالة الإعاقة التي هم فيها سواء أكان ذلك في القدرات العقلية أم الجسمية أم الانفعالية الاجتماعية أو التواصلية.

وطريقة الدمج أو ما يسمى نظام الدمج: حيث يتلقى المعاقون التربية في المدارس العامة مع العاديين.

## دمج الأطفال المعوقين

ظهر الاهتمام بنظام الدمج في السبعينيات من القرن العشرين وذلك للتخلص من سلبيات مدارس المعاقين الخاصة.

واتخذ نظام الدمج شكلين هما: إيجاد صفوف خاصة بالمعوقين في المدرسة العادية، والثاني: دمج المعوقين مع العاديين في صفوف المدرسة العامة.

أما الشكل الأول: فيتم الدمج فيه بفتح صفوف خاصة للمعوقين في المدرسة العادية يتلقون فيها دروسهم من قبل مدرس التربية الخاصة، كما يتلقون برامج تعليمية مشتركة مع الأطفال العاديين في الصفوف العادية، حيث يسمح هذا الشكل بسهولة الانتقال من الصف الخاص إلى الصف العادي، كما أن ذلك يوفر فرص التفاعل الاجتماعي والتربوي، واندماج الاطفال المعوقين مع العاديين وتقبل بعضهم بعضًا، وتزال الحواجز فيما بينهم، ويقدرون زملاءهم، ويقر كل منهم بقدرات الآخر ومواهبه، ويتم ذلك اثناء الدروس والفرص والرحلات والألعاب والأنشطة التي يقوم بها التلاميذ مع مشرفيهم بشكل جماعي.

أما الشكل الثاني من الدمج: فيقصد به أن يلتحق الأطفال المعوقون مع التلاميذ العاديين في الصفوف العادية طوال الوقت بحيث يتلقون البرامج التعليمية نفسها، ويشترط في هذا النوع من الدمج توافر مجموعة من المستلزمات مثل تقبل الطرفين لبعضهما، ووجود مدرس التربية الخاصة جنبًا الى جنب مع معلم الصف العادي، أو تأهيل معلم الصف العادي من أجل أن يتعامل مع هؤلاء الأطفال، ويتم توصيل المادة العلمية بأشكال مختلفة، وكذلك وجود مستلزمات تقانية وبنائية تسهل وجود هؤلاء الأطفال في المدرسة العادية، وتعتبر المدرسة الشاملة شكلًا من أشكال هذا الدمج، وفي هذا الإطار يمكن لبعض الفئات الخفيفة في الاعاقة أن تدمج في الصف العادي دون الحاجة لوسائل وتدابير داعمة، وبعض الفئات من الإعاقة المتوسطة تدمج مع تقديم المساعدة ووجود خبير متخصص أو وجود معلم للتربية الخاصة.

ولكي تتضح الصورة أمامنا، نبيّن هنا إيجابيات الدمج وسلبياته:

## ايجابيات الدمج

١- تُجهز المدارس العادية

كاتب سوري

الطبيعية التي يمكن للأطفال المعاقين والعاديين أن يتلقوا فيها التربية والتعليم معًا بعد إجراء بعض التعديلات في تلك البيئة، لتفي بالاحتياجات التربوية والاجتماعية والنفسية الخاصة بالأطفال المعاقين.

٢- يتيح الدمج التربوي للأطفال المعوقين فرصة البقاء في منازلهم مع أسرهم طوال حياتهم الدراسية، الأمر الذي يمكنهم من أن يكونوا أعضاء عاملين في أسرهم وبيئاتهم الاجتماعية، ويمكن أسرهم من القيام بالتزاماتهم تجاههم.

٣- يشكل الدمج التربوي وسيلة تعليمية مرنة يمكن من خلالها زيادة وتطوير وتنويع الخدمات التربوية المقدمة للتلاميذ المعوقين كما يتيح الفرصة للمؤسسات التربوية للاستفادة من تجربة تربية الأطفال المعوقين، والحد من مركزية تقديم الخدمات التعليمية.

٤- تعمل البيئة الاندماجية على زيادة التقبل الاجتماعي للأطفال المعوقين من قبل أقرانهم العاديين، وإتاحة فرصة التفاعل والتواصل معهم، وتمكين المعوقين من محاكاة وتقليد سلوك الأطفال العاديين وزيادة الألفة بينهم.

٥- يسهم احتكاك الأطفال المعوقين بأقرانهم العاديين في سن مبكرة في تحسين اتجاهات الأطفال المعوقين والعاديين نحو بعضهم بعضًا، ويعمل على إيجاد بيئة اجتماعية يتمكن فيها الأطفال العاديون من التخلص من المفاهيم الخاطئة لديهم عن المعاقين.

٦- يعمل الدمج التربوي على إيجاد بيئة واقعية، يتعرض فيها الأطفال المعوقون الى خبرات متنوعة من شأنها أن تمكنهم من تكوين مفاهيم صحيحة واقعية عن العالم الذي يعيشون فيه، وأن تشجع التنافس التعليمي بين جميع التلاميذ.

**المعاق يمتلك قدرات لا يُستهان بها إذا ساعدناه على تربيتها وتوظيفها**

## سلبيات الدمج

١- يحتاج الدمج إلى وجود نظام مساند قوي متماسك، يمكّن المعلمين والإداريين في التعليم الخاص والتعليم العام من الوفاء بالاحتياجات الأساسية للأطفال المعوقين لكي يمارسوا أنشطتهم الأكاديمية والاجتماعية في المدارس العادية بكل فاعلية، وأي فشل أو خلل في هذا النظام المساند سيؤدي حتمًا إلى نتائج تضر جميع التلاميذ معوقين وغير معوقين، بل إن آثاره السلبية ستمتد الى المجتمع بوجه عام.

٢- تؤدي الاتجاهات السلبية التي قد توجد لدى معلمي الفصول العادية أو لدى آباء الأطفال غير المعوقين الى جعل عملية دمج الأطفال المعوقين في المدارس العادية تجربة تعليمية سلبية.

٣- تشكل الحواجز في مباني بعض المدارس العادية عدة صعوبات تحد من قدرة التلاميذ المعوقين على ممارسة أنشطتهم العلمية والاجتماعية.

٤- يؤدي الاعتقاد بضرورة دمج جميع الأطفال المعوقين في المدارس العادية إلى عدم استفادة هؤلاء الأطفال كثيرًا من وجودهم في تلك المدارس إما بسبب شدة إعاقتهم أو تعددها.

## العوامل المساعدة على عملية الدمج

إذا أردنا للدمج أن يحقق نجاحًا أكبر فلابد أن تتوافر عوامل عدة منها:

١- تقبل معلم الفصل العادي للتلميذ المعوق ومرونته في تعليمه.

٢- تفاعل تلاميذ الفصل العادي مع التلميذ المعوق وتقبلهم له بينهم.

٣- المهارات الاجتماعية لدى التلميذ المعوق.

٤- التحصيل العلمي لدى التلميذ المعوق.

٥- النظرة الإيجابية لدى التلميذ المعوق نحو مفهوم ذاته.

٦- استقلالية واعتماد التلميذ المعوق على نفسه.

٧- اتجاهات الأسرة الإيجابية وتقبلها لطفلها المعوق.

٨- الدافعية العامة لدى التلميذ المعوق.

٩- توافر المستلزمات البشرية المساندة للتلميذ المعوق.

١٠- توافر المستلزمات التجهيزية الخاصة بالتلميذ المعوق.

## الدمج في دول العالم

قامت العديد من الدول العالمية والعربية بنظام الدمج ونجح فيها الى حد كبير، وحققت الكثير من الإيجابيات، وقللت نسبة السلبيات، ومن هذه الدول التي قامت بالدمج، بريطانيا والفلبين والمملكة العربية السعودية.

## الدمج في المملكة العربية السعودية

اهتم المسؤولون في المملكة العربية السعودية في العقد الأخير من القرن العشرين بمسألة الدمج في المدارس العادية نتيجة لإدراكهم بأن كثيرًا من حاجات ذوي الحاجات الخاصة يمكن تحقيقها في المدارس العادية، فقد وضعت وزارة المعارف مجموعة من الضوابط لتطبيق مبدأ الدمج، ومنها إيجابية الاتجاهات التربوية لإدارة المدرسة والمدرسين نحو تطبيق البرنامج، وألا تزيد كثافة التلاميذ في فصل الدمج عن ٢٥ تلميذًا.

وحرصت المملكة على وجود غرفة مصادر، كما حددت الوزارة مجموعة من الإجراءات الأولية الضرورية لتنفيذ عملية الدمج ومنها: عقد دورات تأهيلية قصيرة للمدرسين عن مفهوم الدمج وأهدافه ونظامه ومتطلباته بقصد تغيير اتجاهاتهم نحو المعاقين وإمكانية دمجهم.

عبادة السيد نوح nooh22@hotmail.com

# الإنتاج الابتكاري

**تشهد الساحة الاجتماعية اليوم أحداثا جديدة ما تفتأ تفتك بالجسد الإسلامي المتهالك من خلال تقديم بعض أجهزة الإعلام الحمراء للرأي العام وجبة دسمة من التشاؤم والإحباط واليأس، متمثلة في تربية الفرد على السلبية والتقليدية بدلا من بناء الإنسان الايجابي المبتكر، ما ساهم في انتشار ثقافة «اللامبالاة» في أوساط الشباب، حتى أصبحت تسود المجتمع في مؤسساته كلها.**

ومن المعلوم أن الابتكار بات اليوم أحد أهم العناصر الأساسية لتطوير الحياة بمختلف أشكالها وألوانها، وإعمار الأرض، وبناء المستقبل المشرق، وإيجاد السعادة الدنيوية، لذا نجد أن بعض الهيئات والمؤسسات الأهلية أفردت دورات وبرامج علمية وعملية للتطوير الإبداعي والابتكاري.

ولعل من علامات المجتمعات الصحية أن يتم التطرق إلى مثل هذه المواضيع التجديدية لمواكبة تطورات العصر، سواء كانت سلبية أو إيجابية، لمراجعة مفاهيمنا وأنماطنا في التفكير والتنظير والعمل، ومحاولة إعادة تشكيل العقل العربي المسلم لإخراج الأمة من حالة التيه والسبات العميق إلى اليقظة والقيادة والريادة.

كذلك ينبغي الأخذ في الاعتبار أهمية العناية بمفهوم دقيق في الابتكار، ألا وهو الابتكار الإنتاجي باعتباره المفهوم الشمولي المبني على الفهم والعمل والأصالة والجدة والمغزى، فالعالم أندرسون يربط دائما الابتكار بالإنتاج في شكلين هما الإنتاج المحسوس الواقعي المنفصل نسبيا، مثل العمل الأدبي، واختراع جهاز، واكتشاف مادة. والإنتاج الذي لا ينفصل عن مبدعه، بل يتصل به اتصالا مباشرا مثل الإبداع في مجال العلاقات الإنسانية.

إن الابتكار العملي ناتج عن تفاعل الشخص مع بيئته، وعمليات تتم داخل الفرد ذاته، ويبدأ بإدراك الاختلال في المعلومات، ثم البحث عن دلائل في الموقف، ووضع الفروض لسد الثغرات، واختبار صحتها، ثم الربط بين النتائج، ثم نشر النتائج.

وتنحصر العملية الابتكارية في تنمية الفرد لذاته وتوسيع قدراته الذهنية وتفكيره، فنحن لسنا مستقبلين للمعلومات بقدر ما لدينا قدرة على نقد ما يحدث وتقويمه، وأيضا لابد من أن يكون المبدع قادرا على التوقع والحدس، ويستطيع تشكيل المادة المطروحة وإعادة صياغتها، إلى جانب الإحساس بالعالم المحيط به إحساساً فريداً.

ويمكن القول إن فريق المبتكرين في حياتنا لا يكتفي بالتعامل مع ما هو موجود، ولا بتكراره والسير على الأنماط المألوفة،

بل يملك الرغبة في التغيير والقدرة عليه. فإذا كان تغييراً نحو الأحسن فهو الابتكار. وأصحابه صنف نادر في الحياة، وعليه المعول في تحويل تيار المجتمع نحو الأفضل.

وإذا كان وجود المبدعين مهمًّا في كل الظروف، فإنه في ظروف الضعف والركود والإحباط يكون في غاية الأهمية، إذ لا مخرج من أزمات الأمة إلا بوجود أصحاب المواهب والكفاءات المتميّزة، وليس المراد أن يأتي المبدع بشيء جديد منقطع عما قبله، بل أن يبني على ما سبقه ويأتي بالمزيد، ويكون إبداعه بمقدار حجم هذا المزيد ونوعه وقيمته.

في المجمل لا توجد قيود على الفكر الإبداعي والمبدع الذكي في المجتمعات العملية والعلمية، في الوقت الذي نجد فيه مجتمعاتنا النامية لا تستطيع توظيف تفكير أبنائها نحو الأمور والأشياء والأزمات، سعيا لتطويرها وإيجاد حلول جديدة قابلة للتطبيق، الأمر الذي يتطلب إعادة هيكلة منظومتنا العقلية من خلال البعد عن الجمود والاقتراب من الواقع المتغير الذي يفرض علينا التأقلم والمرونة وحتمية تطويع إمكاناتنا لصالح من حولنا.

إن أية محاولة لتنمية الإبداع والابتكار في حراكنا الاجتماعي تتطلب ضرورة غرس قيم الإيمان العميق بالإنجاز والعمل والعطاء المثمر، بالإضافة إلى إشاعة التفكير الإبداعي الشمولي القائم على العودة إلى الذات، بكل أبعادها، والبعث على التفاؤل والاستبشار بالخير، ونبذ التبعية، والانفكاك من أسر المشاعر الدونية، وتعزيز روح المبادرة في التعامل مع القضايا والأمور كلها.. والله ولي التوفيق.

# لغة وأدب

## أرضٌ وماء!

قد يهرع البعض إلى قراءة كتاب علمي لينهل من فيض كنوزه، وقد يفضل آخرون قراءة رواية ليسبحوا في خضم نفسيات أبطالها، أو ليعيشوا أحداثها، وقد يتلذذ غيرهم بترانيم قصيدة يطير اللُبُّ لصورها، غير أن هناك دربًا آخر من دروب التفاعل ربما لا يلتفت إليه كثيرون رغم أنه أدوم أثرًا وأبقى وقعًا.

فكما أن كتب العلوم تزيد رصيد قارئها، وكتب الآداب تسمو بوجدانه، فإن ذلك كله يُطبع- وإن بمقادير متباينة- في النتاج الأسلوبي لقارئه، تعمد ذلك أم لم يتعمد، فطن إليه أم لم يفطن، ولا يعد ذلك قدحًا فيمن يأتيه، بل هو قمة التمكن، وقديمًا قال مارسيل بروست «وما الليثُ إلا عدة خرافٍ مهضومة».

وأذكر أن معلمًا حكيمًا تكاثر عليه طلابه، كلٌّ يدلي بدلوه، فهذا يعطيه قصيدة ليعرف رأيه فيها، وذاك يقدم مقالا، وآخر رواية... فقال الأستاذ الحكيم لطلابه: من أراد أن يكتب بيت شعرٍ فليقرأ ألف بيت وليحفظ ما تيسر، ومن أراد أن يكتب مقالًا...إلخ، أما أن يتوهم تالٍ أن يبذ شأو مُقدم من دون أن يطلع على ما قدمه ذلك المُقدَّم، فإنه يضرب بنواميس الكون عرضَ الحائط، ولن يلبثَ أن يسقط على الأرض فينكسر جناحاه.. وهيهات له قيام، ولات حين مناص.

ولا يُظن أن هذا دعوة إلى التقليد الشكلي، أو السعي إلى ذلك، بل هو يسعى ولا يُسعى إليه، والكل يقرأ، فمن كان مهيأ للاستقبال استقبل وأرسل، فهو أرض أُمطرت فأنبتت، ومن لم يكن كذلك أمسكت أرضه الماء ولم تثمر، غير أنه ينتفع بمائها، أما أسوأ الأحوال فأن يصيب الماء الأرض فلا تنبت ولا تمسك الماء، وأسوأ الأسوأ أن تُكسى الأرض بعازلٍ فلا ترى الماء أصلًا!

المحرر

د.عبدالله التطاوي أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة:

# الأدب الإسلامي يخدم «الدعوة» والشعراء نشروا الإسلام بـ«قصائدهم»

فاروق الدسوقي

**أكد د.عبدالله التطاوي أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة أن الأدب الإسلامي أدى - على مدار أكثر من ألف وأربعمائة عام - دورا رائدا ومميزا في خدمة الدعوة الإسلامية.**

**وقال: إن الشعراء المسلمين في صدر الإسلام استخدموا قصائدهم «وسيلة» في نشر تعاليم الإسلام والتعريف بأحكامه وغاياته وتعاليمه السامية، والدفاع عنه في مواجهة مزاعم الخصوم والأعداء.**

**وشدد في حوار لـ«الوعي الإسلامي» على أن الأديب المسلم ينبغي أن يستمد أفكاره وألفاظه ومعالجاته من المصادر الإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم والسنة النبوية.**

**وأضاف قائلا: إن الشاعر المسلم تشغله دائما القضايا الإسلامية، ويستلهم معالجاته دائما من قيم وأخلاق وتعاليم دينه، فيذكر رسول الله ﷺ ورسالته، ويستوقفه أمر جبريل عليه السلام كواسطة للوحي بين الله سبحانه وتعالى وبين رسوله عليه الصلاة والسلام، فيسجل ما يعرفه عن القرآن الكريم أو إعجازه وتشريعه، ويتخذ مواقفه من صورة النبي ﷺ وغزواته، وموقف المسلمين ممن آمنوا به وآزروه، أو موقف كفار مكة ممن عاندوه وحاربوه.**

ويضيف: إن الشاعر المسلم أدخل من معجم الإسلام ما يتعلق بقضايا العقيدة بكل فخر وثقة واطمئنان، مشيرا إلى أن المسلمين الأوائل قد تحولوا عقائديا من وثنية غائمة أغرقهم ضلالها في تيه عميق من الجهل، إلى ما أنقذهم به الدين الجديد منذ أسلموا، فآمنوا ونصروا الرسول ﷺ، ولم يشغلوا أنفسهم بجدل، أو فلسفة رفض على نحو ما شُغل به المشركون في مكة.

لقد التزم الشعراء المسلمون بما عرضه القرآن الكريم فيما يتعلق بأسلوب الرسول ﷺ في نشر الدعوة طبقا للمبدأ الإسلامي الذي هداه إليه ربه سبحانه وتعالى في قوله ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١٢٥: النحل)، وما شهد له به الله سبحانه وتعالى من كرم الخلق وسماحته، قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، ومن وداعة القلب ولُطف ألمعاشرة في التعامل مع جمهور البشر عامة من حوله، لقوله تعالى ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

د.عبدالله التطاوي

## صدق الرسالة

ومضى د.التطاوي قائلًا: إنه بهذا المنطلق وبأبعاده المختلفة تبدو المؤشرات الأولى لانعكاسات المعجم الإسلامي من خلال شعراء صدر الإسلام، فإذا بالشاعر في المدائح النبوية - مثلا - يتجاوز الملامح التقليدية التي رصدت في صورة البطولة الجاهلية على ما قد يشوبها من عنف وعدوانية أو فوضى الغزو والثأر، لتتحول على يديه إلى صورة منضبطة ينبثق منها الحس الإسلامي الجديد، وينسبها الشاعر دائما إلى الله سبحانه وتعالى، ويعرض من خلالها موقف فريق المسلمين وموقف المشركين، فإذا بملامح البطولة تتراءى مجسدة في مكانة رسول الله ﷺ كهاد للأمة وبشير بالحق.

وتبدو البطولة رهنا بعموم الدلالة على صدق رسالة البطل التي يحرص الشاعر المسلم على التصديق بها، حتى ليبدو البطل هاديا لأمة بأكملها، يساعده من صدق به ويرتدي معه درع البطولة، ولكن بطولته المطلقة تظل سائدة متميزة، ففيها نور اليقين والهداية، وفيها قوة البطل على نشر الدعوة المسندة إليه جهادا دينيا بالدرجة الأولى.

ويشتد حرص الشاعر المسلم على تسجيل إيمانه بالرسول ﷺ من منطق الحس الغيبي، خاصة حين يسلم بالمبادئ العقائدية حول صدق الرسالة، وتأكيد الإيمان بمصدرها واليقين بواسطتها، ومن ثم راح شاعر العصر يسجل ما يستطيع من ملامح إيمانه بالدعوة من منطق الاقتناع بها من جانب، والخوف من عقاب الله سبحانه من جانب آخر.

## إيمان والتزام

وأوضح د.التطاوي أن الشاعر المسلم يستمد مادته اللفظية من رسول الله ﷺ، والهدى، والكتاب، والنور، والتقوى، والرضا،

والحذر من النار، فكانت الصياغة إسلامية المصدر، ومن منطلق الإيمان بأصول الدعوة الإسلامية راح بعض الشعراء يعرض من الجوانب الدينية ما حاول طرحه في شعره، وهو في ذلك لم يكن يستوحي المعاني أو الصور من معجم الجاهلية الموروث، بل بدا المعجم الإسلامي أساسا جديدا لمادة التصوير.

ويجزم د.التطاوي بأن الشاعر المسلم يستوحي من الدلالات القرآنية ضرورة حمد الخالق سبحانه وتعالى، ومع الحمد يرصد ضرورة التوحيد وعدم الشرك بالله، مما يقترب من كثير من معاني الآيات.

ويضيف أن روح الوضوح والإبانة أشد سيطرة على أذهان شعراء ذلك الجيل، فظهروا شديدي التأثر بقيم الدين الجديد ومعجمه، شديدي الالتزام بمبادئه، حتى جعلوا من شعرهم معرضا طيبا لها.. صحيح أنهم ظلوا على صلة وثيقة بالشكل الفني للقصيدة الجاهلية، ولكنهم لم يقصروا عن طرح القيم الجديدة من خلال ذلك الشكل - على تنوع مستوياته - بين قصائد طوال أو قصار أو مقطوعات أو حتى رجز، وفي غير حاجة إلى تعليق شيوع التقريرية ومباشرة الأداء بما يتسق مع إيقاع الحياة الجديدة، وطبيعة الموضوعات المعالجة في ظلالها، فثمة فروق مؤكدة بين موضوعات كالمدح أو الهجاء.

ويلاحظ على شعراء هذا الفريق أنهم ظلوا شديدي الصلة بالمصدر القرآني، يأخذ الواحد منهم من القرآن الكريم بحرص شديد، ولا غرابة في ذلك في فترة لم يكن مطلوبا من أولئك الشعراء، ولا المنتظر لديهم أن يفلسفوا قضايا العقيدة، أو أن يشغلوا أنفسهم عن تفسير الآيات القرآنية إلى تأويلها، خاصة أن تلك القضايا ظلت واضحة وضوح التساؤلات، وما يليها من بيان الإجابات الشافية من قبل رسول الله ﷺ، إلى جانب ما نص عليه من فتح باب الاجتهاد للعقل كمصدر ثالث لفهم العقيدة بعد الأخذ بكتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وقياس الأحكام على ضوء ما جاء به من صيغ التشريع.

وعلى هذا النحو بدا الشاعر المسلم واضح العقيدة وضوح لغته وشعره، فلم يشأ أن يصل بمبادئها إلى درجات من التعقيد، بقدر ما اكتفى بما أخذه منها عن اقتناع، مما دفعه إلى الجهاد في سبيل الانتصار لدين الله، وهو يصرح بذلك ويطرحه من منظور ديني محض، يدحض به شريعة الغزو والبطش التي شاعت في الجاهلية، فإذا بالنابغة الجعدي نفسه يرفض مطلب زوجته التي راحت تناشده البقاء خوفا عليه من الموت، فيجيبها بأنه لا عذر له إن تقاعس عن الخروج مجاهدا في سبيل الله، ومنفذا تعاليم الكتاب الكريم، بل كأنه يعكس معجمه اللفظي من خلال كتاب الله، وقد أطاع دعوته فكانت دافعا لإصراره على الخروج، ثم أطاعه مرة أخرى حين استقى منه مبرراته وإيمانه المطلق بقضاء الله وقدره.

## مبادئ العقيدة

ويقول د.عبدالله: لاشك في أن شاعر العصر الإسلامي الأول بدا قانعا بما التقطه من هذا المعجم الإسلامي، فكان امتدادا لسعادته باعتباره مسلما، على هذا النحو الذي صاغه في أقواله شاكرا الله على نعمة الإسلام، حيث استمد مادته من مؤشرات الآيات القرآنية في قوله تعالى ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ (النجم: ٦٢)، وقوله تعالى أيضا ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ (البقرة: ١١٢).

فكانت مادته موزعه بين السجود والتسليم والعقاب العاجل والآجل، ومشاهد جهنم كلها منتزعة من المعجم الإسلامي.

وعلى هذا النحو بدا المعجم الإسلامي معينا للشاعر على عرض القيم أو تصويرها سواء في سياق فخره أو هجائه على السواء، وقد تكرر الإلحاح على تصوير مبادئ العقيدة من منطق التأثر بالآيات القرآنية أيضا، فكانت منطقة الغيبيات أشد سيطرة على الأبيات بين حديث الجنة والنار ومشاهد القيامة.. وغيرها.

ويضيف أن المعجم الإسلامي عرف طريقه عبر موضوعات كثيرة، فإذا به يسود وينتشر لينسج خيوطه من خلال كل الموضوعات التي طرقها شعراء العصر تقريبا، ففي غير لوحات المديح أو الفخر تأتي المعاني الإسلامية بصورة مكثفة، ففي رثاء الشعراء لرسول الله ﷺ، وكذلك في رثاء الراشدين رضوان الله عليهم تبرز هذه الملامح المتميزة.

ومن هنا انتشر رصيد متميز من معاني الآيات القرآنية بين أبيات الشعراء، وكأنما حرصوا على انتقاء الألفاظ الجديدة التي تكشف عن القيم الإسلامية المستحدثة في العصر، ولم يكن للجاهلية بها عهد إلا فيما يتعلق بالأوثان، وعبادتها في الأرض، أما بقية المعاني والقيم فقد طرحت من منطق الحس الغيبي والتسليم بمشاهد القيامة والجنة والنار والبعث والنشور.

وكذلك كان صدور الشاعر المسلم عن المنطق العقائدي حول تعاليم الإسلام والاعتراف بنعم الله تعالى وحمده عليها، ومثله ما كان من أمر الوحي ونور الهداية إلى غيرها من المعاني الدينية التي عرضها حول العبادات ونور الله، والرسول، والنبي، والوحي، والهدى، والاستقامة، والرسل، والتوحيد، والعبادة، والجنة، وتنزيه الخالق وعلو شأنه، والاستعانة به، وقصر العبادة على توحيده والاعتراف بنعمه وفضله.

# المصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

**أنتجت الحضارة الإسلامية نظرية عسكرية متفردة الجوانب منذ اليوم الذي فرض الله سبحانه فيه الجهاد والقتال، وكان نزول قوله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ (الحج: ٣٩) مفتتحًا واضحًا بعد زمان طويل من الدعوة التي ترفع شعار «كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة»، وهي حقبة امتدت لتغطي مساحة البعثة المكية كاملة، وامتدت ظلالها مدة سنتين بعد الهجرة النبوية المشرفة تقريبا، يقول القرطبي في الجامع (٦٨/١٢) «لما هاجر نزلت ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا...﴾ وهي أول آية نزلت في القتال»(١) افتتح بها عهد الإعداد له.**

د.خالد فهمي
أستاذ اللغة في جامعة المنوفية

## القرآن الكريم يزخر بالعديد من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة والتخطيط

منذ هذا التاريخ البعيد تشكلت أبعاد النظرية العسكرية الإسلامية بنطاقاتها المختلفة من أصول حاكمة وأخلاق مقيدة، ومعرفة منظمة، وواكب هذا التطور والتشكل جهاز اصطلاحي كاشف عن هذه الحدود والأبعاد، وهو الأمر الذي يظهر أن تاريخ ظهور مصطلحات العسكرية الإسلامية يبدأ من الإذن بالقتال، وإن كان ثمة ألفاظ عسكرية موروثة من الحقبة الجاهلية، ولكن وهبها من روحه الإسلامية، وصبغها بصبغته ومبادئه.

### مصادر مصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية

### أولا: المصادر التاريخية

العناية بمصطلحات العسكرية العربية، جمعًا وشرحًا وتصنيفًا، لا يمكنها أن تتغافل عن مصنفات التاريخ العربي بحال من الأحوال، ويمكن تمييز عدد من أنواع المصنفات التاريخية المعتبرة وأهميتها في هذا السياق كما يلي:

١- المصنفات التاريخية المعنية في المقام الأول بالتأريخ لأيام العرب وحروبهم معًا قديمًا وحديثًا، ولاسيما مصنفات التاريخ العام، كتاريخ الطبري، والكامل لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير.

٢- مصنفات السيرة النبوية بوجه عام من لدن ابن هشام وإلى الصالحي الشامي صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، مع عدم إهمال المؤلفات المعاصرة في هذا الميدان.

٣- مصنفات الغزوات تعيينًا، من مثل المغازي للواقدي، والغزوات لابن حبيش، والاكتفا في مغازي الرسول والثلاثة الخلفا للكلاعي.

٤- مصنفات الفتوح الإسلامية، من مثل فتوح البلدان للبلاذري، والفتوح لابن أعثم الكوفي وغيرهما.

٥- مصنفات الحكومة الإسلامية أو إدارة الدولة عند المسلمين، من مثل تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، وشرحه وتطويره المسمى بالتراتيب الإدارية للكتاني.

٦- المصنفات الموسوعية العربية، كنهاية الأرب للنويري، وصبح الأعشى للقلقشندي.

٧- مصنفات التراجم الشخصية المعنية بالشخصيات العسكرية تعيينا، على ما نرى في سيرة صلاح الدين لابن شداد، والاعتبار لأسامة ابن منقذ.

### ثانيا: المصادر الشرعية

القرآن الكريم مليء بعدد ضخم من الألفاظ المتعلقة بالجهاد والقتال والتعبئة، والتخطيط، ومواجهة العدو، والجغرافية العسكرية، مما هو ظاهر في عمل المرحوم محمود شيت خطاب، مما سنقف عليه بعد قليل.

ولا تقل مصنفات السنة الشريفة أهمية في هذا الميدان، ذلك أن عددًا من أبواب كتب السنة تشتمل على ألفاظ عسكرية كثيرة، ولاسيما في أبواب الجهاد والفتن.

### ثالثا: المصنفات الفنية

١- مصنفات القنص والصيد، وهي مفيدة جدا في استخراج عدد من المصطلحات العسكرية العربية المتعلقة بالتدريب والخطط على وجه التعيين، بالإضافة إلى ألفاظ الأدوات وألفاظ الطرق التي كانت مستعملة في الصيد والقنص... إلى غير ذلك.

ومن أشهر مصنفات الصيد والقنص عند العرب: المصائد والمطارد لكشاجم، وانتهاز الفرص في الصيد والقنص للناشري(٢).

٢- مصنفات الأسلحة عند العرب، وهي مفيدة جدًا في استخراج المصطلحات العسكرية الخاصة بالأسلحة والذخيرة، ومفيدة في بيان ما كان مستعارا من غير العرب، ومن أشهر هذا النوع من المصنفات العسكرية الخاصة بصناعة الأسلحة عند المسلمين كتاب «الأنيق في المنجنيق، لابن أرنبغا الزردكاش» (٣).

٣-مصنفات المناصب الحربية، وهي مهمة في الكشف عن جوانب الفكر العسكري

الإسلامي وما قدمه من أفكار حول الخطط العسكرية والآلات، ومن الكتب المهمة في هذا المجال كتاب الفروسية والمناصب الحربية، لنجم الدين الرماح المعروف بالأحدب (٤).

## رابعا: المعاجم اللغوية العربية

ضرورة العناية الفائقة بفرع من المعاجم العربية الخاصة بالموضوعات العسكرية، مما يسمى في تاريخ المعجمية العربية بالرسائل اللغوية الصغيرة، أو المعاجم الموضوعية ذات الموضوع الواحد، مثل كتاب السلاح لأبي عبيد، وأسماء السيف لابن خالويه، والرسائل الخاصة بالنبل والسهام والرماح.

خامسا: مؤلفات رواد النهضة الإسلامية المعاصرة

كان من المجالات التي لمسها هؤلاء الرواد ضرورة التنبيه إلى خطر إزاحة عدد من المصطلحات المتعلقة بالهوية الإسلامية، ومنها عدد من المصطلحات العسكرية المنبثقة من الحضارة العربية والإسلامية؛ فظهر التحذير من إماتة ألفاظ من مثل: الجهاد لمصلحة الدفاع، والمجاهد لمصلحة الجندي أو العسكر، والمرشد لمصلحة ألفاظ أجنبية أو معربة للفظ مكافئ دال على رتبة عسكرية بعينها.

ومن المهم جدا عدم إهمال أمثال كتابات محمد عبده ورشيد رضا وحسن البنا والعقاد ومالك بن نبي وعلال الفاسي، والبشير الإبراهيمي، والكواكبي وغيرهم حول شروط النهضة والتغيير والإصلاح.

## وظائف المصطلحات العسكرية

### ١- الوظيفة الدينية

والإيمانية؛ بمعنى أن النظر إلى حقل المصطلح العسكري في لغة العرب يصور ما صبغه الإسلام لهذا الجهاز الاصطلاحي؛ ذلك أن عددا من الألفاظ العسكرية أصابها قدر ضخم من التطور أو التغير على مستوى الدلالة والمعنى، بحيث يمكن قياس فارقٍ ما بين دلالات المصطلح العسكري الإسلامي ودلالات المصطلح العسكري العربي قبل الإسلام؛ وقراءة ألفاظ من مثل: المُثلة قائد إلى تصور منظومة الأخلاق التي أحاطت بعدد كبير من ألفاظ هذا الميدان المعرفي.

### ٢- الوظيفة الحضارية والمعرفية

يؤدي معجم المصطلحات العسكرية دورًا حضاريًا بما يعكسه من علامات تصب في هذا الباب المهم؛ ذلك أن الألفاظ العسكرية في العربية تعكس ما طوره المجاهد المسلم في مجالات العمل العسكري المختلفة بدءًا من الإعداد والتعبئة، وانتهاء بالنصر أو بتوقف القتال.

### ٣- الوظيفة اللغوية

وهي من الوظائف الهامة جدا في السياق المعاصر، لاسيما في مواجهة عدد من الأصوات المنتمية معرفيا لحقول العلم التطبيقية والتجريبية والتقنية، والتي لا ترى في الأفق قدرة للعربية على استيعاب المنجز المعرفي الغربي في هذه الميادين والتفاعل معها والتعبير عنها؛ ذلك أن تأمل ما وضعه اللسان العربي من تسميات ومصطلحات لعدد ضخم جدا لتصورات ومفاهيم منضوية تحت العلوم العسكرية، وما استطاعت أن تستوعبه هذه المفاهيم وتعربه مما نقل من تسميات ومصطلحات عسكرية من الأمم الأخرى لهو أمر يدعو إلى الإعجاب بهذه اللغة.

### ٤- الوظيفة المعجمية التاريخية

ثمة تأريخ لعدد كبير من الابتكارات في الميدان العسكري، في معاناة العرب المسلمين في جهادهم الطويل دفعا أو طلبا، وهو ما واكبه استحداث ألفاظ دالة معبرة عن هذه المبتكرات، مما يسهم في خدمة المعجمية التاريخية العربية في الحقل المتخصص.

## في المعجمية المعاصرة

مع الإقرار بالآثار السلبية لتغييب عدد كبير جدا من المصطلحات العسكرية العربية- لأسباب كثيرة- عن الاستعمال العسكري المعاصر، لعل أهمها روح التبعية التي خلفها الاحتلال الغربي في البلدان العربية المختلفة، فإن ثمة بعضا من ملامح العناية بالمصطلحات العسكرية في الحضارة الإسلامية في المعجمية المختصة المعاصرة، نقف عند تجربتين تعكسان وعيا بقيمة هذا التراث الممتد لألفاظ العسكرية العربية الإسلامية، وهما:

١- «معجم المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم»، لمحمود شيت خطاب، يرحمه الله، والذي صدر عام (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) في مجلدين، الأول يبدأ بالهمزة وينتهي بالطاء، والثاني يبدأ بالعين وينتهي بالياء، فيما يقرب من مائة وألف صفحة.

٢- «معجم السفن الإسلامية»، لدرويش النخيلي، الذي صدر بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧٤م.

وقد اعتنى فيه ببيان أنواع السفن الحربية، وهو ما يدخل في الميدان الذي نعرض لأشكال العناية به في اللسان العربي، وقد رتبها جميعًا على حروف المعجم، وفق الترتيب الهجائي الشائع طلبًا للتيسير، وقد كان صانع هذا المعجم حريصًا على بيان السفن الحربية، بالنص تعيينا لمستوى استعمالها.

# اللفظ والمعنى

عبدالهادي صافي

**هذه القضية لها أهميتها وخطرها في باب النقد، وقد اشتغل عليها كثير من النقاد في العصر العباسي، وليس ابن رشيق بدعا بين النقاد، ولكنه في كتاب العمدة يكرر هذه القضية ويثيرها من جديد، لأن الجدل والصراع النقديين يكادان لا ينتهيان حولها.**

**والسؤال يجب أن يطرح على النحو التالي: أيهما أكثر تأثيرا في العملية الشعرية اللفظ أم المعنى؟! وأين تظهر الشاعرية؟! وأين يكمن الإبداع الشعري، في اختيار اللفظ، أو في شرف المعنى وجدته وحداثته وطرافته؟!**

هناك من الشعراء والنقاد القدامى من كان يفضل اللفظ على المعنى، ويجعله كل اهتمامه وغايته، يقول ابن رشيق في معرض الحديث عن اللفظ والمعنى «ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب: منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووكده، وهم فرق: قوم يذهبون إلى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار بن برد:

**إذا ما غضبنا غضبة مضرية**
**هتكنا حجاب الشمس أو قطّرت دما**

وهذا النوع أدل على القوة، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار، وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر...».

وهذا الاختلاف في اللفظ والمعنى بدأ منذ العصر الأموي، واختلف الأدباء فيما بينهم عليهما، وصارت هذه القضية مدار النقد كله، ثم اختلفوا في اللفظ أيهما أفضل، اللفظ الجزل القوي الذي يذهب فيه الشاعر مذهب القدماء من الشعراء، واللفظ الحوشي الغريب، أم اللفظ الجديد يبتدعه الشاعر ابتداعا ويستخرجه استخراجا دونما اعتماد على المتقدمين من الشعراء، واختلفوا كذلك في المعنى أيه أفضل، المعنى الذي يصور حياة البادية والصحراء والفيافي والإبل، أم المعنى الذي يصف حياة الشاعر وواقعه ومحيطه وبيئته.

إن اختلاف النقاد في العصور الأدبية المختلفة دليل على تعمقهم في النقد، فقد نقدوا اللفظ ونقدوا المعنى واختلفوا في نقدهما أيما اختلاف، ودخلوا في التفاصيل فأثاروا قضايا نقدية تثير الدهشة والإعجاب، وكانت الأجواء والمناخات الأدبية متاحة لهذه المناقشات والخصومات، فبعد الفتوحات الإسلامية، وانتشار الإسلام، هدأ الناس، واستراحوا واطمأنوا في أمصارهم وبلدانهم، فراحوا يبحثون في الأدب والنقد، ويكتبون في التاريخ والمدن والأمصار، ويؤلفون في الحديث والفقه والتفسير، ويترجمون الكتب اليونانية إلى العربية ويقيّمون ويشرحون وينقدون.

ولابن رشيق في هذا الفصل كلام جديد، لم أقرأ مثله في الكتب النقدية القديمة، يجد فيه الارتباط المحكم بين اللفظ والمعنى، وكأنني به يقول لا يكون التفاضل بين اللفظ والمعنى، ولا يصح ذلك لأنهما مرتبطان ارتباط الروح بالجسد، إنه يقدم لهذه المسألة النقدية بهذا التقرير القوي المتين: «اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوته، فإذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه، كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك، من غير أن تذهب الروح، وكذلك إذا ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ من ذلك أوفر حظا، كالذي يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ، وجريه فيه على غير الواجب، قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح، فإن اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه، وإن كان حسن الطلاوة في السمع، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأي العين، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى، لأنا لا نجد روحا في غير جسم البتة».

فالرأي عنده ليس في تفضيل اللفظ على المعنى ولا في إيثار المعنى على اللفظ، وإنما اللفظ والمعنى كلاهما ضروري لإقامة البناء الفني للقصيدة، وهذا رأي معتدل ومنصف، فاللفظ يجب أن يكون سليما غير مختل من حيث حروفه، يجري على قواعد الفصاحة والبلاغة مع خلوه من التعقيد والغرابة وتكون مخارج حروفه متقاربة، بالإضافة إلى جزالته ومتانته، والمعنى يجب أن يكون قويا لا ضعف فيه، وصحيحا لا سقم يعتريه.

إن خصائص اللفظ عند هذا الفريق، الذي يؤثر اللفظ على المعنى، أن يكون فخما، جزلا، يجري على مذهب العرب، غير متكلف ولا متصنع، وفريق آخر «ذهب إلى سهولة اللفظ فعُني بها، واغتفر له في الركاكة واللين المفرط كأبي العتاهية، وعباس بن الأحنف، ومن تابعهما...».

والفريق الآخر الذي يؤثر المعنى على اللفظ فأولئك- برأي ابن رشيق- يضعون شرطا فنيا هو صحة المعنى وإن كان اللفظ هجينا خشنا قبيحا، ويمثل لأصحاب هذا المذهب بابن الرومي وأبي الطيب وما شاكلهما، ويسميهم المطبوعين الذين يجرون على الطبع دونما تكلف للفظ أو رونق.

وأما الذين يفضلون اللفظ على المعنى ويعطونه الأسبقية في عملية الشعر فيضعون

كاتب سوري

أسبابا فنية لرأيهم ومذهبهم الأدبي «وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى، قال العلماء: اللفظ أغلى من المعنى ثمنا وأعظم قيمة، وأعز مطلبا، فإن المعنى موجود في طباع الناس، يستوي الجاهل فيها والحاذق، ولكن العمل على جودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف، ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر، وفي الإقدام بالأسد، وفي المضاء بالسيف، وفي العزم بالسيل، وفي الحسن بالشمس، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر» .

إن جهود ابن رشيق القيرواني في النقد تدلّ على شدّة حرصه على المساهمة في البناء المعرفي النقدي في عصره، والتميز النقدي الذي نراه واضحا أمامنا يدل على تفتح في الذهنية الثقافية عنده، كان ذا فكر مستقل، وشخصية خصوصية لا تنساق لآراء سبقت، ولا ينجر وراء أفكار قديمة، ولكنه يحاول- ما استطاع- أن يجد لنفسه رأيا ومذهبا نقديا مغايرا ومختلفا عن سائر الآراء والمذاهب التي سادت عصره أو تلك التي وجدت قبله.

ولكنه عرض لرأيه النقدي ومذهبه الفني في بداية الحديث عن اللفظ والمعنى، وأعلنه مسبقا حين قال بالارتباط القوي بين اللفظ والمعنى وبأن اللفظ جسم روحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم.. فلا يصلح، بناء على هذا، في عملية الإبداع الشعري أن تقوم على أحد هذين العمودين، وقد شبه تخلف اللفظ عن المعنى بالرجل المريض المشلول، جسمه شاخص للعيان إلا أنه لا قدرة له على الحركة والمسير، فالقصيدة الشعرية لا تقوم لها قائمة إلا بهذين الأساسين اللفظ والمعنى، فمن يفضل اللفظ على المعنى- برأيه- خاطئ، ومن يفضل المعنى على اللفظ جانب الصواب.

ومع شدّة حرصه على التجديد والحداثة إلا أنه لا يسمح بتجاوز عمود الشعر وخصائصه الموروثة وتقاليده وأصوله المعتمدة، ونراه يغلق الباب والنوافذ أمام تيارات التجديد في الأدب، فهو يختتم حديثه عن اللفظ والمعنى بهذا الكلام القاسي بحق النقد والتجديد «وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكُتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة، وعلى سبيل الخطرة، كما فعل الأعشى قديما وأبو نواس حديثا، فلا بأس بذلك.. والفلسفة وجرّ الأخبار باب آخر غير الشعر، وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرّك الطباع، فهذا هو الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه» .

إن ابن رشيق يعلي من شأن القارئ، ويرضي غروره، ويقدم إليه عبر النص كل ما يحتاجه من موسيقى شعرية تهزه من الأعماق، وإلى تحريك غرائزه الحسيّة، وإذا أعطينا رأي ابن رشيق أبعاده، يمكن أن نقول إن قوله في العناية بالمتلقي يتقاطع مع ما تذهب إليه البنيوية والتفكيكية من الاحتفال بالمتلقي وإغفال كل ما هو خارج السياق النصي.

وهكذا يأخذ ابن رشيق يوضح هذه القضايا الأدبية التي اشتغل عليها النقاد القدامى، يوازون بين الألفاظ ويقارنون بينها، فالألفاظ يجب أن تكون أدبية تعلو على ألفاظ السوقة، ولا تقترب من الألفاظ الوحشية، ولكننا نتساءل هنا: لماذا كان هذا التعويل على إثارة هذه القضية.. قضية اللفظ والمعنى؟ أهما فقط من أعمدة القصيدة العربية، دون الالتفات إلى أعمدة أخرى، أو مقومات فنية للقصيدة العربية؟ لماذا لم يبحث قضية الصورة الفنية في هذا الوقت- وقت ابن رشيق- ولماذا لم يبحث قضية الوزن الشعري ووجوب مواءمته لموضوع القصيدة؟! أو غيرها من القضايا التي تتعلق ببناء القصيدة العربية، ولكي لا نظلم ابن رشيق علينا أن نتوسع في مصطلح اللفظ والمعنى إلى مصطلح أكبر وأوسع وهو مصطلح الشكل والمضمون، والشكل يجمع الألفاظ والتراكيب والصور، والوسائل التعبيرية الأخرى، وهذا ما يرمي إليه ابن رشيق القيرواني.

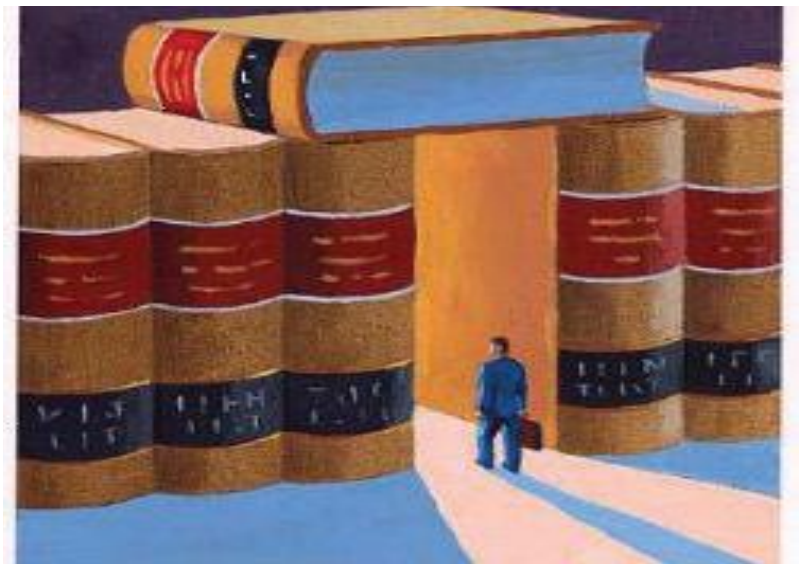

مع استحداث عام للطفل:

# أدب الطفل.. من يقف إلى جانبه؟

السيد مسعد

**حينما يصرخ كاتب كعبدالتواب يوسف بأن ثقافة أطفالنا مريضة، وأن إعلام أطفالنا عليل، فبالقطع يكون هناك خطر.. لماذا؟**

**لأن عبدالتواب يوسف كاتب أوقف قلمه وفكره وشطرًا من حياته منذ أن تخرج في دار العلوم، على الكتابة للطفل، ووسائله: الكتاب والإذاعة والتليفزيون وبعض المجلات المتخصصة، والصحافة العامة.**

**ولأن له مؤلفات عن الطفل مثل: فصول في أدب الطفل المسلم، فصول حول الطفل والقراءة، شموع في ثقافة الطفل، فصول في أدب الطفل العربي، فصول في أدب الطفل العالمي.**

**ولأن من قصصه للطفل: خيال الحقل، الشجرة المنتصرة، أشبال ٦ أكتوبر، الله جل جلاله، قلبي وعقلي وقلمي، ولأنه حائز على جائزة الدولة التقديرية في أدب الطفل.**

أما لماذا هذا القلق؟ فيجيب في بحث عن أدب الطفل (١)، وعلى لسان من تعرض للكتابة للطفل، وهو واحد منهم، قائلا: لأننا قدمنا لأطفالنا على الشاشة الصغيرة، سذاجة مقيتة، وإعلانات رديئة، وأفلام عنف مدمرة لقيمنا وتراثنا.

ومن خلال الميكروفون، ضاعت كلماتنا وأصواتنا وسط ركام من نصائح غليظة كالعصي، ووعظ منفر كالقذائف.

وعلى خشبة المسرح.. عرضنا عرائس باهتة، هزيلة الشكل والمضمون، في عمل واحد سنوي يخبو وينطفئ لتتكرر المحنة.

وفي السينما، اكتفينا بالمستورد الذي لا يمت إلينا ولا ينتمي، وشاشة السينما لم تضأ لأكبادنا.

وفي الصحافة، تقف مجلة عربية واحدة أمام سيل المترجمات.

وأما في مجال الكتاب، فقد تركنا نهر «الفجالة»، حي المكتبات بالقاهرة، المتدفق بالكتب السيئة، وغمرتنا أعمال «بيروت» مخربة.

ثم، انساب فيض كتب الشرق- المترجمة والملونة- تساندها الكتلة الشرقية، وإلى جانب ما يغمرنا به الغرب تسانده دوله.

ويثور سؤال: من يقف بجانب الثقافة الوطنية والقومية؟

ويأتي الجواب من خلال سطوره.

حيث يرى أن أطفالنا يولدون أذكياء، بل أقرب إلى العباقرة، لكن التوجيه الثقافي يجانبه الكثير من الصواب، وأنه بات من الضروري أن نمسك بأيدينا ثقافة أبنائنا، فإننا إذا كنا اليوم نملك مصائرهم فلسوف يملكون هم غدنا، فإذا أساءوا إلينا فنحن إذن الملومون.

وفي سبيل العلاج.. فإنه يجب ربطهم بكتب التراث العربي والإسلامي، منها تلك التي يبدأ الصغار في قراءتها في سن مبكرة، مع أنها ليست مكتوبة لهم.

من بين هذه الكتب.. المعالم، أعظم كتاب حكايات ظهر في العصر الوسيط ومازال يقرأ بلهفة وشغف، ومازال منبعًا، كتاب «ألف ليلة وليلة»، وما نظن أن طفلًا في العالم منذ دون هذا الكتاب في القاهرة، لم يسمع بـ: شهرزاد، ودنيا زاد الصغيرة، والحكايات التي أنقذت رقاب الفتيات وأنقذت البشرية.

ومن بين هذه الكتب المعالم، «حي بن يقظان» لابن طفيل، ويحكي عن طفل وحيد ولد ونشأ في جزيرة بلا رفيق، وبالفطرة تعرف على وجود الله سبحانه وتعالى، وبعده بستة قرون ظهرت «روبنسون كروزو» متأثرة بها.

ومن هذه الكتب المعالم في تلك الفترة «كليلة ودمنة» لابن المقفع، وهو من أروع ما كتب عن الحيوان وقصصه.

وعندنا السير الشعبية، والملاحم قريبة منها، إنها حكايات طويلة عن أبطال كان لهم دورهم في المجتمعات.

وحديثًا وبالذات، في العصر

كاتب مصري

الحديث، الذي اصطلح على أنه يبدأ مع حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م وما تبع ذلك من ثقافات غربية، نرى مسايرة أدب الطفل لها، ومن معالمه في البداية: رفاعة الطهطاوي، الأزهري المتفتح المتقد الذهن، الذي سافر إمامًا لبعثة طلابية الى فرنسا، وإذا به يتحول إلى طالب علم ودارس من الطراز المتفرد وعاد إلى مصر ليشع النور في البلاد، ويعطي للتعليم عناية واهتمامًا، وأبدع العديد من الأعمال التنويرية (المرشد الأمين للبنات والبنين، روضة المدارس - مجلة للمعلمين والطلاب معًا، ثم تخليص الإبريز في تخليص باريز) وبالقطع انعكس كل ذلك على البلاد العربية والإسلامية فيما بعد، ومن ناحية أخرى، تأثرت البلاد بما حدث في أوروبا، وتأثر أطفالنا بأدب: إيسوب، وشارل بيرو، ولافونتين، وجريم، وأندرسون، وقد حدثت محاولات للإضافة، بمعنى أن عثمان جلال وأمير الشعراء شوقي، وغيرهما قدموا صياغات منقولة عن هؤلاء الرواد، شعرية جميلة، وتبعهم إبراهيم العرب، وهو شاعر مصري ألف ديوان شعر للأطفال نشر عام ١٩١١م، ثم معروف الرصافي، من العراق، ثم شعراء أطفال معاصرون من بينهم: سليمان العيسى من سوريا، فاروق سلوم من العراق، حسين سرحان من السعودية، ابراهيم شعراوي من مصر.

وجميعهم كانوا يحاولون استرجاع الأطفال إلى ساحة الشعر بعد أن غادروها منذ وقت بسبب الشعر المدرسي الجاف الذي تتضمنه كتبهم المنهجية.

أما في ميدان القصة..

فإن الريادة، بالقطع، كانت لكامل كيلاني الذي بدأ في نشر أعماله منذ عام ١٩٢٧م، مقتبسًا ومترجمًا، ثم محمد سعيد العريان الذي كتب «رحلات سندباد»، ومحمد فريد أبوحديد الذي كتب أولى الروايات العربية للأطفال، في أوائل الأربعينيات من القرن الماضي، مثل «عمرون شاه»، «كريم الدين البغدادي»، ومن منا- في العالم العربي- لم يقرأها في طفولته؟

ثم بعد ذلك بفترة زمنية، يأتي توفيق الحكيم، أحمد عطية الله، أمين بقطر، أحمد شفيق زاهر، محمد صادق عبدالرحمن (بابا صادق) ثم فؤاد حجازي، أحمد نجيب، وصفى آل وصفى، عبدالمنعم خوجة، عبدالتواب يوسف- في المقدمة طبعًا، وكاتب هذه السطور.

## ما هو أدب الطفل؟

الحقيقة، أن الإجابات كثيرة، ومتضاربة أيضًا، منها ما أنكرت وجود شيء اسمه أدب الطفل انطلاقًا من أن كل ما يكتب للأطفال ما هو إلا تعليم وتربية، كما جاء في مؤتمر اتحاد الكتاب بالجزائر، ومنها ما رأت أنه الأدب المكتوب للأجيال الجديدة، كما جاء بندوة كتاب آسيا وإفريقيا.

بينما رأت مادلين لنجل، رئيس اتحاد الكتاب في أميركا، أنه لا شيء اسمه الكتابة للطفل قائلة: أنا أكتب أدبًا فمن يجد لديه الرغبة في قراءته فأهلًا وسهلًا، لكنني لا أستهدف قارئًا صغيرًا ولا مرحلة عمرية في كتاباتي.

## الأطفال يولدون أذكياء وعباقرة لكن التوجيه الثقافي لهم يجانبه الكثير من الصواب

## معاونة الطفل على القراءة

ومهما كانت التعاريف فإن الهدف هو إيصال هذا الذي يكتب للطفل، من أدب وثقافة، إلى الطفل ذاته، لكن لابد من الوقوف عند نقطة مهمة ألا وهي: متى يبدأ الطفل في التدريب على القراءة الاختيارية؟

والجواب.. يكون ذلك بعد أن يتعلم الطفل القراءة، وما من نقطة محددة بعد ذلك تغرس عادة القراءة ولا نقطة انتهاء، بل هي عملية تدريجية، وربما تبدأ قبل سن المدرسة بألفة خاصة للكتاب.

لذلك يرى البعض تقسيمها إلى مراحل يعتبرونها كلًا متكاملًا، حيث إن القارئ الجيد هو من كانت لديه ثروة لغوية كبيرة يستطيع أن يلون بها قراءته بشكل متوازن، كما أنه يقرأ بسرعة، خاصة إذا كانت الرواية خفيفة ليخرج منها بأفكار وانطباعات عامة، أما القراءة ذات الطابع العلمي فلابد لها من التفاصيل، فيقرأ بعناية أكبر وفي تمهل لتثبيت المعلومات وترابطها.

ومما لاشك فيه أن هناك عوامل مؤثرة في علاقة الطفل بالقراءة تتمثل في:

العوامل المادية، وهي الصحة والبصر والسمع، وفي وقت القراءة، مكانها، الضوء والجلسة.

والسرعة في القراءة، وهذه تأتي من القراءة «الباطنة»، وهل هي قراءة كلمات، أم عبارات وجمل كاملة؟ الى أي مدى تمضي العين في السطور المقروءة؟ هل تتغير السرعة إزاء المادة المقروءة؟

ثم .. القراءة الجهرية، إذ لابد من نطق الكلمات نطقًا صحيحًا دون جهد أو تعب وبشكل يفهمه السامع، وبعدها: هل يمكن التلخيص؟

والحصيلة اللغوية، هل قاموس هذا الطفل كبير؟ هل قاموسه في كل مادة واسع؟ هل يفهم الكلمات الصعبة أو الجديدة من خلال ما يقرأ؟ هل يلجأ إلى المعاجم؟

والفهم والاستيعاب، مثلًا، الهدف من القراءة، هل تحقق؟ هل يركز دون تشتت؟ هل يدير في رأسه ما قرأه؟ هل يصل إلى الفكرة الأساسية للموضوع المقروء؟ هل يمكن أن يلخصها؟

وهناك أشياء تعين على القراءة، مثل: الوسائط التعليمية (الوسائل)، الصور، هل يعرف كيف يقرأ الصورة؟ وهل يستخدم دوائر المعارف؟ الأطالس؟... إلخ.

وأخيرًا.. ماذا قرأ الطفل بشكل منتظم في الشهور الأخيرة؟ أهي قراءات منوعة؟ هل يستسهل؟ هل يحسن الاختيار؟ هل يحدد الكتب التي يحتاجها بالذات؟

**الهوامش**

١- عن أدب الطفل «الهيئة العامة لقصور الثقافة» سلسلة «مكتبة الشباب» رقم ٢٣.

# «نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار

للإمام بدرالدين العيني (٧٦٢هـ-٨٥٥هـ)

التحرير

**اسم الكتاب: نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار.**

**المؤلف: الحافظ بدرالدين العينيّ الحنفيّ.**

**الجهة الطابعة: طبع هذا الكتاب في تسعة عشر مجلدا (١٩)، بتحقيق الأستاذ ياسر بن إبراهيم، وقد قامت على إخراجه لجنةُ إحياء التراث الإسلاميّ بإدارة الشؤون الإسلاميّة بوزارة الأوقاف القطرية.**

## ترجمة الإمام الطحاوي صاحب الكتاب الأصل

هو العلامة الحافظ الكبير، محدث الديار المصرية وفقيهها، أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبدالملك الطحاوي الحنفيّ، ولد سنة ثمان وثلاثين ومائتين، ومات سنة إحدى وعشرين وثلثمائة، وبرز في علم الحديث وفي الفقه، وكان ثقةً ثبتًا فقيهًا عاقلًا، لم يخلّف مثلَه. قال الشيخ أبوإسحق الشيرازيّ في «طبقات الفقهاء»: «وأبوجعفر الطحاويّ انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر، أخذ العلم عن أبي جعفر بن أبي عمران، وأبي خازم وغيرهما، وكان شافعيًّا يقرأ على أبي إبراهيم المزني، فقال له يوما: والله لا جاء منك شيءٌ، فغضب أبوجعفر من ذلك، وانتقل إلى ابن أبي عمران، فلمّا صنّف مختصره، قال: «رحم الله أبا إبراهيم؛ لو كان حيًّا لكفّر عن يمينه». صنّف «اختلاف العلماء»، و«الشروط»، و«أحكام القرآن»، و«معاني الآثار».

## هذا الكتاب دفع الشبهات التي علقت بأذهان البعض ... فأضحى كنزاً للأحناف في نصرة مذهبهم

## ترجمة الحافظ بدرالدين العيني صاحب الشرح

هو الحافظ محمود بن أحمد بن موسى بن محمود البدر الحلبيّ الأصل ثم القاهري الحنفي ويعرف بالعيني، ولد في ١٧رمضان ٧٦٢هـ، وكان إمامًا عالمًا علامة عارفًا بالصرف والعربية وغيرها، حافظًا للتاريخ وللغة، مشاركًا في الفنون، لا يملّ من المطالعة والكتابة، اشتُهر اسمه وبعُد صيته، مع لطف العشرة والتواضع، وقد حدّث وأفتى ودرّس، وأخذ عنه الأئمة من كلّ مذهب، طبقة بعد أخرى، ومات في ليلة الثلاثاء سنة ٨٥٥هـ.

## أهمية الكتاب الأصل «شرح معاني الآثار»

كتاب «شرح معاني الآثار» من الكتب المهمة والنفيسة، ذات الفائدة والنّفع، ولعل المتأمّل فيه يجده نفيسًا جيّدا في بابه، وقد قال الحافظ الذهبيّ- رحمه الله- في ترجمة الإمام الطحاويّ من كتابه «السِّير»: «ومَن نظر في تواليف هذا الإمام علِمَ محلّه من العلم وسَعَة المعرفة»، وممّا يدل على عِظَم علْم الطحاوي- رحمه الله- واتّساع روايته وجلالة قدره في البحث والمدارسة: أنّه ربما أخرج في حكم واحد نادرِ الوقوع بالنسبة إلى غيره عن اثني عشر صحابيًّا، مع استنباط الأحكام والتوغّل فيها (كما في باب الصدقة على بني هاشم مثلا).

وقد كانت للحافظ بدرالدين العينيّ- رحمه الله- عناية خاصة بهذا الشرح، وكان الدّاعي لتأليفه شرْحَهُ عليه؛ دفع اتهام الحنفيّة- رحمهم الله- بأخذهم بالرأي وتأخيرهم للأثر، لذلك

# العيني شرح الكتاب شرحاً جميلاً منسقاً شاملاً

شدّ العزم، وأخرج ما في جعبته لنصرة المذهب، ودفع الشبهات التي علقت بأذهان البعض عنه، فأضحى هذا الكتاب كنزًا للأحناف في نصرة مذهبهم.

## منهج العيني في شرحه

شرح العيني كتاب «شرح معاني الآثار» شرحا جميلا منسّقًا، يذكر فيه مناسبة الحديث للباب، ومناسبة الباب لما قبله من الأبواب، ويتكلم على رجال إسناده بإسهاب، ويبيّن فيه اللغات والإعراب، ووجوه المعاني والبيان، والأسئلة والاعتراضات والأجوبة، وتخريج مواضع الحديث، وما يستنبط منه من الأحكام.

وقد قام- رحمه الله- بوضع الحرف (ص) قبل الفقرة التي يريد شرحها من الكتاب الأصل؛ دلالة على أنه من كلام المصنِّف، أو إشارة إلى أن هذا الكلام هو صدر الكتاب، ووضع الحرف (ش) قبل شرحه؛ إشارة إلى أنه كلامه هو.

ثم يبدأ شرح الأبواب مبتدئا بتفسير الترجمة وعلاقة الباب بما قبله وسبب تأخيره عنه.

ثم يترجم رواة الحديث رجلا رجلا، مقتصرا على اسمه ونسبه ولقبه ومرتبته في الجرح والتعديل، وذكر من وثقه ومن جرحه، ومن أخرج له من أصحاب الكتب الستة.

وغالبا ما يضبط الأسماء والألفاظ المشتبهة بالشَّكل أو بالحروف.

ثم يذكر من أخرج الحديث من أصحاب الكتب الستة، ويحكم على الحديث بالصّحة أو بالضعف على حسب ما تبدَّى له من نظره الفاحص- رحمه الله.

ثم يشرع في شرح غريب الألفاظ، وإعراب ما يشكل من الجمل والكلمات، ثم ينقل آراء المذاهب الفقهية المتعلقة بالمسألة ويناقشها ويتوسّع فيها، فيذكر آراء الصحابة والتابعين وبقية الفقهاء، مع أدلتهم والردود عليها، وغالبا ما يرجّح رأي مذهبه الحنفيّ وينتصر له ويقرره، وربما تكلّف الرّدّ على من خالفه، ناقلا عن أمهات كتب الفقه والحديث.

ومن عادة الحافظ العيني- رحمه الله- أنه يكثر من إيراد الاعتراضات مبرزا إياها بقوله «فإن قيل» ويجيب عنها بقوله «قلت»، وغالبا ما يذكر بعض الفوائد المنتقاة من الأحاديث في آخر كل حديث، وربّما يُعمّي الطحاوي بعض الفقهاء أو الفرق والمذاهب، فيقوم العيني ببيان ذلك وتوضيحه وتسميته.

وعند انتهاء المسألة وسرْد أدلتها يذكر في الغالب الأحاديث التي لم يذكرها الطحاوي ويخرجّها.

(ملاحظة: أكثر ما ورد في التعريف بهذا الكتاب مقتبسٌ من مقدّمة المحقق ياسر بن إبراهيم).

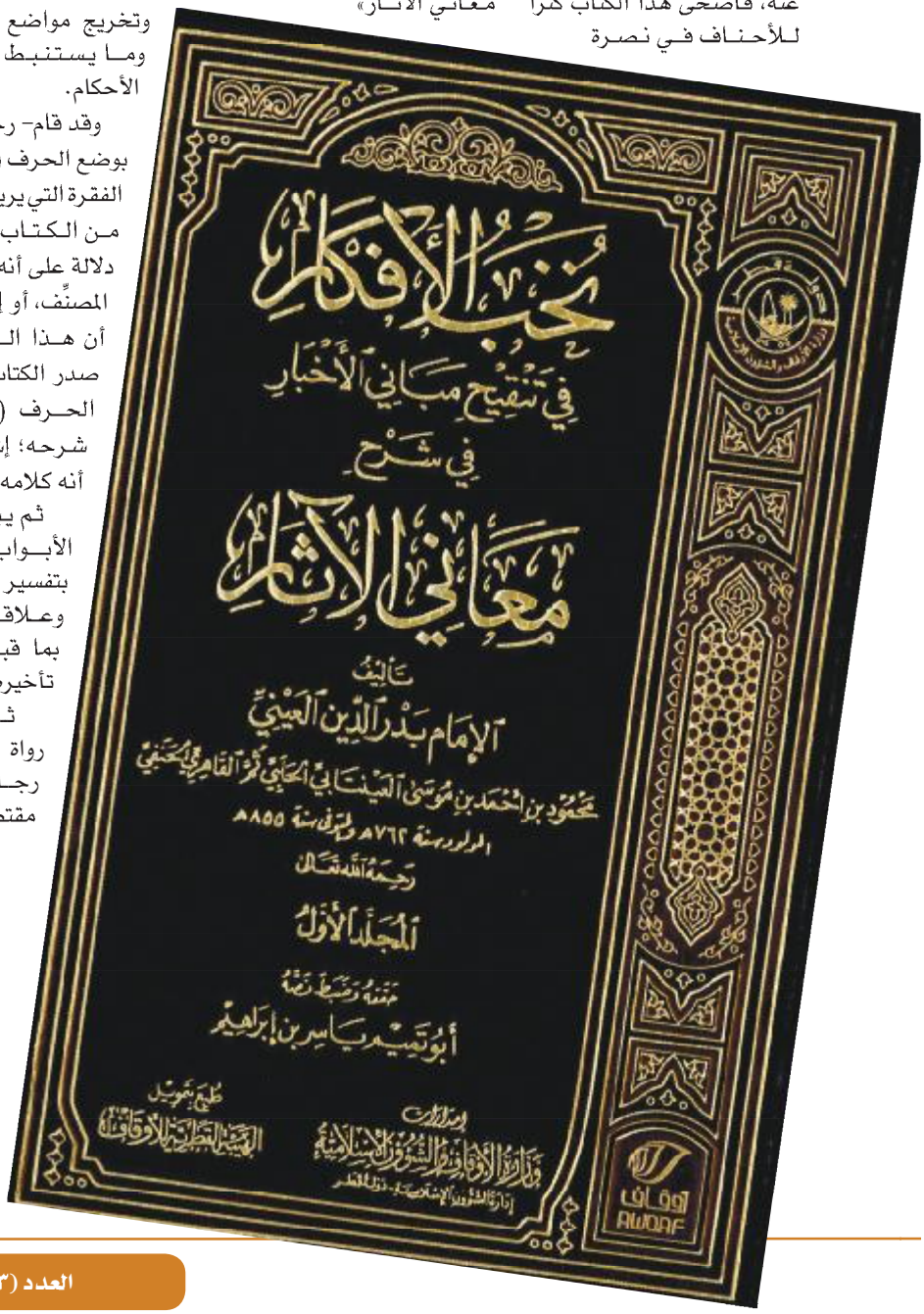

# مُساجلات الأقران

## بين الإمامين الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهما الله تعالى

## حول (الدعاء الدُّنيويّ في الصلاة) و(الرّدّ على أهل المدينة)

**مساجلاتُ الأقران ركنٌ شرعيٌّ وأدبيٌّ، وتاريخيٌّ توثيقيٌّ، يعرض لبعض ما وقع لرجالات العلم، وأئمّة الدّين، وسادة اللغة والأدب، وأوعية الحديث والفقه، وأرباب الفنون المختلفة في محاوراتهم أو مراسلاتهم أو مناظراتهم، وربّما تناول بالسَّرْد والتّحقيق ما تَبَارى فيه الشّعراءُ والحكماءُ والمفكّرون والبُلغاء، كلّ ذلك بغية تصوير ما كان عليه المتقدّمون والمتأخّرون من تمام العقل، وسَعَة الصّدر، وجودة القريحة، وصفاء النّفس، وهي رسائل ناطقة وصامتة للتعلّم وحُسن التّهدّي، تدعو مَن يقف عليها من عموم المثقّفين للتأمّل وطول التدبّر في كيفيّة معالجة ما يقع للنّفوس من الخلل والتأثّر السّلبيّ النّاجم عن ضيق النّفس، وكآبة الضمير، وقلّة الدّراية والفَهم. جاء في لسان العرب: ٣٢٥/١١ «أصل المُساجَلة: أن يَستَقيَ ساقيان فيُخرجُ كلّ واحد منهما في سَجْله مثلَ ما يُخرج الآخر، فأيُّهما نَكَل فقد غُلِبَ. فضربته العربُ مثلا للمُفاخرة، فإذا قيل: فلان يُساجِل فلانا، فمعناه: أنه يُخرج من الشّرف مثلَ ما يُخرجه الآخرُ، فأيُّهما نَكَل فقد غُلب، وتَساجَلوا، أي: تفاخروا، ومنه قولهم: الحربُ سِجال».**

**ولئن كانت الصّناعاتُ المختلفة، كما يقرّر ذلك العلماء، لها درجاتٌ متفاوتة، فمنها ما يرفع أهْله ويشرّفهم ويُغْنيهم عند المساجَلة والمكاثرة عن كرم المناسب، وشَرَف المناصب، ومنها ما يضَعُ المحترفين له أشدَّ الضَّعة، ويُخْملُهُمْ أقْبَحَ الخمول، حتى لا يكونوا لأحد ممّن سواهم نظراءَ في منزلة، ولا أكْفاءَ في معاشرة.**

**لئن كان ذلك، فإنّ صنْعَة العِلْم، وسَعَةَ الاطّلاع، وجودةَ المحفوظ، وتجدُّدَ الفائدة من أجمل ما يتبارى فيه المتبارون، ويتمدَّحُ به السّامعون، وينْهَل منه المتلهّفون.**

د. الطاهر خذيري
ALmadani9@Gmail.com

حديثُنا اليوم عن عَلَمين من أعلام الأمّة ورجالاتها الفقهاء العظام.

أمّا أحدُهما فهو الإمام محمّد بن إدريس الشّافعيّ (١٥٠-٢٠٤هـ)، من معادن الفقه، ونُقّاد المعاني، وجهابذة الألفاظ، وهو فقيه الأمّة ونَسيب رسول الله ﷺ، وابنُ عمّه، ولد بغَزّة، ومات أبوه شابًّا، فنشأ الإمام يتيمًا في حجْر أمّه، فخافت عليه الضّيْعة، فتحوّلت به إلى مكّة فنشأ بها، وأقبل على العربيّة والشّعر، فبرع في ذلك وتقدّم، ثم حُبّب إليه الفقه، فساد أهلَ زمانه، وصنّف التصانيف، ودَوّن العلم، وردّ على الأئمّة متّبعًا الأثر، وبَعُد صيتُه، ونال بعض النّاس منه غَضًّا، فما زاده ذلك إلا رِفْعة وجلالة، وقلّ مَن برز في الإمامة، وردّ على مَن خالفه إلاّ عُودي «كما جاء في سير أعلام النبلاء».

قال يونس بن عبد الأعلى الصّدفيّ رحمه الله: «ما رأيتُ أعقل من الشّافعيّ، ناظرْتُه يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيَني، فأخذ بيدي، ثم قال: ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة»، وكان يقول رحمه الله: «ما ناظرتُ أحدًا قطّ على الغَلَبة، ويودّي أنّ جميع الخلق تعلّموا هذا الكتاب- يعني كُتُبَه- على ألا ينسب إليّ منه شيءٌ».

ومن كلماته الرّشيقة المشهورة: «ليس إلى السّلامة من النّاس سبيل، فانظر الذي فيه صلاحك فالزمه»، «ما رفعتُ من أحد فوق منزلته إلاّ وضع منّي بمقدار ما رفعت منه».

ولقد قال المعلميُّ «رحمه الله» في «التنكيل بما في تأنيب الكوثريّ من الأباطيل: ١٣٣/٢-١٣٤»: «من مكارم أخلاق الشّافعيّ، وكمال عقْله، وصدْق إخلاصه، أنّ غالب ما يسوقُه من المناظرات لا يُسمّي مَن المناظر، لأنّ مقصوده إنّما هو تقرير الحقّ، ودفْع الشّبهات، وتعليم طُرُق النظر، وتسمية المناظر يُتَوهّم فيها حظّ النفس؛ كأنّه يقول: ناظرْتُ فلانًا المشهور فقطعْتُه، وفيها غضّ من المناظر بما يبيّنُ من أخطائه،... ومن براعة الشّافعيّ الفائقة ومهارته الخارقة، أنّه يجمع في مناظراته بين لطْف الأدب، وحسْن العشرة، واستيفاء الحقّ حتى في التّشنيع»!

وأما ثانيهما فهو: محمد بن الحسن الشيبانيّ، العلاّمة، فقيه العراق، صاحب الإمام أبي حنيفة (١٣٢-١٨٩هـ)، أخذ عنه الشّافعيُّ «كما في سير النبلاء» فأكْثَرَ جدًّا، وقال: كتبتُ عنه وِقْر بُخْتيٍّ، وما ناظرْتُ سمينًا أذكى منه، ولو أشاء أنْ أقول: نزل القرآن بلغة محمد بن الحسن لقُلْتُ، لفصاحته.

قيل: إنّه لمّا احتضر، قيل له: أتبكي مع العلم؟ قال: أرأيت إنْ أوْقفني الله، وقال: يا محمّد، ما أقدَمَك الرّيّ؟ الجهاد في سبيلي، أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول؟

وفي «تعجيل المنفعة للحافظ ابن حجر: ١٧٥/٢»: قال محمد بن عبدالله بن عبد الحكم: سمعت الشافعيّ يقول: قال لي محمد بن الحسن: «أقمْتُ على مالك ثلاث سنين، وسمعتُ من لفظه سبعمائة حديث»، وكان مالكٌ لا يحدّث من لفظه إلاّ قليلًا؛ فلولا طول إقامة محمّد عنده وتمكّنُه منه ما حصل له عنه هذا».

وفي «تاريخ بغداد: ١٧٦/٢»: من رواية الرّبيع بن سليمان المراديّ قال: «وقف رجل على الشافعيّ، فسأله عن مسألة، فأجابه؛ فقال له الرّجل: يا أبا عبدالله، خالفك الفقهاء! فقال له الشافعيّ: «وهل رأيتَ فقيهًا قطّ؟ اللهم إلا أن تكون رأيت محمد بن الحسن. فإنه كان يملأ العين والقلب».

وفيه «١٧٦/٢» من طريق حرملة بن يحيى قال: «نبأنا محمد بن إدريس الشافعي قال: كان محمد بن الحسن الشيبانيّ إذا أخذ في المسألة، كأنّه قرآنٌ يُنْزَل عليه، لا

يُقدِّمُ حرفًا ولا يُؤَخِّر».

وفي «توالي التأسيس: ص/٧١ نقلًا عن التنكيل» من طريق أبي حسان الحسن بن عثمان الزّياديّ قال: «كنت في دهليز محمد بن الحسن فخرج محمد راكبًا، فنظر فرأى الشّافعيّ قد جاء، فثنى رجله ونزل، وقال لغلامه: اذهب فاعتذر، فقال له الشافعيّ: لنا وقتٌ غير هذا. قال: لا. وأخذ بيده فدخلا الدار. قال أبوحسان: وما رأيت محمّدًا يعظّم أحدًا إعظام الشّافعيّ».

ولذلك قال المعلّميّ في «التنكيل: ١٣٤/٢»: «ومن تدبّر مناظرات الشّافعيّ لمحمد، وجدها مناظرة الأكفاء، وعلم منها أنّ الشّافعيّ كان حينئذ مجتهدًا كاملًا، وأنّ محمدًا كان- مع مكانته من الفقه والسّنن والمنزلة من الدّولة وكثرة الأتباع- على غاية من الإنصاف في البحث والنظر. والإنصاف أنّه كان لتلك المناظرات أثرٌ في الرّجلين، فاتفقا على مسائلَ، رجع فيها الشّافعيُّ عمّا كان يتابع فيه مالكًا، أو رَجَع محمّد عمّا كان يتابع فيه أبا حنيفة».

قال ابن حجر عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني: كما في «رواة الآثار: ص/١٦٣»: «كان من أفراد الدّهر في الذّكاء، وعظمت منزلتُه عند الرّشيد جدًّا، ولمّا مات وهو معه، وكذلك الكسائيّ بالرّيّ قال: دفنْتُ الفقه والعربيّة بالرّيّ».

## الدّعاء الدّنيويّ في الصّلاة

وقد حدثتْ بين الإمامين محاوراتٌ ومناقشاتٌ بحكم الصّلة العلميّة القويّة التي كانت تربطُهما، ومن ذلك ما جاء في «طبقات الشافعيّة الكبرى» (٧٠/٢) قال محمد بن عبدالله بن عبدالحكم: حدثنا الشّافعيّ قال: ذكرتُ لمحمّد بن الحسن الدّعاءَ في الصّلاة؛ فقال لي: لا يجوز أن يُدعَى في الصّلاة إلّا بما في القرآن وما أشبهه، قلت له: فإنْ قال رجلٌ: اللهم أطعمْني قثّاء وبصلًا وعدسًا، أو ارزقني ذلك، أو أخرجه لي من أرض؛ أيجوز ذلك؟ قال: لا، قلت: فهذا في القرآن، فإن كنتَ إنّما تُجيز ما في القرآن خاصّة فهذا فيه، وإن كنتَ تجيز غير ذلك، فلم حظرْتَ شيئًا وأبحتَ شيئًا؟ قال: فما تقول أنتَ؟ قلت: كلّ ما جاز للمرء أن يدعو الله به في غير صلاة، فجائزٌ أن يدعو به في الصّلاة، بل أستحبّ ذلك؛ لأنّه موضعٌ يرجَى سرعةُ الإجابة فيه، والصّلاةُ: القراءة والدّعاء، والنهيُ عن الكلام في الصّلاة هو كلام الآدميّين بعضِهم لبعض في غير أمر بصلاة.

## الردّ على أهل المدينة

ومن ذلك ما جاء في «طبقات الشافعية الكبرى» أيضًا (٧٩/٢) قال أبوثور: سمعت الشّافعيّ يقول: حضرتُ مجلسًا، وفيه محمد بن الحسن يقول: قد وضعت كتابًا لو علمتُ أنّ أحدًا يردّ عليَّ منه شيئًا تُبلِّغُنيه الإبلُ لأتيتُه؛ قال: فقلت له: قد نظرتُ في كتابك هذا؛ فإذا ما بعد البسملة خطأٌ كلّه! قال: وما ذاك؟ قلت له: قال أهل المدينة كذا؛ فإن أردت كلّهم فخطأٌ؛ لأنهم لم يتّفقوا على ما قلتَ، وإن أردت مالكًا وحده فأظهَرُ في الخطأ؛ إذ ليس هو كلّ أهل المدينة، وقد كان من علماء المدينة في زمنه من يشتدّ نكيرُه عليه، فأي الأمرين قصدتَ فقد أخطأتَ!

وقد نقل بعض أصحاب الشّافعي عن محمد بن الحسن أنّه كان يقول: إنّ تابعكم الشّافعيّ فما عليكم من حجازيّ كُلْفة بعده! قال الشافعيّ: فجئت يومًا فجلستُ إليه؛ فلمّا أنْ جلستُ إليه أقبل يطعن على أهل دار الهجرة، فقلت: على من تطعن، على البلد أم على أهله؟! والله لئن طعنت على أهله إنّما تطعن على أبي بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وإن طعنتَ على البلدة فإنّها بلدتهم التي دعا لهم رسول الله ﷺ أنْ يبارَك لهم في صاعهم ومُدّهم، وحرّمه كما حرّم إبراهيم مكّة، لا يُقتَلُ صيْدُها، فعلى أيِّهم تطعن؟ فقال: معاذ الله أن أطعن على أحد منهم أو على بلدته، وإنما أطعن على حُكْم من أحكامه.

فقلت له: وما هو؟ قال: اليمين مع الشّاهد. قلت له: ولم طعنت؟ قال: فإنه مخالفٌ لكتاب الله.

فقلت له: فكلّ خبر يأتيك مخالفًا لكتاب الله أيَسْقُطُ؟ قال: كذا يجب.

فقلت له: ما تقول في الوصيّة للوالدين؟ فتفكّر ساعة وقال: لا تجب.

فقلت له: فهذا مخالفٌ لكتاب الله، لم قلتَ: إنه لا يجوز؟ فقال: لأنّ رسول الله ﷺ قال: «لا وصية للوالدين».

فقلت له: أخبرني عن شاهدين، حتّمٌ من الله؟ قال: فما تريد من ذا؟ فقلت له: لئن زعمْتَ أنّ الشاهدين حتمٌ من الله لا غيره كان ينبغي لك أن تقول: إذا زنى زانٍ فشهد عليه شاهدان إن كان محصَنًا رجمْتَه، وإن كان غير محصن جلدتُه.

قال: فإن قلت لك: ليس هو حتمًا من الله؟ قلت له: إذا لم يكن حتمًا من الله فنُنْزل كلّ الأحكام مَنَازله في الزّنا أربعًا، وفي غيره شاهدين، وفي غيره رجلًا وامرأتين، وإنما أعني في القتل لا يجوز إلّا شاهدان، فلمّا رأيتُ قتلا وقتلا، أعني بشهادة الزّنا، وأعني بشهادة القتل، فكان هذا قتلًا، وهذا قتلًا، غير أنّ أحكامَهما مختلفةٌ، فكذلك كلّ حكم ننزله حيث أنزله الله، منها بأربع، ومنها بشاهدين، ومنها برجل وامرأتين، ومنها شاهد واليمين، فرأيتك تحكم بدون هذا، قال: وما أحكم بدون هذا؟

فقلت له: ما تقول في الرجل والمرأة إذا اختلفا في متاع البيت؟

فقال: أصحابي يقولون فيه: ما كان للرّجال فهو للرّجال، وما كان للنّساء فهو للنّساء. فقلت: أبكتاب الله هذا أم بسنّة رسول الله ﷺ؟

وقلت له: فما تقول في الرّجلين إذا اختلفا في الحائط؟ فقال: في قول أصحابنا: إذا لم يكن لهم بيّنةٌ ينظر إلى العقد من أين هو البناءُ فأحْكُمُ لصاحبه. فقلت له: أبكتاب الله قلتَ هذا أم بسنّة رسول الله ﷺ قلتَ هذا؟

وقلت له: ما تقول في رجلين بينهما خُصٌّ فيختلفان لمن يُحْكَم إذا لم يكن لهما بيّنةٌ؟ قال: أَنْظُر إلى مَعَاقِده من أيّ وجه هو فأحكمُ له. قلت له: بكتاب الله قلتَ هذا أم بسنّة رسول الله ﷺ؟

وقلت له: فما تقول في ولادة المرأة إذا لم يكن يحضرها إلّا امرأةٌ واحدةٌ وهي القابلة وحْدَها ولم يكن غيرُها؟ فقال: الشّهادة جائزةٌ بشهادة القابلة وحدها نقْبَلها، فقلت له: قلتَ هذا بكتاب الله أم بسنّة رسول الله ﷺ؟

قلت له: مَن كانت هذه أحكامَه، فلا يطعن على غيره، ثم قلت له: أتعجب من حُكْم حَكم به رسول الله ﷺ، وحكم به أبوبكر وعمر وعليّ، وقضى به شريحٌ؟!

**رحمة الله ورضوانه على الإمامين**

# العِبْرَنة الشاملة.. لغة مصنوعة لدولة مسروقة

د.رفيق حسن الحليمي

**لا أحد ينكر أن أكبر سرقة في التاريخ تتمثل في إقامة دولة إسرائيل على أنقاض الشعب الفلسطيني، واستلاب فلسطين بمدنها وقراها وحقولها ومزارعها ومنشآتها وموانيها وجبالها ووديانها ووهادها وسهولها وكل شيء على أرضها، وأكثر من ذلك تشريد شعبها في آفاق الأرض، واختلاق إسرائيل القديمة وإسكات التاريخ الفلسطيني.**

**هناك كتاب منصفون منهم يهود وغربيون اعترفوا وأقروا بهذه الحقيقة المرة، وهناك حقيقة لا تقل مرارة وهي صناعة اللغة العبرية الحديثة لنصبح نحن والعالم بالقوة والتزييف أمام لغة مصنوعة لدولة مسروقة!**

## اللغة العبرية

تعد اللغة العبرية إحدى اللغات السامية (الآشورية، والبابلية، والآرامية، والفينيقية، والعبرية، والعربية، واليمنية القديمة، والحبشية)، وقد اعتمد الباحثون في هذه التوليفة أو الفصيلة اللغوية على ما بين هذه اللغات من صلات القرابة التي تربطها بعضها ببعض، وما بينها من أوجه التشابه في كثير من الأمور والظواهر (بعض الأفعال والأسماء والأعداد والضمائر والقواعد النحوية والصرفية)، وهذه الظواهر تعد الناظم المشترك بين اللغات السامية.

وقد حرص اليهود- على امتداد تاريخهم الطويل وتواجدهم في شتى بقاع الأرض- على اللغة العبرية، وتعليمها لأبنائهم جيلاً بعد جيل في البيت وفي الغيتو (حارة اليهود)، وفي مدارسهم الخاصة بهم- إن وجدت- إلى جانب تعلم لغة من يعيشون بينهم، وقد عاش اليهودي التائه (كما تحلو تسميته لدى بعض الباحثين) في ازدواجية لغوية (معرفة لغتين)، أو في تعددية لغوية (معرفة أكثر من لغة)، وقد ترك ذلك أثره على اللغة العبرية، حيث أصبحت عرضة لاقتباس الكثير من مفردات غيرها من اللغات، الأمر الذي جعل التباين بين عبرية وعبرية أخرى واضحًا، وعند قيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين التاريخية بعد نكبة ١٩٤٨م فرضت دولة إسرائيل على رعاياها (المهاجرين) إليها من مختلف بقاع المعمورة تعلم اللغة العبرية!

## إحياء العبرية القديمة (العبرنة)

قام علماء اليهود بدور كبير في إحياء موات اللغة العبرية، التي تعرضت في ماضيها إلى حالة من العزلة والمحدودية والانكفاء، وأخذوا على عاتقهم مراجعة «مفردات اللغة العبرية» الموجودة بين أيديهم، وأضافو إليها- عن طريق الاقتباس والأخذ والاستعارة من لغات شتى- ما ليس موجودًا فيها أصلًا، وأضفوا الصبغة العبرية (العبرنة) على هذه المفردات حتى تبدو كأنها لغة عبرية أصيلة، كان ذلك بهدف التغلب على قصور اللغة القديمة وفقرها من ناحية الصرف والنحو والاشتقاق، وعجزها عن التعبير عن مقتضيات العصر المتجددة، وحاجات الإنسان التي لا تتوقف عند حد، وكان أكثر ما اقتبسوه من اللغة الألمانية ومن اللغة العربية لدرجة أن أحدهم قال: لولا العربية لاندثرت العبرية، ولولا العربية لما عرفت العبرية!

## صعوبات وتحديات

في بداية الأمر واجه علماء اللغة بعد تدفق المهاجرين إلى «أرض الميعاد» من كل حدب وصوب مسألتين في غاية الصعوبة:

الأولى: إشكالية التباين والاختلاف في أنماط اللغة العبرية، فالقادمون من شرق أوروبا وروسيا لهم عبرية «اليديش»، وهي تختلف في أمور عن لغة القادمين من وسط أوروبا وغربها، وهذه وتلك تختلفان عن عبرية القادمين من دول عربية (أكثر من ٥٠٠ ألف مهاجر حتى عام ١٩٥٤م)، فكان توحيد هذه اللغات العبرية المتباينة في لغة واحدة مشتركة يفهمها الجميع من المهام الصعبة التي ينبغي تذليلها.

الثانية: العمل على نشر اللغة العبرية الجديدة بين رعايا هذه الدولة، فقد رافق عملية التوحد اللغوي قرارات رسمية بفرض «العبرنة الشاملة» في مختلف مناحي الحياة، حتى تصبح اللغة العبرية الحديثة تمثل الهوية الوطنية لدولة إسرائيل، فكان لابد أن تكون اللغة الرسمية للدولة، ولغة الخطاب والمحادثة في البيت والشارع، ولغة التعليم في المدارس والمعاهد والجامعات، ولغة التأليف والترجمة والنشر.. ولا أكاد أتصور إنسانًا يقتنع بوجود دولة ما دون لغة قومية تجسد الهوية الوطنية لتلك الدولة وتعبر عنها، وهو ما سعى إليه المنظرون من وراء العبرنة الشاملة، وقد أصبح لزاما على كل يهودي مقيم على أرض إسرائيل أن يتقن اللغة العبرية الحديثة قراءة وكتابة ومحادثة واستماعًا، مع وجود تفاوت بين شرائح المجتمع اليهودي، ولكن بين الالتزام بتلك القرارات وبين الواقع المعاش بون شاسع ومسافة كبيرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل مشروع العبرنة الشاملة الذي تبنته الحركة الصهيونية كان ناجحًا؟ وجوابي عنه من خلال معطيات مسموعة ومقروءة ومنظورة هو: «نعم» و «لا»، نعم على المستوى الرسمي، وأما على المستوى العام في الخطاب اليومي فلا! وربما كان فاشلًا بدرجة عالية، وأكبر دليل على هذا ظهور بعض المتحدثين على التلفاز وهم يتحدثون باللغة الإنجليزية بدلًا من العبرية، ومازالت كل جماعة مهاجرة تتكئ على ذاتها وتتقوقع داخل بؤرها الاستيطانية ولغتها القديمة، فطبيعة تكوين الشخصية اليهودية لا تتقبل حتى مع أبناء جلدتها الاندماج

## الاتجاه نحو «عبرنة» اللغة في الأرض المحتلة يهدف إلى إنشاء حي يهودي كبير هو «إسرائيل اليهودية»

الاجتماعي الكلي، الذي تزول فيه الفوارق بين الطبقات وتتحد فيه الطقوس والعادات، المجتمع اليهودي لا يبدو متحدًا ولا موحدًا إلا عندما تقع الواقعة ويشعر بالتهديد الشديد.

### من أهداف العبرنة

استهدف المنظرون من وراء العبرنة الشاملة خلق «لغة موحدة» تجمع اليهود قاطبة على اختلاف ألوانهم وأعراقهم، وأدركوا أن خلو المجتمع العبري من لغة قومية مشتركة سيؤدي إلى نزاعات لها أول وليس لها آخر، فالمجتمع اليهودي في دولة إسرائيل- من بين مجتمعات العالم قاطبة- تتجاذبه انقسامات عرقية حادة، واختلافات دينية مذهبية وثقافات متباينة واستعلاء واستكبار بين بعضهم على بعض، فعلى مستوى الأعراق هناك السود (الفلاشا الذين ينتمون إلى الجنس الحامي وليس للجنس السامي) والهنود، وهناك الشرقيون (السفرديم)، وهناك الغربيون (الإشكناز)، وهناك الخزر الذين لا ينتمون للعرق اليهودي ولا للدين اليهودي، (دخلوا في اليهودية هروبًا من سلطة روما إذا ما دخلوا المسيحية وهروبًا من الخلافة الإسلامية إذا دخلوا الإسلام)، وهناك المرتزقة، وعلى مستوى الدين: هناك القراءون (الذين يؤمنون بالتوراة ولا يؤمنون بالتلمود)، وهناك الربانيون (الذين يؤمنون بالتلمود ولا يؤمنون بالتوراة)، وهناك أمميون لا يؤمنون بدين (الحزب اليساري)، وهناك المثقفون ثقافة عالية، وهناك من تتحدر ثقافتهم وتعليمهم إلى درجة هابطة، فكان لابد من توحيد اللغات العبرية من الوجهة النظرية في لغة واحدة، غير أن ذلك اصطدم بواقع جعل العبرنة في حدودها الدنيا.

هذا ولم تقتصر عملية العبرنة الشاملة على اللغة، بل طالت أسماء المدن والقرى والشوارع والأماكن العامة، وكتبت على لوحات إرشادات الطرق الأسماء بالعبرية وفي أسفلها بالعربية ثم بالإنجليزية، وامتدت هذه العملية إلى العملة الرسمية، ومنذ أيام طالعتنا الأخبار برغبة اليمين المتطرف وهو الحزب الحاكم بالمطالبة بالاعتراف بدولة إسرائيل دولة يهودية، وقد قوبل هذا المطلب بالرفض من قبل جميع أطراف الصراع العربي، ومن بعض دول غربية (أوروبا وأميركا) تقع خارج الصراع مع دولة إسرائيل التي تستهدف من وراء هذا المطلب الخطير جعل دولة إسرائيل خالصة لليهود وحدهم، وهم بذلك يقضون على قرار حق العودة للاجئين الفلسطينيين، ويمهدون إلى طرد المسلمين والمسيحيين خارج دولة إسرائيل، تحت ذريعة أن هذه الدولة هي دولة يهودية.

ولعل آخر صيحة في حركة العبرنة الشاملة المطالبة حديثًا من قبل وزارة النقل الإسرائيلية بعبرنة أسماء المدن العربية ومحوها من لوحات اتجاهات السير، فالقدس سيكتب مكانها الاسم العبري فقط «يروشاليم» بالخط العبري ثم العربي فالانجليزي، كما تنطق بالعبرية، و«يافو» لمدينة يافا، و«ناتزرات» لمدنية الناصرة، و«اتساف» لصفد.

إنهم يستهدفون من وراء هذا الصنيع- كما يبدو ظاهريا- محو الهوية العربية من الذاكرة على مر العقود والأجيال، ولكن الحقيقة الغائبة التي لابد من استجلائها أنهم يستهدفون خلق «غيتو» (حي يهودي) كبير، وهو دولة إسرائيل اليهودية، بحيث لا يسكنها إلا يهود، كما هو الحال في حارات اليهود المنتشرة في مختلف أنحاء المعمورة، تلك الأحياء التي ارتبطت بعقلية اليهودي «التائه»، وأصبحت جزءا من ثقافته وتكوينه النفسي وواقعه الاجتماعي وهاجسه الأمني، فلا يجد راحته الكبرى وأمنه واستقراره إلا عندما يدخل الغيتو، ذلك الحي المغلق على اليهود والمحصن تحصينًا جيدًا، وليس جدار الفصل العنصري إلا أحد مظاهر الغيتو الكبير، وليس محو الأسماء العربية إلا محاولة لطمس كل ما يذكرهم بما هو غير يهودي، وربما يذكرهم- وهو الأهم- باستلاب الحقوق والأوطان العربية والإسلامية.

# الإسلام لكل العصور

زبير سلطان
كاتب سوري

**من يقرأ كتابات وتصريحات الحاقدين على الإسلام، وما يقدمونه من برامج تلفزيونية في الغرب يدرك أن هؤلاء إما أنهم يجهلون الإسلام ومرتكزاته وفرائضه وواجباته وأركانه ومعاملاته الاقتصادية والاجتماعية وأطروحاته السياسية والثقافية، أو أنهم يعرفون تلك الحقائق التي يقوم عليها الإسلام فيزورونها بغية تشويه صورته أمام الرأي العام في العالم عامة والغرب خاصة.**

إنهم ينطلقون من أيديولوجيات حاقدة على الإسلام، لكونه مناقضا لها في الوسائل والأهداف، ورافضًا لممارساتها التي أنتجت سلوكيات الحروب والدمار والهيمنة، ونهب ثروات الشعوب والاستبداد والاحتلال، خلافًا لما يعلنون في وسائل إعلامهم من شعارات براقة كالحرية وحقوق الإنسان، فهم كانوا ومازالوا ينشرون الفساد في الأرض باستباحة كل المحرمات الدينية والمادية، وفي العديد من بقاع الأرض شواهد كثيرة على هذا الفساد الذي دمر البلاد والعباد.

ومن السوء أنهم يرفضون كل دعوة سامية لإصلاح الأرض، ووقف الفساد المدمر، ومن المأساة أنهم اعتبروا ما يقومون به من فساد ديموقراطية، وأنهم حماتها، ومن واجبهم فرضها على الشعوب بالقوة والرشوة، وشراء الذمم، وإن تطلب هذا الإصلاح الديموقراطي استخدام الصواريخ والطائرات وأحدث أسلحة الدمار لقتل الشعوب حتى تستجيب لمطالبهم، وهذا ما حدث في القرنين السابقين في آسيا وإفريقيا، وما جرى منذ بداية القرن الحالي مما يسمى فرض الديموقراطية في بعض بقاع الأرض، مما أنتج فسادا مدمرا في العديد من البلدان، تحت ذريعة الإصلاح، قال تعالى ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ (البقرة:١١-١٢).

فالإسلام لم يشرعه الله عز وجل للبشرية لممارسة طقوس عبادية فقط، وإنما جعله منهاجًا وعقيدة وأسلوبًا وطريقة تنقل البشرية إلى الحياة الكريمة السعيدة التي سعت إليها منذ نشأتها، كما ج اء في قوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم...﴾ (الأنفال: ٢٤).

فالإسلام إلى جانب دعوته للبشرية إلى التوحيد وإلى التخلص من كل أشكال الشرك والفساد والظلم، فإنه كان متكاملا حين قدم حلولا ورؤى لمسائل الحياة بكل مكوناتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، من خلال تشريع متكامل لكل قضايا الحياة، ينقلها من ظلام الفساد والبغي والظلم والجوع والفقر والتفاوت الطبقي واختلال موازين الحياة إلى مجتمع العدل والمساواة، مجتمع النور، ذلك المجتمع الذي حلمت البشرية به وسعت لتحقيقه والوصول إليه، فتجد فيه الحلول لجميع إشكالياتها الصعبة والمعقدة مهما صغرت أو كبرت، والتي فشلت كل الأيديولوجيات والفلسفات الوضعية القديمة والحديثة في حلها، أو أن تجد السبل والوسائل الموضوعية لحلها، أو أن تحقق ما ادعت به ايديولوجياتها في بناء مجتمع السعادة والعدل والمساواة.

وثبت مع مرور مئات السنين أن الإسلام، دينًا ومنهجًا وعقيدة، كان ومازال صالحًا لكل زمان ومكان، مقولة لا تحمل في طياتها التعصب الديني، ولا تحمل المغالاة، أو نبذ ورفض الآخر، بل هي حقيقة علمية، يدركها كل إنسان تعرف على حقيقة عقيدة الإسلام، وتعرف على مشروعه الحضاري، واطلع بعيون العالم الباحث المتجرد عن كل هوى أو معتقد، وبفكر لا يحمل خلفية عداء مسبق لنصوص القرآن الكريم ولأحاديث الرسول ﷺ أو ما تضمنته شريعته من أحكام، وما طبقه الخلفاء الراشدون في أصول الحكم، وما قدم علماء الإسلام من تراث فكري، سيصل حتما إلى الاعتراف بحقيقة صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، وأن الإسلام هو الحل لأزمات البشرية التي تعاني من الظلم والاستبداد والقهر والحرمان، ومن طغيان تتنوع صوره وأشكاله، أدى إلى موت ملايين البشر قتلًا أو جوعًا أو سحقا بأسلحة صنعها الجبابرة من عتاة البشر، كما تم استعباد ملايين فتحولوا إلى أرقاء لبشر أو لمعتقدات أرضية وأيديولوجيات هدفها الاستغلال، وامتصاص ثروات الشعوب.

الشرعية الإسلام هو الحل ، قاعدة صحيحة أكدها كتاب غير مسلمين من مفكري الغرب والشرق، حين تعرفوا على ما يقدم

الإسلام من حلول لمسائل معقدة سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو سلوكية، استعصت حلولها على علمائهم ومفكريهم، ولا أريد هنا أن أستعرض رأي جميع من قال بوجود الحل في الإسلام، بل سأستشهد بأهم الكتاب والمفكرين الغربيين في القرن العشرين، فمثلا الفيلسوف الانجليزي برناردشو، الذي قال حين رأى ما في الإسلام من حقائق «لقد كنت دائمًا أكن غاية الاحترام لدين محمد بسبب حيويته العجيبة، وفي رأيي أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يملك الاستعداد للتلاؤم، ولتوجيه الحالات المتنوعة، والصور الحياتية المتغيرة، ولمواجهة العصور المختلفة، وإنني لأتنبأ أن دين محمد سيكون محل قبول أوروبا غدا».

وقال أيضا: «إن رجال الدين في القرون الوسطى- نتيجة الجهل أو التعصب- قد رسموا لدين محمد صورة قاتمة، فقد كانوا يعتبرونه عدوا للمسيحية، لكنني قد اطلعت على أمر هذا الرجل، فوجدته أعجوبة خارقة، وتوصلت إلى أنه لم يكن عدوا للمسيحية، بل إنه يجب أن يسمى منقذ البشرية، وفي رأيي أنه لو تولى أمر العالم اليوم، لوفق في حل مشكلاتنا بما يؤمن السلام والسعادة التي يرنو البشر إليها».

إن الإسلام وضع مجموعة من الأنظمة والقوانين والسلوكات التي تنظم حياة المجتمع والفرد، وتحدد واجبات المواطن والحاكم، وعلاقة الفرد مع أسرته، وعلاقاته مع محيطه الاجتماعي، وواجباته وحقوقه تجاه وطنه ومجتمعه، إضافة إلى العبادات التي حددتها قواعد الفقه، ووضع الإسلام أجوبة لجميع المسائل الحياتية اليومية والمستقبلية، سواء أكانت للفرد أم للمجتمع.

وأرسى الإسلام ثوابت غير قابلة للتغيير مهما تبدلت الأحوال

في الأزمنة والأمكنة، ومنها رفضه لقتل أي إنسان بغير نفس أو فساد في الأرض، أو كسب مال عن طريق الغش والحرام، والمحافظة على بناء الأسرة على القيم والمثل العليا، واحترام الوالدين وطاعتهما، والتكافل الاجتماعي بين الناس والسلطة، ورفض الاغتصاب للمال أو الأرض أو النفس، واحترام حرية الاعتقاد والاختيار بما لا يضر المجتمع، ونهى عما يخالف السلوك الإنساني، وترك الأخذ بالمتغير مما يوافق العقل والقلب ولا يضر بالآخرين.

هذه الثوابت لا تعني الجمود العقائدي، وعدم الأخذ بالتطور الزمني وحاجات الإنسان والمجتمع المتجددة التي تفرضها قوانين التطور، كما يطرح بعض المفكرين الغربيين في كتبهم ومقالاتهم، ورأوا أن السبب الذي أدى إلى تخلف المسلمين اليوم يعود إلى الجمود العقدي والفكري للإسلام مما يدلل على ما ذكرناه سابقًا، إنهم يجهلون شريعة الإسلام، وقوانينه وفرائضه وسننه، وما طرح علماؤه وفلاسفته ومفكروه من حلول لجميع إشكاليات البشرية كلها.

هذا الجهل هو ما أشار إليه الفيلسوف العلماني شميل الشميل المعروف بنزعته المادية، في ترجمته لكتاب دارون «النشوء والارتقاء» بأن هؤلاء الكتاب الغربيين يهاجمون الإسلام، فهم إما أنهم لا يعرفونه، أو أنهم سيئو النية، يريدون تشويه صورة القوانين والمقررات الإسلامية، بل لم يخف إعجابه بالإسلام، وقال: «إن الإسلام مبدأ قابل للتطبيق في كل زمان».

فالإسلام يسعى لبناء مجتمع النور الذي يؤسس على مبدأ الاستقامة في السلوك للحاكم والمحكوم، والذي حثت عليه النصوص القرآنية كقوله تعالى ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم...﴾ (الشورى: ١٥)

وفي قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ (فصلت:٣٠).

فمرتكز الاستقامة للإنسان والمجتمع هو العمود الفقري الذي يقوم عليه مجتمع النور، مجتمع العدل والمساواة والفضيلة، الذي تسعى البشرية للوصول إليه، وأثبت التاريخ أن الفلسفات كافة فشلت في إيجاد الطريق الموضوعي للوصول إليه.

هذه الثوابت التي أكدت كل مراحل التاريخ البشري صحتها ومصداقيتها ونجاعتها في حل إشكاليات المجتمعات البشرية، لم تكن جمودًا ثبت باطله ليتم تغييره، بل ثوابت لابد منها لإقامة المجتمع السليم، المعافى، السعيد، الذي يتظلل بالأمن والعيش الرغيد، فهي ثوابت سلوكية أخلاقية أساسية لبناء المجتمع الصالح لا يمكن أن تتغير بمرور الزمن، فلا يمكن أن تتغير، مهما تبدل الزمن، محاربة الفساد ورفض البغي والظلم والقتل والزنا وغيرها من المفاسد المدمرة للنسيج الاجتماعي، ولابد من التأكيد على تعزيز الإخاء والمحبة والعدل والإنصاف، ومساواة جميع الناس أمام القانون، وبر الوالدين، والمودة في القربى، ورعاية الفقراء... وغيرها، تلك قواعد ثابتة لا يمكن للمجتمع المسلم أن يتخلى عنها لأنها من صلب العقيدة الإسلامية، أما الفروع التي تتبدل بتطور الزمان والمكان، فهي القابلة للتغيير وفق القاعدة الإسلامية الشهيرة «تتبدل الأحكام بتبدل الأزمان».

إن الإسلام صالح لكل العصور والأزمان، لأنه المعبر الحقيقي عن حاجات الإنسان والمجتمع، مهما تبدلت الأحوال، وتغيرت الأزمان، وليس مغالاة، ولا ابتعادا عن الحقيقة أن نقول: من يبحث عن حل في أية مسألة مادية أو روحية، سيجد في الإسلام الحل الناجع لها.

والإسلام صالح لكل زمان ومكان لأنه منهج الخلاص للبشرية، لما يدعو إليه من مبادئ عليا توافقت مع مكونات البشرية، وفي ذلك يقول فضيلة الإمام الشيخ جادالحق شيخ الأزهر السابق - يرحمه الله - «فالإسلام منهاج شامل للدين والدنيا.. للعقيدة والشريعة، والحضارة، والأخلاق، للحياة الدنيا وللآخرة التي هي خير وأبقى».

# الكرامة الإنسانية وأثرها في البناء الحضاري

د. ربيع خليفة
كاتب مصري

**شاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان أعظم مخلوق وأسمى كائن، فميزه الله عز وجل بالعقل والإرادة، وأمر ملائكته بالسجود له تحية وتكريما، ومن هنا أنشأ الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان الحق في الكرامة والسمو على بقية المخلوقات، وكان من مقتضى نعمة هذا التكريم حرمة النفس، وبعث الرسل، وتنزيل الشرائع الضابطة لعلاقة الإنسان بالإنسان، والمنظمة لها تنظيما يحفظ ما منحه الله إياه من تكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: ٧٠).**

فالكرامة قيمة عليا جامعة، خص الله عز وجل بها الإنسان، وتعني فيما تعني: النفاسة، والرفعة، والعزة، وعلو الشأن، وانتفاء أي معنى من معاني الخسة والصغار والذل والهوان والابتذال.

### من تجليات التكريم الإلهي للإنسان

تأتي خلافة الإنسان في الأرض- بطاقاته وقدراته الروحية والعقلية والعملية الخلاقة- في مقدمة تجليات هذا التكريم الإلهي، قال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (هود: ٦١)، والمعلوم أن كرامة الإنسان قد شملتها أصول رسالة الإسلام، على مستوى العقيدة أولاً، ثم في الجانب السياسي والاجتماعي والحضاري بكل مظاهره وكامل أنشطته.

### من مقتضيات الكرامة الإنسانية

#### أ- المساواة:

انعكست تلك الرؤية للكرامة انعكاسا تاما على مسألة جليلة الأهمية، وهي قضية المساواة، والمساواة في الأساس، وطبقا لما أقره الإسلام، تعم الجنس البشري كله، وهي المساواة في القيمة الإنسانية المشتركة التي تتمثل في الاعتقاد بأن جميع الناس سواسية في طبيعتهم البشرية، وعنصرهم الإنساني من حيث هو، وخلقهم الأول، وأن ليس هناك جماعة تتحدر من سلالة خاصة ينتقل أصلها هذا إليها بطريق الوراثة، إنما يقوم التفاضل بين الناس جميعا على أسس خارجة عن ذلك كله، مثل الكفاية والعلم والأخلاق والعمل..إلخ(١).

إن مبدأ المساواة في الإسلام يؤسَّس على قاعدتين راسختين، هما: وحدة الأصل البشري، وشمول الكرامة الإنسانية لكل البشر، وذلك من منطلق قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ (فاطر: ١١)، وقوله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣)، وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠)، وقوله صلى الله عليه وسلم «... الناس بنو آدم و آدم من تراب» (رواه الترمذي).

ولو تلمسنا سر هذه المساواة، لوجدناه نابعا من عقيدة التوحيد ذاتها، وما يؤسّس عليها من عبادات وتعاليم، فالجميع- طبقًا لهذه العقيدة- ينتظمه سلك العبودية المطلقة لله تعالى وحده، ومن تطاول فوقها وجب قمعه حتى يستكين في مكانته، لا يعدوها ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (مريم: ٩٣)، كما أن المسلم- في نظرته إلى الناس قويهم وضعيفهم- يدرك أن زمام أمورهم في النهاية بين يدي الله تعالى، فلا يكون هيابًا لجبار، أو أسيرا لتقسيم طبقي عنصري يسلبه إنسانيته، لثقته في قول الله عز وجل ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الأنعام: ١٦، ١٧)، فلا شك أنه «بهذه الروح المفعمة باليقين والإباء، أبى الإنسان المسلم الاعتراف بأنّ لأحد من الخلق اختراق أسوار المساواة العامة، والاستعلاء على غيره من الناس»(٢).

#### ب- كفالة الحريات:

إن الحريات التي ضمنها الإسلام للإنسان- من حرية الاعتقاد وحرية التفكير والتعبير والعمل والحرية السياسية، وضرورة حفظ العرض والنفس والمال، مع التأكيد الشديد على أن ذلك كله أساسه عدم الاعتداء على حق الآخر- هي في الحقيقة من أهم مقتضيات الكرامة، وهي في الوقت نفسه تعزيز لقيمة الإنسان، وعمل على ترسيخ التكريم الإلهي له، وغضبة الفاروق عمر، رضي الله عنه، عندما اشتكى القبطي إليه عمرو بن العاص وابنه، وقولة

عمر المشهورة «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»، دلالة على احترامه البالغ للكرامة الإنسانية، وهذا نابع من روح الإسلام ونظرته السامية إلى الإنسان مسلمًا كان أم غير مسلم.

**ج - مشكلة الرق:**

ثم يجيء موقف الإسلام من قضية الرق، ومعالجته العميقة لها إنسانيا واجتماعيا، تأسيسا على ما كرسه من قيم الكرامة والعدالة والحرية والمساواة، وفي مقدمة عناصر تلك المعالجة الناجعة- دون الدخول في تفصيلات وتفريعات- أنه جعل تحرير الرق من مصارف الصدقات، ومن بين كفارات الأيمان، والقتل الخطأ، والجماع في نهار رمضان، والظهار.

وخلاصة ذلك، كما يصوغها الباحثون، أن رسالة الإسلام أغلقت المصادر والروافد التي تمد نهر الرق بالمزيد والجديد، ولم يبق سوى الحرب المشروعة، وحتى رقيقها أو أسراها شرع لهم الفداء سبيلا لحريتهم، بل ندب المن ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ (محمد: ٤)، ثم ذهب الإسلام فوسع المَصابّ التي تؤدي إلى تجفيف هذا النهر، بالعتق والتحرير(٣).

## من أسس البناء الحضاري

**أ- الإنسان:**

ليس من شك في أن بحث العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها أمر ضروري وبالغ الأهمية، ولعل من الدقة القول أن مشكلة كل أمة هي في جوهرها مشكلة حضارتها، ولا يمكن لأمة أن تفهم مشكلتها وتعالجها ما لم ترتفع بفكرتها إلى الأحداث الإنسانية، التي تكمن فيها، وبها وحدها قيام عملية الحضارة أو انهيارها، ومن هنا فإن مسألة بناء الحضارة تتطلب أن نفكر أول ما نفكر في عناصر ومقومات هذا البناء(٤).

## خلافة الإنسان في الأرض تأتي في مقدمة التكريم الإلهي لأعظم مخلوق

ويرى فلاسفة الحضارة أن هناك عوامل عديدة تؤسس لقيام أي حضارة، منها: العلم، والقيم من حق وخير وجمال، وللقيم دور كبير ليس في تأسيس الحضارة فحسب، ولكن في الحفاظ عليها وضمان استمرارها، ومع هذا يمثل الإنسان الأهمية في هذا الصدد، فالحضارة تعتمد على أقصى تطور ممكن في قوى الكائنات الإنسانية الفردية، وما القيم المذكورة إلا تجليات لتجربة الأفراد؛ ولهذا يرى المنظرون لإشكالية قيام الحضارات وانهيارها أن أي نظام سياسي أو ديني أو تعليمي أو ثقافي أو اجتماعي لا يوفر المناخ الإنساني المناسب لا تقوم عليه حضارة؛ لأن خصوبة الحياة والعطاء والإبداع لا تلبث أن تتلاشى وتتبخر في حرارة الطغيان والاستبداد.

وانطلاقًا من ذلك لابد من استحضار قضية حرية الفرد بصورها المختلفة، إذ لا سبيل إلى الوصول للحضارة بغير حريات الفرد.

إن الحضارة تقوم أول ما تقوم على الإنسان، وتقوم له، من حيث إن هدفها الأساسي هو تنميته، وتطويره، وتلبية حاجياته، وتحقيق إنسانيته في أبعادها وجوانبها المتنوعة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية؛ ولهذا فدوره في منظومة الحضارة مركزي إلى أبعد حد، أو هو- كما يرى بعض الباحثين- الخلية الحضارية الأولى، التي يجب تكوينها وبناؤها ورعايتها لتكون متناغمة مع شروط النهضة وحيثيات الحضارة، ولو توفر الحرص على تنمية قدراته، وصقل مواهبه، ونفض غبار التخلف عن عزيمته، وتفجير طاقاته، لاستيقظت روح العمل فيه وتدفق عطاؤه الحضاري، ويمكن القول في هذا السياق: إن أعظم اكتشافات اليابان هو الإنسان ذاته، إذ به نهضت، وبه تجاوزت نكبة القنبلة الذرية، وبه شيدت حضارة تطاول بنيانها.

إذن فضمان الشعور بالكرامة الإنسانية هو ما يحرر الفرد من كل خوف، ومن كل ضغط يملى عليه، وفي ذلك يرى مؤرخ الحضارة «ول ديورانت» أن الحضارة تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف، تحررت في نفسه دوافع التطلع، وعوامل الإبداع والإنشاء، وحينئذ لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريق فهم الحياة وإزهارها.

ويمكن صياغة ذلك في معادلة رياضية، يحرص مالك بن نبي على إيرادها في غير موضع، على هذا النحو: الحضارة (الإنسان + التراب + الوقت).

**ب - الروح والمادة:**

ليست غائبة عنا فكرة الدين ودورها الأساسي في بناء الحضارة، بما تقدمه من رؤية مرجعية في الثقافة والسياسة والاجتماع والاقتصاد، بل رؤية أشمل إلى الكون والوجود والإنسان ذاته تظهر على مكونات الحضارة ومقوماتها المختلفة، وهنا تبرز أهمية الإنسان وقيمته وكرامته في الثقافة الإسلامية، إذن الفكرة الدينية رافقت دائما تركيب الحضارة خلال مسيرة التاريخ الطويل، وهو أمر معروف أو محسوم في أكثر الأحيان لدى الباحثين والمفكرين.

وبعيدًا عن الاختلاف الشديد حول مفهوم الحضارة والثقافة، فلعل من الجدير ذكره أن مفهوم الحضارة يشمل كل ما من شأنه تحقيق الحياة الإنسانية الكريمة والرقي بالإنسان، ثقافة وقيَما وسياسة واجتماعا واقتصادا، وقد أكد بعضهم أننا مهما فرقنا بين المدنية والحضارة، فلا يمكن تجاهل التأثير المتبادل بين النشاط الروحي، والنشاط المادي في الحياة، ولكل دور بالغ في توجيه الآخر.

إن الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية تشمل الحماية والحصانة المكفولة للإنسان، التي يستمدها من طبيعته ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، وتشمل عزة وسيادة، تتغذيان من عقيدته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨)، ليترتب على ذلك كرامة أخرى، هي كرامة استحقاق وجدارة يستوجبها بعمله وسيرته في حقل الإثمار الحضاري بأبعاده المختلفة، قال تعالى ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ (الأحقاف: ١٩)، وقال تعالى ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ (هود: ٣).

**الهوامش**

١- د.علي عبد الواحد وافي، المساواة في الإسلام، دار نهضة مصر، بدون تاريخ، ص٩.

٢- الشيخ محمد الغزالي، حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٥، ص٣٣- ٥٣.

٣- د محمد عمارة، الإسلام وحقوق الإنسان.. ضرورات لا حقوق، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مايو ١٩٨٥، ص ٩١.

٤- مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة د.عبد الصبور شاهين، إشراف وإصدار ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥، ص ٢٠.

٥- المرجع السابق، ص٤٤- ٦٤.

# النصيحة السياسية في الفقه المعاصر

عبدالصمد بلحاج

**توافق الفقهاء على اعتبار النصيحة قولا فيه دعوة صلاح ونهي عن فساد . ويمكن النظر إلى فقه النصيحة من ثلاث جهات: من جهة مصدره، ومن جهة موضوعه، ومن جهة منهجه، فأما مصدره فهو الشريعة، نصوصاً وإجماعاً، وكذا آثار الصحابة، ولأن دور الفقيه هو حفظ الدين في أي نظام سياسي يتبناه المسلمون فإن النصيحة تصبح- من ثم- واجبة عليه، خاصة حين تتنكب السياسة طريق الشريعة، وأما من حيث الموضوع فلا يكون إسداء النصح لكيفية إدارة الحكم بشكل فعّال وعادل، كما هو الشأن في أدب النصيحة السلطاني، بل التذكير بمبادئ الإسلام في الحكم وبسيرة النبوة والخلافة فيه، وأما منهجه فهو، في الغالب، نقلي معضد بالقياس الفقهي، فهو جزء من فقه السياسة الذي اعتبره الجابري كجميع فروع الفقه الأخرى بدأ بالحديث النبوي ، ويحكم فقه النصيحة في تبويبه ومضمونه حديث «الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» (رواه مسلم).**

والنصيحة السياسية عملية تواصل تقتضي ناصحا ومنصوحا ومنصوحا به ، حيث يكون الناصح فاعلا سياسيا يملك سلطة رمزية دينية ما- فقيه أو داعية- أو سياسية- أمير، وزير أو خليفة- ويسدي النصح للمنصوح- حاكم المسلمين أو أفرادهم أو جماعاتهم، أما المنصوح به فهو مضمون النصيحة، وهناك عنصران خارجيان في عملية النصيحة هما سياق النصيحة، الوضع السياسي في الغالب، وصيغة النصيحة- رسالة أو وصية أو خطبة- وتصير النصيحة فعلا سياسيا إذا كان المنصوح يملك سلطة سياسية أو اجتماعية، ومن هنا تأتي أهمية المفهوم عند الفقهاء حيث يمثل الصلة بين المسؤول والرعية ، أما إذا كان موجها إلى أشخاص مجردين من تلك السلطة، أفرادا كانوا أو جماعات، فإنه يكون فعلا أخلاقيا أو وعظيا على الأكثر، وينتج عنه أن النصيحة تفاعل في النظر السياسي بين الفقه والواقع.

## في الفقه الإسلامي

ذكر محيي الدين يحيى بن شرف النووي (توفي سنة ٦٧٦هـ) في كتابه «تهذيب الأسماء» أن من نصيحة السلطان في الأحكام «تنبيهه إذا جرت على خلاف قواعد الإسلام، وأوجب الله تعالى الشفقة على الرعية والاهتمام بالضعفة وإزالة الضرر عنهم» ، فهي إذن تخص الجانب الشرعي التطبيقي (الأحكام)، والجانب الاجتماعي (العدل)، ويؤكد الجانب الاجتماعي في العدل بقوله «إنه تجب الشفقة على الراعي والرعية ونصيحته في مصلحته ومصلحتهم فإن الدين النصيحة» ، أما عواقب النصيحة السياسية فيرى النووي أن «التهديد أو أكثر منه لا يمنع من نصيحة السلطان، فإني أعتقد أن هذا واجب علي وعلى غيري» ونصَّ النووي على وجوب النصيحة السياسية فقال «وقد أوجب الله على المكلفين نصيحة السلطان- أعز الله أنصاره- ونصيحة عامة المسلمين» هذا الكلام في النصيحة ضمنه النووي «ورقة كتبها إلى الملك الظاهر تتضمن العدل في الرعية وإزالة المكوس» ، لذلك فهي شهادة في فقه النصيحة وممارستها في آن واحد.

وأضاف محمد بن علي بن جماعة (توفي سنة ٧٣٣هـ) النص على النصيحة العامة في كتابه «تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام»، ففي معرض سرده لحقوق السلطان، ذكر «الحق الثاني، بذل النصيحة له سرا وعلانية» ، ثم استشهد لدعم رأيه، بحديث «الدين النصيحة».

## في بعض الاجتهادات الفقهية المعاصرة

نبدأ برأي الشيخ محمد بن صالح بن محمد العثيمين (توفي سنة ١٤٢١هـ) في وجوب التناصح بين الرعية والرعاة، ولابد هنا من الإشارة إلى أنه يعتبر أن دلالة «أئمة المسلمين تشمل النوعين، أئمة الدين وهم العلماء، وأئمة السلطان وهم الأمراء، وإن شئت فقل أئمة البيان وأئمة السلطان، أئمة البيان وهم العلماء الذين يبينون للناس، وأئمة السلطان وهم الأمراء الذين ينفذون شريعة الله بقوة السلطان، إذن أئمة المسلمين

سواء أئمة العلم والبيان أو أئمة القوة والسلطان»، وقد يرد إشكال حول الحكومات التي تستند إلى شرعية دينية، هل يصبح الحاكم فيها محتكرا لقوة البيان وقوة السلطان؟ إن كان الأمر كذلك فقد يكون خارج دائرة النصيحة. ويبدو أن الشيخ العثيمين يحرص، ولو ضمنيا، على توازن السلطات بين السلطة الرمزية للفقيه والسلطة المادية للسياسي، وتوازن السلطتين يقتضي الفصل بينهما.

يرى الشيخ العثيمين أن «من حقوق الرعاة على رعيتهم أن يناصحوهم ويرشدوهم، وألا يجعلوا من خطئهم إذا أخطأوا سلّما للقدح فيهم ونشر عيوبهم بين الناس، فإن ذلك يوجب التنفير عنهم وكراهيتهم وكراهية ما يقومون به من أعمال وإن كانت حقا، ويوجب عدم السمع والطاعة لهم، وإن من الواجب على كل ناصح، وخصوصا من ينصح ولاة الأمور أن يستعمل الحكمة في نصيحته، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن رأى ممن ينصحه من ولاة الأمور قبولا للحق وانقيادا له فذلك، وإلا فليتثبت في الأمر وليتحقق من وقوع الخطأ منه وإصراره عليه، ثم ليرفعه إلى من فوقه إن كان في ذلك مصلحة وإزالة للظلم» ، ومنه يفهم أن النصيحة حق للحاكم على المحكومين.. لكن هل النصيحة المقصودة هنا هي النصيحة العامة، أو بتعبير ابن جماعة «النصيحة علانية» في قول الشيخ العثيمين «ونشر عيوبهم بين الناس» إيماء منه إلى كراهية النصيحة العامة؟ أما أسلوب النصيحة فهو يراعي السياق السياسي واستعداد المنصوح لتلقي النصيحة، وهذا يعني أن مراعاة شروط النصح يمكنها أن تعيق واجب النصيحة.

ومع ذلك فإن الشيخ العثيمين يتمسك بمبدأ وجوب النصيحة السياسية، لكنه يشترط السرية والتثبت، أي تبين سياق النصيحة والمنصوح وصحة المنصوح به أو فيه، فيقول «يجب علينا أن نناصحهم وأن نحرص على بذل النصيحة لهم في الدفاع عنهم وستر معايبهم وعلى أن نكون معهم إذا أخطأوا في بيان ذلك الخطأ لهم بيننا وبينهم، لأنه ربما نعتقد أن هذا العالم مخطئ، أو أن هذا الأمير مخطئ، وإذا ناقشناه تبين لنا أنه غير مخطئ، كما يقع هذا كثيرا، كذلك أيضا ربما تنقل لنا هذه الأشياء عن العالم أو عن الأمير على غير وجهها، إما لسوء القصد من الناقل، لأن بعض الناس، والعياذ بالله، يحب تشهير السوء بالعلماء وبالأمراء، فيكون سيئ القصد ينقل عليهم ما لم يقولوا وينسب إليهم ما لا يفعلوا، فلابد إذا سمعنا عن عالم أو عن أمير ما نرى أنه خطأ، لابد في تمام النصيحة من الاتصال به ومناقشته وبيان الأمر وتبيّنه حتى نكون على بصيرة» .

ولأن الشأن السياسي هو بطبيعته شأن عام، فإن الشيخ عبدالله بن الشيخ المحفوظ بن بيه اختار النصيحة العامة العلنية في رسالة إلى الفرقاء السياسيين المتحاربين في الصومال بعنوان «الدين النصيحة»، وهي عبارة عن رد على شبهتين يتمسك بهما رافضو السلم في الصومال «شبهة عدم تطبيق أحكام الحدود من طرف حكومة شريف، وشبهة الولاء والبراء، باعتبار أن حكومة شريف لها علاقات بدول غير مسلمة»، ويلاحظ أن الشيخ بن بيه

## الاجتهادات المعاصرة تعتبرها تذكيراً ببعض وظائف الحاكم من منظور الشريعة

يسلك في النصيحة أسلوب الرد الفقهي والكلامي من خلال عرض رأي المنصوح (الشبهة)، ثم نقضه بالحجج، وهو تارة يأتي بالآيات والأحاديث وأخبار الخلفاء، وتارة أخرى يستعمل النظر المقاصدي المصلحي في وجوب حفظ النظام ومراعاة ضرورات السياسة، فيرد بقوله «فأما بالنسبة للشبهة الأولى وهي تطبيق الشريعة في مجال العقوبات، فأود أن أقول: إن مضمون الشريعة واسع، متسع الأرجاء، مترامي الأطراف، فهو يشمل كل الأوامر والنواهي في شتى مجالات الحياة وميادين الأعمال الصالحات التي تخدم الفرد والمجتمع، ومجال العقوبات أحدها، وتطبيق الشرع فيه واجب، فهو أمر مطلوب شرعا ومرغوب طبعا، لأنه يقطع دابر الفساد، لكنه محاط بشروط، أولها توفر نظام مستقر مطاع، فهو من الأحكام السلطانية، كما هو معلوم» ، وبالنسبة للولاء والبراء فينصح الشيخ بن بيه الفرقاء بعدم التمسك بهذه الشبهة لقتال القوات الإفريقية التي «جاءت لمساعدة البلاد بقرار إقليمي ومحلي من حكومة شريف «فالمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم»، فكيف إذا كان مسؤولا كبيرا، فلا يجوز قتالهم بحال من الأحوال، بل عليكم أن تتفقوا مع إخوانكم لتحديد مدة مأموريتهم، ومدى صلاحيتهم، وباتفاقكم مع إخوانكم يسهل انسحابهم وتنتفي الحاجة إليهم» ، ويختم الشيخ بن بيه نصيحته «هذه نصيحتنا ونحن مستعدون لإجراء حوار معكم لبيان الحق حول هذه القضايا وغيرها» .

وختاما فإن الشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد البدر أوجب أن تكون «النصيحة لولاة الأمور وغيرهم سرا وبرفق ولين، وإذا خلا النصح من الرفق واللين وكان علانية فإنه يضر ولا ينفع، ومن المعلوم أن أي إنسان إذا كان عنده نقص يحب أن يُنصح برفق ولين، وأن يكون ذلك سرا، فعليه أن يعامل الناس بمثل ما يحب أن يعاملوه به» ، لكن النصيحة في رأيه لابد أن تكون مرفقة بالسمع والطاعة في المعروف، فيقول «فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة في ذلك، ومن النصح للولاة الدعاء لهم وعدم الدعاء عليهم، وهي طريقة أهل السنة والجماعة إذا حصل من ولاة الأمر فسق أو جور فلا يجوز الخروج عليهم، لأنه يترتب على الخروج عليهم من الفوضى والفساد أضعاف ما يحصل من الجور، ولا يجوز الخروج عليهم إلا إذا حصل منهم كفر واضح بيّن، ومن قواعد الشريعة ارتكاب أخف الضررين في سبيل التخلص من أشدهما» .

وخلاصة استعراضنا لبعض الاجتهادات الفقهية المعاصرة أن النصيحة السياسية واجبة لكنها ليست شكلا من أشكال التفاعل السياسي المباشر بين الحاكم والمحكومين، وهي أيضا تختلف عن الضغط أو التأثير الذي يمارس في الديموقراطيات الغربية، بل هي وعظ أو تذكير ببعض وظائف الحاكم من منظور الشريعة، ويشترط فيها البعض أن تكون سرية مما يبعدها عن الحياة السياسية العامة، والمصدر الشرعي لهذه الصياغة هو عقيدة أهل السنة والجماعة في تحريم الفتنة والتزام الوحدة من جهة، ومن جهة أخرى المصلحة التي تتقي عواقب النصيحة.

# الكتابة التاريخية.. الكتابة المحلية في المشرق الإسلامي

محمد عويس

**تعددت الآراء حول نشأة الكتابة التاريخية المحلية وبواعث نموها ومظاهر انتشارها بعامة، وفي المشرق الإسلامي بخاصة، فهذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه، كما أن ظهور هذا النمط عند المؤرخين المسلمين يرجع إلى الاتصال الحضاري والامتداد التراثي بوقوفهم على النماذج والمؤلفات الخاصة بالمدن التي تم فتحها، أو عملت الدولة الإسلامية على جمع معلومات عنها، كما هي الحال في تواريخ أنطاكية وروما والقسطنطينية.**

وينكر روزنتال هذا الرأي بحجة أن أقدم الكتب الإسلامية المحلية المعروفة نشأت في العراق وليست في الشام، ومن المعروف أن القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، شهد مولد الكتابة التاريخية المحلية بشكل واضح بسبب انتشار حركة الترجمة إلى العربية، وأصبح في متناول علماء المسلمين معرفة إسهامات أقرانهم في اليونان وبلاد الفرس والهند وغيرها من الحضارات، فساعد ذلك على نقل التجارب والمناهج التي امتلكتها الحضارات السابقة لعلماء المسلمين الذين قاموا بنقلها وأضافوا عليها، فحدث الامتزاج الفكري الذي كان من نتيجته الاستمرارية والتواصل العلمي.

د. إبراهيم علي القلا الأستاذ بكلية الآداب بجامعة جنوب الوادي أشار في دراسة له بعنوان «الكتابة التاريخية- الكتابة المحلية في المشرق الإسلامي» إلى أن للعامل السياسي أثره في ظهور الكتابة التاريخية المحلية، حيث كانت الخلافة الإسلامية على مدى قرنين من الهجرة تعبر عن الوحدة السياسية والإدارية للعالم الإسلامي، وتدور في فلكها من الناحية الإدارية الولايات في المشرق الإسلامي، وخاصة بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية وانتشر الإسلام بين أهالي تلك الأقاليم الجديدة، فأثر ذلك على المناخ السياسي السائد في الدولة العباسية ونظامها في الحكم، فتحولت إلى دولة إسلامية ذات انتماءات عنصرية وسياسية مختلفة. ومن أسباب ظهور الكتابة الإقليمية، الدويلات المستقلة كأسر ونظم حاكمة وافقت الخلافة على وجودها مضطرة، فواكب هذه الدول توجه ثقافي يميل إلى الإقليمية أو المحلية، خاصة بين الفرس فانطبع ذلك على الكتابة التاريخية، حيث كانت الأسر الحاكمة هي التي تطلب من بعض المؤرخين كتابة تواريخ الأقاليم وبعض المدن، بهدف تسجيل الإنجازات السياسية والحضارية التي تمت في فترات حكم هذه الأسر، وهذه النوعية من الكتب كانت بطبيعة الحال مطبوعة بطابع الذاتية إلى حد كبير، ويضاف إلى ذلك أن توزيعًا جديدًا للمدارس التاريخية قد ظهر بعد خمود جذوة مدرسة بغداد المسيطرة حتى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث إن الأقاليم الجديدة من العالم الإسلامي دخلت بدورها ميدان التأليف التاريخي، فقد وجد في البلاد المختلفة من شعروا بهذه الحقيقة، وبأن لديهم من الأخبار والأحوال ما يستحق التسجيل، وفي ذلك الكثير من النزعة الوطنية من جهة، ومن نزعة التقدير للأخبار المحلية المشهودة مقابل الأحداث البعيدة غير المشهودة، وهذا هو مبرر تأليف عدد من التواريخ المحلية الإقليمية، وهناك سبب وجيه للكتابة المحلية، حيث كان لكل قطر كما قال المسعودي «عجائب يقتصر على علمها أهله، وليس من لزم جمرات وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن إقليمه كمن قطع الأقطار ووزع أيامه بين تفاوت الأسعار واستخراج كل دقيق من معدنه...»، فالواجب على صاحب المعرفة من أهل البلاد أن يعلم معظم أبنائها ويحفظ أيام أمرائها، وعليه أن يبدأ بكتب حديث بلده ومعرفة أهله.

ومن أسباب الكتابة التاريخية المحلية التفاخر بحمل الروايات والحديث، والتنافس

باحث مصري

بين الأمصار في الرواة والرجال والسند وكثرة الحفاظ، فكثير من المؤلفين أعطوا المبررات لإقدامهم على التأليف لأقاليمهم أو مدنهم رغبة منهم في إبراز علماء بلدهم وإثبات فضله، فبعضهم سمى هذا النوع من التاريخ فضائل مثل «كتاب فضائل بلخ» أو «محاسن أهل بلخ» لأبي زيد البلخي من رجال القرن الرابع الهجري، وبعضهم سماه بشكل أدق «طبقات المحدثين»، مثل طبقات المحدثين بأصفهان لأبي الشيخ الأنصاري عبدالله بن حيان توفي سنة (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)، أو تاريخ مدينة بغداد أو بخارى.

كما أن الرحلات كرحلات الحج والوفود وحب الاستطلاع والتجسس، والدعوة، كلها كانت تسهم في كسر الطوق الإقليمي المحلي عن التواريخ، وتدفعها رغم عناوينها الإقليمية أحيانًا واهتماماتها المحلية إلى الإحاطة بأخبار بعض أقاليم العالم الإسلامي أو كلها.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره في سبب وجود الكتابة الإقليمية المحلية، فقد أدى الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به معظم بلدان المشرق الإسلامي في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، التاسع والعاشر والحادي عشر للميلاد، بتقدم الزراعة والصناعة والتجارة مما أدى إلى تمكين السلطات المحلية وأمراء الأقاليم من منح العلماء والمؤرخين الذين كانوا معهم الهدايا والهبات، مما ساعد على انتشار كتب التواريخ الإقليمية.

أما العامل الأخير فيرتبط بالعنصر الاجتماعي والنفسي، حيث يميل الإنسان بطبعه إلى مسقط رأسه في الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيرًا عن شعور الجماعة، وقد سيطر الفكر الإقليمي المحلي على انفعال المؤرخ، فكان نتاج ذلك العديد من كتب الأقاليم والمدن، حيث كانت الظروف السياسية بالمشرق الإسلامي بأقاليمه المتعددة أشبه بمجتمعات منفصلة سياسيًا وعسكريًا في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة.

ويرى القلا أنه يمكننا أن نميز في كتابة التاريخ المحلي الإقليمي بين نوعين واضحي المعالم، ولكنهما متصلان، أحدهما دنيوي والثاني ديني.

### ١- التاريخ المحلي الدنيوي

ترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلي الدنيوي الإسلامية إلى العراق، وأقدم ما تم تأليفه في تاريخها «تاريخ بغداد» لأحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وهو يشكل فصلا خاصا بخطط بغداد، ثم تتابعت المؤلفات المحلية الدنيوية عن مصر والشام والأندلس وغيرها.

أما في فارس وبلاد ما وراء النهر فقد ظهر التاريخ المحلي الدنيوي بصورة واضحة، باعتباره مظهرًا من مظاهر القومية الفارسية أو التركية والتي عرفت بالشعوبية، والتي

كان لها أثرها في الدراسات التاريخية، أو سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب فاهتموا بالتوسع في الثقافة الفارسية والتراث الفارسي، ومثال لذلك التاريخ المحلي الدنيوي عن خراسان كتاب «تاريخ أصفهان» لحمزة الأصفهاني، و«تاريخ قم» للحسن بن محمد القمي، و«محاسن أصفهان» للمافروخي.

اهتمت الكتب الدنيوية في الغالب بطبوغرافية المدينة وتاريخها القديم وعادات أهلها وتقاليدهم، فكان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وأحيائها، أما مادة الكتاب فكان عمادها الأساسي دراسة الشخصيات التي كان لها مكانة مرموقة في البلد أو الإقليم، وإن كانت هذه الشخصيات اقتصرت في بادئ الأمر على رجال الدين، ثم تطورت وشملت كل الشخصيات البارزة في الإقليم من أدباء وعلماء وتجار وأعيان، وأقدم ما وصل إلينا من هذا النوع من التاريخ كتاب «تاريخ واسط» لأبي الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف باسم بحشل الواسطي المتوفى فيما يقرب من سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وهذا الكتاب يتضمن تاريخ واسط وأطرافها وعلماء الدين فيها وبعض الرواة.

٢- التاريخ المحلي الديني

الكتب التي ظهرت في هذا المجال استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ الديني لهذه المدن، ومثال لذلك كتاب «تاريخ بخارى» للنرشخي، حتى تصور بعض المؤرخين أن معظم كتب الأقاليم خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة أقرب لطابع المؤلفات الدينية منها إلى المؤلفات التاريخية، ومما جعلهم يتصورون ذلك افتتاحيات الكتب وما كانت تضمه من أحاديث نبوية وأقوال الصحابة في مدينة ما.

وفي القرن الرابع الهجري أصبحت التراجم مرتبة على حروف الهجاء، وكان ذلك الأساس الذي اعتمدت عليه كتب التاريخ المحلي الديني، وأقدم كتاب تاريخي محلي ديني رتب على نظام المعاجم هو «تاريخ علماء الأندلس» لأبي الوليد عبدالله بن القرضي الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وأيضًا اتبع الخطيب البغدادي الذي عاش في القرن الخامس الهجري في كتابه تاريخ بغداد طريقة المعجم في ترتيب أسماء التراجم وأسماء آبائهم، واتبع مؤرخو المشرق الإسلامي هذا النهج في كتبهم عن التراجم.

وقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الأدبية الوحيدة في العالم الإسلامي بأسره على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وذلك راجع لوحدة العالم الإسلامي وتماسكه، وتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء، كما أنها لغة القرآن الكريم، وقد حرص الجميع على تعلمها، خاصة الشعوب التي دخلت في الإسلام كالفرس والروم والمصريين وغيرهم.

د.خديجة النبراوي صاحبة أضخم موسوعة في أصول الفكر الإسلامي في حوار مع «الوعي الإسلامي»:

# العولمة ليست «صنمًا» نعبده.. والأمة صاحبة مبادئ سامية

صابر رمضان

**الباحثة الإسلامية د.خديجة عبدالله النبراوي لها نشاط واسع وجهد حثيث في مجال الدعوة الإسلامية، وعلى الرغم من أنها ليست خريجة الأزهر الشريف، حيث تخرجت في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية عام ١٩٧٠ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف الأولى، فإنها عكفت على دراسة شؤون دينها وأحكامه وشرائعه لتعطي نفسها حقها من العلم الديني الذي هو حياة النفوس وإشراقها، اشتركت في العديد من المسابقات الإسلامية وفازت بالمراكز الأولى، وكان من بينها مسابقة «دور الأزهر في الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج» بمناسبة العيد الألفي للأزهر، والتي كانت على مستوى العالم الإسلامي عام ١٩٨١، ولم يفز فيها إلا ثلاثة فقط، وقد كانت الدكتورة واحدة منهم.**

**قدمت للمكتبة الإسلامية أضخم موسوعة في أصول الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، والتي استقتها من السنة النبوية المشرفة وهدي الخلفاء الراشدين، وهي تبويب للأحاديث كما وردت، تبويبًا سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا حسب مفهوم البحث، مما يفتح مجالا واسعًا للباحثين لتحقيق التطور المنشود في تلك العلوم، وهي موسوعة من خمسة مجلدات، كما فازت بالجائزة الكبرى في المسابقة الثقافية لفكر الإمام «النورسي» عن «دور رسائل النور في يقظة الأمة».**

**«الوعي الإسلامي» التقت الدكتورة.. وإليكم نص الحوار:**

**■ بداية كيف تقرئين المشهد الآن على الساحة الإسلامية؟**

- واقع الأمة الإسلامية الآن ينطبق عليه قول الله تعالى ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ (الكهف: ٩٩)، حيث هناك خليط من الآراء والفقه ومن الفتاوى، وكأننا نعيش الآية القرآنية أيضًا ﴿كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (الروم: ٣٢)، وهذا أخطر ما يواجه الشعوب الإسلامية لأن أساس الإسلام هو التوحد ومحاربة من يخرج عن نطاق الوحدة الإسلامية الشاملة، حتى إن الرسول ﷺ يجعل الصبر على حاكم فاسد أفضل من رفع السلاح عليه أو مواجهته بالسلاح لتحقيق الوحدة السياسية لأمة الإسلام، ومنع الفوضى التي قد تزلزل أركان الأمة، وهو ما نعيشه الآن، فالمفروض في خضم تلك الصراعات الرهيبة التي يواجهها العالم بأسره أن تكون هناك مجموعة من العلماء العابدين المخلصين العاملين لتحديد الاتجاهات العامة والسلوكيات الحديثة، التي تجدّ مع تطور الأحداث بما يحقق للإنسان الارتباط بالأصول الشرعية ومواءمة التطورات العصرية، أي إنني مع الشورى الجماعية.

**■ في ظل محاولات فرض الثقافات والصراعات الآن، هل تعتقدين أن قيم الحضارة الإسلامية قادرة على الوصول إلى الغرب والتأثير فيه؟**

- بالتأكيد.. وهذا ما نادى به بعض الغربيين بعد الانهيار الاقتصادي الذي حدث في أميركا، حيث طالبوا بتطبيق النظام المالي الإسلامي بما يحمله من ضمانات تحقق الاستقرار للاقتصاد القومي، هذا من ناحية النظام الاقتصادي، أما السياسي والاجتماعي فلم يصل أحد بعد إلى عظمة تلك النظم في تحقيق الحضارة الحقيقية، ليس للمسلمين فحسب بل للإنسانية بأسرها، خاصة أن الحضارة الإسلامية هي أول من أرسى مفاهيم العدل والسلام والمساواة ومحاربة التمييز العنصري، وجعلت الرحمة ركيزة أساسية تسود الحاكم والمحكوم، فإذا كان البعض لا يعتقد بعظمة الحضارة الإسلامية، فهذا لجهل بأصولها وقواعدها العميقة والشاملة لكل نواحي الحياة، وهذا الجهل ناتج من حالة التيه التي تعيشها الشعوب الإسلامية بما أدى إلى ضياع هويتها ومعالم شخصيتها.

**■ وهل يمكن للمستشرقين أن يؤدوا دورًا في التقريب بين الحضارات؟**

- هذا يتوقف على المستشرقين أنفسهم، فإذا كانوا ذوي ثقة في كتاباتهم وغير متعصبين ويتميزون بالنزاهة، فمن الممكن أن يؤدوا دورًا كبيرًا في التقريب بين الحضارات.

**■ المنهج الحضاري في الإسلام له ثوابت ربانية تشكل المقاصد الكلية للشريعة، فما أهمها من وجهة نظرك؟**

- بالنسبة للنواحي السياسية والاجتماعية، فتلك الثوابت هي العدل والمساواة والحرية والشورى والسلام، سواء الاجتماعي أو العالمي، والرحمة، وبالنسبة للنواحي الاقتصادية فأهم الأهداف هي إشباع الحاجات العامة، عدالة توزيع الثروات، والتنمية الاقتصادية إلى أقصى مدى، وتشجيع الادخار والاستثمار، ومحاربة الاستهلاك الترفي، ومحاربة مبدأ أن الغاية تبرر الوسيلة، ففي الإسلام الغاية شريفة والوسائل يجب أن تكون شريفة، فيمنع الغش والاحتكار والغرر، إلى جانب الكثير من أصول البيع التي تحقق استقرار السوق وتوازن الأسعار.

**■ هناك اتهام دائم للإسلام بأنه يحرم المرأة من حقوقها، فما ردك على هذا الاتهام؟**

- هذا الاتهام نتيجة قصور الفكر، وعدم الاطلاع على ما كانت تعيشه المرأة في الماضي قبل ظهور الإسلام وما عاشته بعد ظهور الإسلام، حتى إنها حصلت على حريات وحقوق قبل المرأة الأوروبية بحوالي٢٠٠ سنة، وعلى سبيل المثال، حقها في الاستقلال المالي وعدم اختلاط أموالها بأموال الزوج كما كان في أوروبا، هذا علاوة على أنه سمح لها بالمشاركة السياسية وإبداء الرأي والمشاركة في النشاط الاجتماعي من أوسع الأبواب، أي أن الإسلام غَرَس في المرأة الإيجابية والإحساس بالآخرين بعكس الحضارة الأوروبية التي غرست فيها الأنانية والحرص على المادية، وبذلك فهناك فرق كبير بين المرأة في أوروبا والمرأة في الإسلام، فالمرأة الأوروبية تعيش الحرية المادية غير الملتزمة بأي حضارة أخلاقية، أما في الإسلام فهي تعيش الحرية المنضبطة بقواعد أخلاقية تحميها وتحمي الآخرين من تمرد المادية الرهيبة التي تحرم الأمة من منابع الرحمة والحنان التي تمتلكها المرأة المسلمة.

**■ حملات تشكيك من آن لآخر ضد القرآن والسنة، ترى، ما أسبابها ودوافعها**

- القرآن شهد له كثير من الغربيين بأنه

يحمي قوانين الحياة بما لا يتوافر في أي كتاب سماوي آخر، لدرجة أن البعض أسلم من عظمة ما يحويه القرآن من إجابات عن أسئلة العلماء، وعندما يشكك أحد في القرآن، فهذا ناتج عن حقد أعمى وليس عن نظرة موضوعية، لأن الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ (فصلت: ٤٢)، فلو كان هؤلاء المشككون يدرسون القرآن بتجرد لرأوا ما فيه من مبادئ وأخلاق وتشريعات لصالح الإنسان وتحقيق النضج والرقي المطلوب له، وهذا ما دفع بعض العلماء الذين حصلوا على دراسات متطورة بعد دراستهم للقرآن أن يعلنوا إسلامهم، لأنهم كانوا يبحثون عن منابع الحقيقة التي لا يلوثها زيف أو أهواء، أما السنة فهي المذكرة التطبيقية للقرآن الكريم، وهما توأم لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، ومحاولة التشكيك في السنة تعني منع المسلمين من التحليق في آفاق عالية من التطبيق الفعلي للقرآن، لأن القرآن والسنة هما جناحا المؤمن في العروج إلى الأنوار السماوية، وتحقيق الذات الإنسانية بكل ما تعنيه من كمال ونضج ورقي.

**■ ما رأيك في مستوى عقلانية الحوار مع الغرب، وماذا علينا أن نفعل؟**

- أولًا الغرب يؤمن بالقوة، حتى إنه يعرف حقوق الإنسان بأنها مدى قوته واستطاعته الحصول على حقه، وبالتالي يرى أن الشعوب الضعيفة لا حق لها في الاستمتاع بالحياة، وهو ما يجعلهم يحصلون على حقوقهم من تلك الشعوب بالحروب، وشعارهم «البقاء للأقوى»، ولغة الحوار الوحيدة لديهم هي مدى الرقي المادي، ولذلك يقول بعض العلماء الموثوق فيهم: لا يمكن إعلاء كلمة الله في زمننا الحاضر إلا بالرقي المادي، فعلينا بدلًا من الانشغال بالحوار أن ننشغل بالعمل وتحقيق الغاية المطلوبة، ووقتها سيحترم الغرب قوتنا والمبادئ التي حققت لنا تلك القوة.

**■ كيف نتعامل مع «العولمة» بعد أن فرضت نفسها بقوة على كل مناحي الحياة؟**

- نتعامل معها بالثبات على الحق، وأن نردد قول الحق تعالى ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ (لقمان: ٢٢)، فالعولمة ليست «صنمًا» نعبده، ولكن لنا نظامنا ومبادئنا التي يجب أن نعتز بها، ونكون مثل المؤمنين الذين دخلوا سفينة نوح لينجوا من طوفان المادية، فإذا كانت أفكار الآخرين تتناسب مع مبادئ ديننا فلا مانع منها، ولكن إذا كانت تتصادم معها فلنطبق قول الرسول ﷺ «لقد تركتم على مثل البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك» (صححه الألباني)، فالبعد عن مبادئ العقيدة يؤدي إلى الهلاك والغرق في مبادئ الآخرين.

**■ بعض المتشدقين يقولون إن أمة الإسلام خرجت من عباءة التاريخ، ولم تعد من صناع الحضارة الإنسانية، فما قولك؟**

- نقول إن هناك فرقًا بين عالمية الدولة الإسلامية وعالمية الدعوة الإسلامية، فإذا كانت الدولة الإسلامية قد تضاءل حجمها ودورها نتيجة صراعات سياسية كثيرة، فإن الدعوة الإسلامية قائمة ومازال يؤمن بها غربيون كثيرون رغم التطور الحضاري الذي يعيشونه، لأنهم وجدوا فيها الأمن والحضارة الحقيقيين ورقي النفس الإنسانية، ونجد أن تطبيقهم وتمسكهم بمبادئ الإسلام متجدد دائمًا مهما كانت الظروف التي تسود الشعوب، فالإسلام يملك قوة الدفع الذاتي.

# على ضفاف الاستقامة

علاء الدين حسن

**إنَّ الثبات على الطاعة من أخلاق المؤمنين، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا تتنزَّل عليهم الملائكة ألاّ تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنَّة الَّتي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون. نزلًا من غفور رحيم﴾ (فصّلت: ٣٠ - ٣١).**

قالوا ربُّنا الله، أي وحَّدوا الله ولم يشركوا به شيئًا، وأخلصوا العبادة له، وعلموا أن له الخلق والأمر، فأقرّوا بأنَّ الله هو الخالق وحده، وما سواه مخلوق، وهو الرازق وحده، وما سواه مرزوق، وهو المالك وحده، وما سواه مملوك. وهذا هو أصل الدين وأساسه، ولأجل هذا بعث الله الرسل وأنزل الكتب، فلا خضوع إلا لله، ولا انقياد إلا لله، ولا تسليم إلا لله، ولا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا من الله، ولا تفويض إلا إلى الله، ولا توكل إلا على الله، ولا استعانة إلا بالله .. هو الواحد المتفرد بأسماء الجلال وصفات الكمال، لا ندَّ له، ولا ضدَّ له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا زوج له، ولا مثيل له، ولا نظير له، ولا شبيه له، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، فلابدَّ من الولاء لله، ولابدَّ من الاستقامة على منهج الله.

## العاقبة الطيّبة

والعاقبة الطيبة للراسخين في الإيمان، المثابرين على العمل بطاعة الرحمن، فمن آمن بالله واستقام على طاعته، تنزلت عليه الملائكة عند المهمات الدنيوية بما يشرح صدره ويدفع عنه الهمَّ والحزن، وقالت له: لا تخف من الموت وما بعده، ولا تحزن على ما خلَّفتَ من أهل وولد، وأبشر بالجنة التي وعدك الله إيّاها، إكراماً من الله كما يكرم صاحب المنزل ضيفه، قال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (أولئك أصحاب الجنَّة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون﴾ (الأحقاف: ١٣ - ١٤)

وعن سفيان بن عبد الله

باحث سوري

## الاستقامة لا يطيقها إلاّ الأكابر لأنها خروج عن المعهودات ومفارقة للعادات

الثقفي قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «قل آمنت بالله، ثم استقم» (١) .

وهذا الحديث من جوامع كلم رسول الله وبدائع حكمه ﷺ، فهو على اختصاره جمع أصول الإسلام في كلمتين : الإيمان، والاستقامة. والإسلام توحيد وطاعة، والطاعة لا تتحقق إلا بالاستقامة.

قل لي في الإسلام قولاً، أي: قل لي في جوهر الإسلام قولاً جامعاً لمعاني الدين، قولاً واضحاً بيّناً لا يحتاج إلى شرح أو تفسير .

قال: «قل آمنت بالله ثم استقم» أي: جدد إيمانك بالله، متذكراً بقلبك، ذاكراً بلسانك، لتستحضر جميع تفاصيل أركان الإيمان، ثم داوم واثبت على عمل الطاعات، واجتنب جميع المخالفات، وامتثل كل مأمور، وانته عن كل محظور.

### أصل الاستقامة

وأصل الاستقامة استقامة القلب «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» (٢) .

وأهم ما يراعى استقامته بعد القلب من الجوارح «اللسان»، وفي الحديث عن أحمد وغيره من حديث أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولن يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه» (٣).

وقال ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم يلقاه » (٤).

وعن أبي هريرة قال: قال ﷺ :«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» (٥) .

والاستقامة: أن تجعل لأفعالك ولأقوالك ولنياتك قيمة، فإذا كانت لأفعالك قيمة، وإذا كانت لأقوالك قيمة، وإذا كانت لنياتك قيمة فأنت مستقيم، إذا كان قولك ذا قيمة عند الله، وإذا كان فعلك ذا قيمة عند الله، وإذا كانت نيتك ذات قيمة عند الله فأنت مستقيم.

الاستقامة درجة بها كمال الأمور، وبوجودها حصول الخيرات، ومن لم يكن مستقيماً ضاع سعيه وخاب جده.

### اكتمال المحاسن

الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر، لأنها خروج عن المعهودات، ومفارقة للعادات، ولأنها قيام بين يدي الله بصدق، فالاستقامة هي الخصلة التي بها كملت المحاسن.

الاستقامة: درجة قصوى في كمال المعارف والأحوال، وصفاء للقلب في الأقوال والأفعال، وتنزيه للعقائد من سفاسف الأهواء والضلال .

الاستقامة: أن تتبع الصراط المستقيم، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطّ لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» (٦) ، ثم تلا قول الله ﴿ وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتَّبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكم به لعلَّكم تتَّقون» (الأنعام : ١٥٣).

ومما يؤكد على أهمية الاستقامة، أن الله تعالى أمر بها نبيه المصطفى ﷺ، قال الله تعالى ﴿فاستقم كما أمرت ﴾(هود: ١١٢).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما أُنزل على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية، وعندما قال الصحابة رضي الله عنهم: قد أسرع إليك الشيب يا رسول الله، قال ﷺ «شيبتني هود وأخواتها» (٧).

وذكر القشيري عن بعضهم أنه رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: يا رسول الله! قلت: «شيبتني هود وأخواتها»، فما شيبك منها؟ قال: قول الله عز وجل: ﴿فاستقم كما أمرت ﴾ .

**الهوامش**

١- رواه مسلم في كتاب الإيمان- باب : جامع أوصاف الإسلام- رقم ٣٨، والترمذي في الزهد، باب : ما جاء في حفظ اللسان- رقم ٢٤١٢.
٢- البخاري: ٢٢/١، ومسلم : ٥٠/٥.
٣- رواه أحمد في مسنده- حديث رقم ٣١٣٨٩.
٤- رواه البخاري في صحيحه- حديث رقم ٦١١٣.
٥- ص البخاري- ك الأدب- ح رقم ٦٠١٨.
٦- رواه أحمد في مسنده برقم ٤٢٢٥.
٧- صحيح الشَّمائل / ٣٥.

# المخدرات تفتك بالفرد وتهدم المجتمع

**يندر أن تُجْمِعَ دولُ العالم كافة وبلا استثناء على أمر كما أجمعت على محاربة المخدرات، فالخطر ليس مقصورا على أفراد، وإنما يفتك بالمجتمعات فتكًا، وينخر في أساس البنيان الاجتماعي الذي يقوم عليه أي بلد، لذلك فإن محاربة المخدرات والعقاقير المحرمة أصبحت ساحة «تعاون دولي»، قلَّ أن نشهد له نظيرًا في أي ميدان آخر.**

**وقد يتبادر إلى الأذهان أن «آفة المخدرات» لم تظهر إلا حديثًا، والحقيقة إنها قديمة قدم التاريخ الإنساني نفسه، وإنما زادت حدتها نتيجة للضغوط النفسية والقلاقل الاجتماعية التي يعاني منها الناس في العصر الحاضر، الأمر الذي أدى إلى تصور البعض- للأسف- أن الهروب إلى عالم المخدرات قد يكون هو العلاج أو السبيل لمقاومة تلك الضغوط المتزايدة، مع أن الطب يقول غير ذلك، كما ينفي ذلك التصورَ أدنى قدر من المنطق والتفكير السليم، وفوق هذا وذاك، فإن الدين ينكره وينهى عنه بصراحة ووضوح، وقد جاء في الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل مُسْكِرٍ خمر، وكل خمر حرام» (رواه مسلم).**

د. عبدالرحمن النمر

إن الاستعمال غير الطبي للعقاقير مشكلة تاريخية ضاربة في القدم، والمجتمعات الحديثة ليست استثناء مما وقعت فيه، وعانت منه المجتمعات البشرية السابقة، مع فارق واضح هو أن الإقبال على تعاطي العقاقير لأغراض غير طبية ولا علاجية يأخذ أبعادًا وبائية في هذا الزمان! إذ لا يكاد يسلم مجتمع بشري واحد في عالم اليوم من تلك الآفة، وإن تفاوتت أبعادها.

وقد امتد لهيب المشكلة إلى أكثر المجتمعات العربية، بحيث بات يكتوي بنارها مئات الضحايا، أغلبهم في عمر الزهور! وينتشر اللهيب ليحرق- مع الضحايا- عشرات الأسر، ويترك من ثَمَّ أثرًا غير هيِّن في المجتمع.

## الدافع لتعاطي العقاقير

■ الهروب من ضغوط الحياة ومشاكلها، ولذلك يتناسب تعاطي العقاقير طرديًا مع مشاكل الحياة.

■ تخفيف مشاعر القلق والتوتر الناتجة عن مواقف الحياة اليومية، وأكثر العقاقير التي تستخدم لهذا الغرض هي التبغ والكحول والحشيش.

■ استخدام العقار كعلاج لحالة نفسية، أو كتنفيس عن موقف عاطفي معين.

■ التمرد على ظروف اجتماعية قاسية يعجز المرء عن تغييرها، فيلجأ إلى المخدرات بدافع اللهو والتسلية والإثارة والفضول.

فضلا عن ذلك، هناك عوامل مهمة أخرى، تلعب دورًا رئيسيا في انتشار عقار معين في زمن ما في مجتمع ما، من ذلك عوامل جغرافية واقتصادية وثقافية واجتماعية.

من جهة ثانية، تلعب الصداقات التي يكوِّنها الإنسان في سني الطفولة، والجماعات التي ينتمي إليها، دورا بالغ الأهمية فيما إذا كان ذلك الإنسان سوف يقبل على تعاطي العقاقير، بل حتى في تحديد نوع العقار، إذا حدث وأقبل على تعاطي العقاقير!

## الاحتمال والإدمان

بعد فترة من تعاطي عقار ما، تنشأ ظاهرة تسمى «الاحتمال Tolerance»، وهي خفوت الأثر الذي يحصل عليه متعاطي العقار من جرعة محددة، وعلى ذلك فإن متعاطي العقار يحتاج إلى زيادة الجرعة من حين إلى آخر، ليحصل على نفس الأثر الذي حصل عليه لأول مرة من الجرعة الأولى.

وظاهرة «الاحتمال» هي التي تفسر السلوك التصاعدي في جميع حالات تعاطي العقاقير، فمدخن التبغ- أو الحشيش- يبدأ بلفافة واحدة في اليوم، وبمرور الوقت، لا تحدث اللفافة الواحدة نفس الأثر الذي أحدثته اللفافة الأولى، فيرتفع العدد إلى لفافتين أو ثلاث في اليوم، وهكذا تزداد الجرعة تدريجيا إلى أن يصبح تعاطي العقار ضرورة على فترات زمنية قصيرة جدا! ونفس الكلام يقال عن شارب الكحول الذي يبدأ بكأس واحدة في اليوم، ثم ينتهي به الحال إلى كأس أو أكثر كل ساعة! وقل الشيء ذاته عن تعاطي الأفيون والهيروين

طبيب مصري

وغيرهما، من سائر أنواع العقاقير المستخدمة لأغراض غير طبية.

وتؤدى ظاهرة الإدمان إلى سلوك مميز عند المدمن، يعرف باسم «تعاطي العقار الإجباري»، ذلك أن الإنسان عندما يقع في حبائل عقار معين، فإنه يفقد اختياره أمام تعاطي العقار، بمجرد ظهور علامات الإدمان، الأمر الذي يجعله مجبرا أو مكرها على الاستمرار في تعاطي العقار! وعندما يصل المدمن إلى هذه المرحلة، مرحلة التعاطي الإجباري للعقار، يصبح مضطرا لفعل أي شيء للحصول على العقار، فيسرق ويرتشي ويختلس ليستطيع دفع ثمن العقار! وقد يبيع أثاث بيته، وحتى عِرْضه، ثمنا للعقار! وكثيرا ما تتوّج سلسلة الجرائم بالقتل! «ما بدأ كنزوة، انتهى بنقمة!».

## المخاطر والعواقب

إذا اجترأ إنسان وشرب السم للتجربة، فما العاقبة؟! بعض الناس يجد التجربة الأولى غير سارة، فينصرف عن العقاقير جملة وتفصيلا، إلا أن البعض الآخر، تحت ضغوط نفسية أو اجتماعية، أو نتيجة أفكار معينة، يستمر في تعاطي العقار مستمرئا ومستعذبا «نشوة العقار»! وقد يكون للعقار نشوة، إلا أنها باهظة الثمن للفرد والمجتمع على حد سواء.

### أولا: المخاطر الفردية

في المدى القريب قد لا تكون آثار تعاطي العقار واضحة للفرد أو لمن حوله، لكن على المدى البعيد يكون تعاطي العقار سببا في النبذ الاجتماعي وفقدان العمل، وحتى فقدان القدرة على الكسب المشروع، وقد لا يستطيع المدمن مواصلة تعليمه، خصوصا إذا بدأ تعاطي العقاقير في سن مبكرة.

أما المخاطر الصحية، فحدث ولا حرج، فما من جهاز في الجسم إلا ويصيبه التلف- بدرجات متفاوتة- نتيجة الاستعمال غير الطبي للعقاقير.. وتدخينُ التبغ الذي يبدو أهون المحظورات على القائمة يرتبط ارتباطا موثقا بالأدلة بسرطان الرئة والشفتين واللسان والبلعوم والحنجرة والقصبة الهوائية، وحتى سرطان الجلد! فضلا عن ارتباطه بأكثر أمراض الجهاز التنفسي المزمنة.

والذي ثبت أخيرا، فيما يتعلق بالاستعمال غير الطبي للعقاقير أنها تؤدي إلى نشوء الأمراض النفسية.

### ثانيا: المخاطر الاجتماعية

ترتبط الجريمة ارتباطا وثيقا بتعاطي العقاقير، ويضيق المقام هنا عن إيراد الإحصاءات التي تبين ذلك بالدليل الدامغ.

وفي مجال الأسرة، يضيق المقام كذلك عن بيان الأضرار الناشئة عن تعاطي العقاقير، إذ تتراوح الأضرار بين معاملة الأطفال بوحشية تصل إلى حد تعذيبهم، مرورا بالعراك والمشاحنات المستمرة، وانتهاء بالطلاق وتشتيت شمل الأسرة.

## تحريم الخمر والميسر والانصاب والأزلام في القرآن الكريم يغلق باباً واسعاً من أبواب الشرور

## التحريم في الإسلام

يجب التنبيه إلى أن الإقلاع عن تعاطي العقاقير أمر غير يسير، إذ متى وقع إنسان في شباك المخدرات وحبائل الإدمان، فإنه يكون في حلقة مفرغة لا يدرى أين طرفاها! ذلك أنه إذا أقلع عن العقار، عرَّضَ نفسه لأعراض الانسحاب وما تسببه من ألم قد يقود في حالات كثيرة إلى ميتة بشعة! وإذا استمر في تعاطي العقار، فإنه يكون أسير العقار حبيس الإدمان، فيفتك السم بجسمه إلى أن يقضي عليه!

ويكون حل مشكلة الإدمان باستئصالها من جذورها، أي بعدم الوقوع فيها أصلا، وهذا ما فعلته الشريعة الإسلامية الغراء، حين حرمت تعاطي هذه العقاقير، ففي الذكر الحكيم نقرأ قول الله تبارك وتعالى ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ (سورة المائدة: ٩٠).

قال المفسرون: الخمر جميع الأشربة التي تسكر، وفعل الأمر في الآية الكريمة (فاجتنبوه( ليس دالا على التحريم فحسب، بل على وجوب الابتعاد عن كل ما يقرب من هذه الآفات.

هذا التحريم في الشريعة الإسلامية الغراء، يغلق بابا واسعا من أبواب الشرور، ويسد منفذا خطيرا من منافذ الفساد الاجتماعي والأخلاقي، وبذلك تكون حكمة المنع جلية لا تحتاج إلى مزيد بيان.

ويتعين على الجهات والمؤسسات المنوط بها التصدي لهذه الآفة الخطيرة (التعاطي غير الطبي للعقاقير)، اتخاذُ التدابير اللازمة لحماية المجتمع من الشرور والمفاسد، التي تفت في عضد المجتمع وتسلب الناس أمنهم وسكينتهم، ومن تلك التدابير ما يلي:

- نشر الوعي بين جماهير الناس، خصوصا طلبة المدارس المتوسطة والثانوية، حيث الفئة العمرية التي يسهل التغرير بها، لبيان أضرار وعواقب الاستعمال غير الطبي للعقاقير، بالنسبة للفرد وللمجتمع، على أن تشارك في هذا الجهد وسائل الإعلام كافة.
- توقيع العقوبات الرادعة على مهربي ومروجي المخدرات والسموم.
- الإعلان عن القوانين والقرارات التي أصدرتها هيئة كبار العلماء، والتي نصت على معاقبة مهرب ومروج المخدرات بالقتل، ليكون في ذلك ردع للناس عن ارتكاب هذه الجريمة الشنعاء.

# ثانويات الأئمة والخطباء في تركيا

ناظم جمهور

**افتتحت في تركيا عام ١٩٥١م الثانويات التي تعرف باسم ثانويات الأئمة والخطباء، والتي تستغرق مدة الدراسة فيها حاليا أربع سنوات بما فيها السنة التحضيرية، ووصل عدد هذه الثانويات التابعة لوزارة التربية والتعليم في العام الدراسي ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ إلى خمسمائة ثانوية تقريبا في مختلف مدن تركيا، وعدد الدارسين فيها يصل إلى ٧٨٠٠٠ دارس تقريبًا.**

تستقبل ثانويات الأئمة والخطباء طلابها من أبناء الأتراك ومن أبناء العالم الإسلامي الحاصلين على الدراسة المتوسطة أو ما يعادلها، وتسهر على إعدادهم علميا وتربويا ليكونوا مؤهلين للالتحاق بكليات جامعات تركيا، ومدة الدراسة فيها أربع سنوات بما فيها السنة التحضيرية كما تقدم، يحصل الطالب في نهايتها على شهادة إتمام الدراسة الثانوية.

تتخذ هذه الثانويات نظام الفصول أساسًا للدراسة، وتنقسم السنة إلى فصلين دراسيين.

## الخطة الدراسية

تدرس اللغة العربية والعلوم الشرعية في تلك الثانويات خلال مدة الدراسة كمادة أساسية، وخطة الدراسة كالآتي:

أولاً: السنة التحضيرية، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة) ٨ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة) ١٥ محاضرة في الأسبوع.

٣- المعلومات الأساسية الدينية، محاضرتان في الأسبوع.

يخضع الطلبة عند بداية وصولهم إلى الثانوية لامتحان الكفاءة في اللغة العربية، وينتقل الطلبة الناجحون إلى الصف الأول دون دراسة السنة التحضيرية.

ثانيا: السنة الأولى، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٣- السيرة النبوية، محاضرتان في الأسبوع.

ثالثًا: السنة الثانية، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٣- التفسير، محاضرتان في الأسبوع.

٤- الحديث، محاضرتان في الأسبوع.

٥- الفقه، محاضرتان في الأسبوع.

٦- التاريخ الإسلامي، محاضرتان في الأسبوع.

رابعًا: السنة الثالثة، وقد قسمت إلى فصلين دراسيين، يدرس الطلبة في كل فصل منهما:

١- القرآن الكريم (حفظًا وتلاوة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٢- اللغة العربية (صرفًا ونحوًا ونصوصًا وبلاغة ومحادثة)، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٣- الكلام (العقيدة)، محاضرتان في الأسبوع.

٤- الخطابة والموعظة الدينية، ٤ محاضرات في الأسبوع.

٥- تاريخ مقارنة الأديان، محاضرتان في الأسبوع.

وهناك مواد أخرى اختيارية لجميع السنوات، مثل الخط العربي والتذهيب، والأناشيد الدينية، وتاريخ الدولة العثمانية، وغير ذلك من المواد المتعلقة بالثقافة الإسلامية.

والمواد الإجبارية والاختيارية التي يدرسها الطلبة خلال السنوات الأربع مثل اللغة التركية والأدب التركي والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا واللغة الأجنبية والرياضة البدنية وعلم النفس وعلم الاجتماع والمنطق والرسم، والمواد الأخرى التي توجد بعينها في الثانويات الأخرى الأدبية والفنية.

استنبول شامخة بمساجدها

## مسابقة حفظ الحديث الشريف

أقيم أخيراً في مدرسة الأئمة والخطباء في منطقة «منديك» باستنبول مسابقة في حفظ حديث رسول الله ﷺ، وقد شارك في هذه المسابقة ٢٨٤ طالبًا وطالبة، وقد فازت في هذه المسابقة الطالبات راخية جوبان، حيث حفظت ١٠١٠ أحاديث، أسماء ياپلاء، وقد حفظت ٨٨٥ حديثًا، اداء قراجه حيث حفظت ٧٠٠ حديث.

باحث تركي

# أسرتي

## الأم مدرسة

على الرغم من أن تقارير الأمم المتحدة في مجال الدراسات السكانية قد أكدت بصورة لا لبس فيها على أن الأم المسلمة هي أسلم امرأة في الدنيا، وذلك بسبب الرضاعة الطبيعية، وأن الطفل المسلم هو أصح طفل في العالم، وفي ضوء تلك الحقائق أدرك الغربيون أن عملية فرض النمط الغربي على المجتمع الإسلامي أصبحت أمرًا مستعصيًا، فاتجهوا إلى البحث عن وسيلة لتفكيك هذه المنظومة المتلاحمة داخل الأسرة المسلمة، ووجهوا سهامهم بصورة خاصة تجاه المرأة المسلمة والأم المسلمة، واصفين إياها بأنها مجرد وعاء حاضن للحمل والولادة، وأنها حبيسة البيت والمطبخ دونما غاية أو هدف في هذه الحياة، واستنفر الغرب بمنظماته ومؤسساته لعولمة المرأة المسلمة.

لقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الله عز وجل خلق الذكر والأنثى بحكمته وإرادته، وأوكل لكل منهما دورًا في إعمار الكون، وأن دور المرأة لا يقل أهمية عن دور الرجل، إن لم يزد عليه، فهي مربية الأبناء وصانعة الأجيال، وهي مدرسة متكاملة في عملية البناء والتربية كما وصفها الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعبًا طيب الأعراق

# ثقافة التلفزيون

إيمان القدوسي

**ابتلعت ثقافة التلفزيون كل الثقافات الفرعية والمحلية. فقد كانت لكل أسرة أو قبيلة أو قرية مفرداتها الخاصة بها.**

**والثقافة التلفزيونية ترجع لارتفاع معدل المشاهدة لدى الجمهور وخصوصا المرأة. وفي دراسة حديثة أعدها الأستاذ بكلية الإعلام -جامعة القاهرة د.عادل عبدالغفار اتضح أن ٩٢ في المائة من النساء في مصر يشاهدن التلفزيون. ويعتبرن هذا السلوك هو الترفيه الأساسي وربما الوحيد بالنسبة لهن.**

تحتل الدراما، سواء أفلام أو مسلسلات، المكانة الأولى في المواد المفضلة لدى المرأة، وذلك لأنها مواد مسلية جذابة وليست جافة، وكذلك لأنها لا تستدعي التفرغ الكامل أثناء المشاهدة، فيمكن لربة البيت أن تمارس كل أعمالها المنزلية وهي تتابع التلفزيون قدر الإمكان دون أن يفوتها الكثير، وتعتبر النساء هذا السلوك مجرد تسلية وصوت يؤنسها ويكسر شعورها بالوحدة والملل، ولكن الحقيقة أنه أثناء الاسترخاء الطويل أمام التلفزيون تتسرب الكثير من القيم وتترسخ داخل اللاوعي، وتسهم في تكوين الرؤية الذاتية للحياة والعلاقات بين الناس.

التسلية لا تكون أبدًا بمعزل عن القيم، بل إنها فترة مناسبة جدا لتمرير الكثير من القيم، والمساهمة في التكوين الثقافي، وذلك لأن الإنسان في تلك الحالة يكون وعيه مسترخيا وخطوط دفاعه مستباحة، وفي حالة تسمح له بتقبل كل شيء، وما بين الدموع والضحكات ولحظات الحب والفرح والتشويق يتم إعادة التشكيل الثقافي، ومع انعزال الناس عن بعضهم والاتجاه إلى الانكفاء على الذات وتقلص وجود الأسر الممتدة، وتفضيل الحياة داخل حدود الأسرة والمنزل تزايدت أهمية الثقافة التلفزيونية إذ أصبحت هي اللاصق الاجتماعي والثقافي الذي يربط فئات المجتمع المختلفة.

تحتل العلاقة بين الزوجين مساحة ضخمة في اهتمامات الدراما، وقد نشرت الكثير من المفاهيم والتي صارت كأنها مسلمات لدى النساء، خاصة في السن الصغيرة، ولم يقل أحد لهن أن هذه أوهام وأقاويل مغلوطة، وأنها حبال ذائبة من الخطر التعلق بها، مثل الاعتقاد أن الزواج هو نهاية المشوار وما بعده هو الاستغراق في بحور العسل والهناء، فعادة نهاية الفيلم زفاف البطل والبطلة وانتهاء كل المشكلات وترفرف السعادة بأجنحتها الذهبية عليهما، في حين أن الزواج هو البداية الحقيقية لتحمل المسؤولية، وبصفة عامة لا توجد نهايات في الحياة إلا بانتهاء الحياة نفسها، وكل خطوة هي بداية لمرحلة جديدة ونهاية للمرحلة السابقة، ومن المفاهيم الشائعة أيضا الاعتقاد بأن الزوج مكلف بإسعاد زوجته وتحقيق كل أحلامها، وهذا أيضا وهم.. فالزوجة كائن عاقل مستقل وعلى عاتقها وحدها تقع مسؤولية سعادتها والعلاقة بين الزوجين تبادلية، ومن أكثر المفاهيم الشائعة خطرا الاعتقاد أن الزوجين السعيدين لا يختلفان أبدا وتكون الحياة بينهما سلسلة متصلة الحلقات من البهجة والسرور، والحقيقة أن مزاج كل منهما وأحداث الحياة واختلاف التربية والفروق الفردية الكثيرة بينهما كلها عوامل تؤدي لتعارض الإرادات واختلاف وجهات النظر، وهو أمر صحي ولا يخيف أبدا، بل بالعكس يؤدي لمزيد من التفاهم ويعمق الفهم المشترك بينهما، وتؤدي كثرة المجاملات والكلام الناعم الزائف في الأفلام إلى اعتقاد خطأ أن هذا السلوك مرغوب، والحقيقة أن ما يسعد الطرف الآخر هو المصارحة والتعبير الصادق عن النفس.

لكل عروس جديدة أقول استمعي لصوت فطرتك، وتجاوبي مع زوجك في حدود الواقع المشترك، وحاولي الإمساك بنقاط الالتقاء والغزل عليها، ولا تتخذي ما تشاهدينه في الأفلام قدوة أو نموذجاً لأنه «شغل» سينما وأحلام تجارية ملونة هدفها الربح والتلاعب بالعقول.

ليس مهما على الإطلاق أن تكوني في جمال فاتنات الشاشة المصنوعات، ولا أن يكون زوجك ثريا وسيما معسول القول لتتحقق لكما السعادة، ولكن الأهم أن يكون بينكما تفاهم وصدق وإخلاص وتوفيق من المولى عز وجل ليكون لكما عش هادئ آمن سعيد وبعيد عن الأضواء وعن ثقافة التلفزيون.

# بين الأم وبناتها

بريهان فارس عيسى

**الأم هي ابنتها، والابنة هي أمها، ولذلك عندما يريد الرجل أن يتزوج بفتاة، فعليه ألا يهمل دور الأم التي ربت هذه الفتاة والتي ستكون جدة لأولاده، والأمثال الشعبية تقول: «ضع الجرة على فمها، تكون الابنة كأمها».**

**من هنا كان دور الأم فاعلا بالنسبة لأولادها بشكل عام، وبالنسبة لبناتها بشكل خاص.**

**ومن المعلوم أن الطفل يتأثر بأي سلوك يراه، أو أي حركة تمثل أمامه، فيقوم بتكرارها، والطفل سريع الالتقاط لأي أفعال تجري أمام عينيه.**

**والأم هنا تكون قدوة فاعلة في البيت، وعلى الأخص بالنسبة لبناتها، لأن الطفلة لا تريد أن تكون نسخة من أحد، ولكنها تريد أن تكون نسخة مصغرة من أمها، وهي لا ترضى عن نفسها إلا إذا كانت نسخة من أمها.**

وهنا تكمن خطورة دور الأم، ومدى حساسية هذا الدور الذي تؤديه، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مع بناتها على وجه الخصوص.

كذلك تمر المرأة بمراحل انتقالية كبرى، تسعى من خلالها إلى تطوير نفسها مع كل مرحلة انتقالية جديدة، وتلجها، فعندما تتزوج تودع مرحلة وتستقبل مرحلة أخرى جديدة عندما تنجب أطفالا، تستقبل مرحلة الأمومة الجديدة، فترتقي إلى المرحلة بتصرفاتها، وممارستها لحياتها اليومية، وحديثها، بل وحتى ثيابها، وبعض طبائعها التي ترى أن تعدل وتضيف وتحذف منها بما يتماشى وفق المرحلة الجديدة التي دلفتها، فهي هنا تفقد شيئا من حريتها الشخصية التي كانت تمارسها وهي فتاة عزباء في بيت أهلها، هذه الحرية التي باتت الآن لا تؤثرها على أولادها وهي ترى أن ابنتها تحذو حذوها في بعض التصرفات، بل حتى تذهب الطفلة فتمثلها في رضاعة ألعابها، وهدهدة هذه الألعاب، والنوم على ذات الوسادة، في حين أن الولد لا يقوم بذلك، وهي إشارة أولى للأم التي تدرك مدى تأثير تصرفاتها على بناتها.

إن دور الأم بالنسبة لبناتها هو دور غاية في الحساسية والحذر، لأن البنات يتأثرن بأي حركة، أو أي سلوك يبدر منها، وهنا تكون أمام الأم فرصة ذهبية لتعزز السلوكيات الإيجابية عند بناتها، فهي عندما تصلي، ترى ابنتها الطفلة تقف إلى جوارها وتقلدها بذات الحركات، بل تذهب فترتدي ثياب الصلاة مقلدة أمها.

في المقابل نجد أن الأم التي تبر بوالدتها، تبرها ابنتها مقلدة لسلوكها، والأم التي تتحدث عن أمها بتهذيب ووقار واحترام، فإن ابنتها تتحدث عنها بذات المضمون، وكذلك فإن الأم التي تعق أمها، فإن ابنتها ستعقها، من هنا كان النبي ﷺ يرفع من شأن الأم وهو يوصي الإنسان المؤمن: أمك.. أمك.. أمك.

إنها مدرسة الأمومة التي تكون في البيت مع انبثاق الوعي بالنسبة للأطفال، بيد أن التأثير يكون أكثر وقعا وفاعلية بالنسبة للبنات لكون الابنة أقرب إلى أمها من النواحي الفيسيولوجية والسيكولوجية كونها كأمها مشروع أم في المستقبل، كما أن الابن يتأثر بأبيه لأنه مشروع أب في المستقبل.

إن الابنة هي ابنة أمها سلوكيًا، وتربويًا، وأخلاقيًا، وثقافيًا.

والأم، شئنا أم أبينا، هي ابنتها، كما أن الابنة، شئنا أم أبينا، هي أمها في هذه التكاملية الجمالية بين الأم وبناتها.

# الأم تصنع عبقرية الأبناء ومجد الأوطان

د.زياد موسى

**في أي زمان وأي مكان يحتاج بناء أمجاد الأوطان إلى منظومة متكاملة، تتكامل فيها أدوار الأفراد والمؤسسات من أجل التقدم والرقي، وإني أركز من خلال هذه السطور على دور الأم في تربية أبنائها ودفعهم للنبوغ والتفوق والعبقرية.**

**ونحن إذا قرأنا صفحات التاريخ من فجره حتى يومنا هذا فسنجد أمهات أهدين البشرية أبناء عظماء غيروا التاريخ وبنوا الأمجاد، فعظمة الأوطان يتم وضع أساسها بواسطة الأم التي ترضع أبناءها لبن الطموح، وتغذيهم العبقرية، وتربيهم على مبادئ النبوغ والمجد.**

**وسأحاول من خلال هذا المقال أن أعطي أمثلة لأمهات سجلهن التاريخ في صفحات كتبت بالذهب، كانت كل واحدة منهن كالبستاني الماهر، وكان أبناؤهن نعم الأبناء.**

وسنستفتح الموضوع بالسيدة هاجر أم نبي الله إسماعيل، المصرية الأصل، أم صالحة اجتباها الله، واختارها لتكون زوجة أبي الأنبياء خليل الله إبراهيم. فعندما تركها إبراهيم في مكة وهي صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ماء، قالت لنبي الله إبراهيم آلله أمرك بذلك؟.. فعندما علمت من زوجها أنه أمر الله قالت في يقين: إذن لن يضيعنا الله، فقدمت للأمهات نموذجا للإيمان واليقين بالله، وتشريفًا للأم الجليلة هاجر خلد الله محاولتها للبحث عن ماء في صحراء مكة الجرداء بالطواف بين الصفا والمروة سبع مرات بأن جعلها الله من مناسك الحج والعمرة، وكرمها الله وولدها بالماء المعجزة الذي تفجر من بين قدمي ولدها وصار البئر المعجزة الخالدة إلى يوم القيامة (بئر زمزم)، وقامت هاجر وحدها بتربية نبي الله إسماعيل، ربته على الإيمان بالله، فقدم إسماعيل عليه السلام وهو لا يزال صبيا أروع النماذج على الإيمان بالله، وأطاع الله وأطاع أباه في أمر الذبح، وكان الفداء بالذبح العظيم الذي خلده الله سنة في عيد الأضحى إلى يوم الدين، وشرف الله إسماعيل بأن رفع قواعد البيت الحرام مع أبيه إبراهيم وأذن للناس بالحج، فاستجاب الناس لدعوة أبي الأنبياء بالحج إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فسلام على نبي الله إسماعيل، وعلى أمه هاجر.

وأم السيدة مريم أم صالحة قالت ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾ (آل عمران: ٣٥) فتقبل منها الله، فأنجبت السيدة مريم الطاهرة، فأنبتها الله نباتا حسنا، وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وكانت الأم المعجزة التي أنجبت بغير أب السيد المسيح عيسى عليه السلام، فسلام على نبي الله عيسى، وسلام على أمه مريم، وسلام على جدة نبي الله عيسى أم مريم.

وفي تاريخنا الإسلامي الجميل، إذ نقلب صفحاته الناصعة البراقة، نجد في صفحات من أجمل صفحاته قصة بنت بائعة اللبن التي رفضت أن تغش اللبن بالماء، واختارها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لتكون زوجة لأحد أبنائه، لأنه يرى من صلاحها ومن شخصيتها أنها سوف تنجب عظماء.

فتزوجها ابنه عاصم، فكانت أما عظيمة، أنجبت بنتا عظيمة، فكانت بنت ابنة بائعة اللبن هي أم عمر بن عبدالعزيز الخليفة الذي ملأ الأرض عدلًا، إذ جعلته يقتدي بجده عمر بن الخطاب، فما أروع جدته وأمه، فهما من أهدتا للبشرية هذا النموذج الرائع للعدل والصلاح والإيمان.

وعندما نطالع صفحات تاريخ العلماء الغربيين في العصر الحديث نجد صورة باهرة لأم غيرت وجه العالم، بل أنارت العالم، وأهدت العالم عبقرية علمية غيرت وجه الأرض، أم العالم الأميركي توماس أديسون الذي تعثر في بداية تعليمه، وكان أبوه قاسي القلب، ضربه على أذنيه فأفقده السمع، وأخرجه من المدرسة، وجعله يعمل بائعًا للجرائد، ولكن أمه غيرت حياته، فعلمت ابنها القراءة والكتابة وأتت له بكتب في الفيزياء، وأتت له بأجهزة قديمة يقوم بفكها وتركيبها، وزرعت فيه طموح العلم والاختراعات، فكان هذا العالم الذي أهدى البشرية العديد من الاختراعات التي غيرت الحياة على الأرض، وأبرزها المصباح الكهربائي، وجهاز الأشعة، وغير ذلك الكثير.

وهذا نابليون بونابرت الذي يعترف بفضل أمه عليه، وأنها من أسست شخصيته، وكان من أقوال نابليون بونابرت: «إن الأم تهز مهد طفلها بيمينها، وتهز عرش العالم بشمالها»، لقد كانت أمه هي من زرعت فيه بذور الطموح الذي غير به تاريخ فرنسا

دكتوراه في فلسفة العلوم (ميكروبيولوجي)

الحديث.

وصدق الشاعر الراحل حافظ إبراهيم إذ يقول:

الأم مـدرسـة إذا أعـددتـهـا
أعددت شعبًا طيب الأعـراق
الأم روض إن تـعـهده الحيـا
بـالـري أورق أيـمـا إيـراق
الأم أسـتـاذ الأسـاتذة الألـى
شغلت مـآثرهم مـدى الآفاق

فـالأم هي الأستاذة الأولى لأبنائها، بل هي مدرسة بأكملها، فهي المدرسة الأولى التي يتعلم منها أبناؤها الأخلاق والطموح وفن صناعة المجد، فـالأم هي التي تصنع عبقرية أبنائها.

وفي الأثر «الجنة تحت أقدام الأمهات» أي أن طاعة الأمهات والبر بهن طريق إلى رضا الله ودخول الجنة في الآخرة،إن شاء الله.

وإن بمقدور الأمهات في الدنيا حسن تربية أبنائهن، ورعايتهم وغرس الأخلاق الحميدة في نفوسهم، وتعليمهم الدين الصحيح، وتنمية مواهبهم، ليحققوا التقدم لأوطاننا، والازدهار لأمتنا.

فـالأم هي المحطة الأولى التي ينطلق منها ركب الحضارة والتقدم والرقي.

# مَن أصدقاء أطفالنا؟

أميرة سليمان محمد

الطفل يتعلق بأي طفل آخر في مثل سنه، لكنه يبقى تعلقًا مؤقتًا، فلا توجد صداقات بالمعنى الصحيح في السنة الأولى من حياة طفلك، ولكن بعد مرور سنتين تقريبًا من حياته يبدأ الانتباه لمن حوله من الأطفال، وتبدو عليه ملامح الاستمتاع بمصاحبة أصدقائه، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة تعلقه بهم، لكنه مع هذا يبقى أنانيًا، حيث يصر على الاحتفاظ بألعابه لنفسه ويرفض أن يشاركه أحد فيها.

وفي سن الرابعة تتسع دائرة الطفل بشكل ملحوظ، فيقضي الكثير من وقته في اللعب مع الأطفال الآخرين ويبدو مستمتعًا برفقتهم، ويشعر بالأسف والحزن إذا أساء أحد أصدقائه إليه، وابتداء من السادسة يطرأ تغير كبير في شخصيته، حيث يستوعب مفهوم المشاركة بشكل جيد، ويبدي استعدادًا كبيرًا للتعاون مع رفاقه ومشاركتهم اللعب والمرح.

وفي كل المراحل يحتاج الطفل إلى مساعدة أبويه في اختيار أصدقائه، لأن المهمة ليست سهلة، ويتم ذلك من خلال غرس حب الناس في نفسه، وتعليمه آداب تبادل الحديث مع الآخرين، وعدم تشجيعه على الأنانية وحب الذات، ومساعدته على فهم معنى الصداقة من خلال الاستعانة ببعض الأناشيد أو القصص المسلية التي تركز على مفهوم الصداقة وما تمثله من محبة وإخلاص، والمراحل المتقدمة من أعمارهم تقتضي مراقبتهم لحمايتهم من رفاق السوء، ولتعزيز ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الاختيار الجيد، وهذا يقتضي توسيع فرص الاختيار من بين أبناء المعارف والأقارب، ومن المهم أن يتفهم الأبوان وجهة نظر الابن في اختيار صديقه، ومناقشته بهدوء إذا كان اختياره خاطئًا حتى يقتنع ويغير رأيه.

# الثمار المرة

منى الشريف

**ما زال دعاة تحرير المرأة في بلادنا ينعقون بضرورة تخليص المرأة المسلمة من قيود العادات والتقاليد- على حد زعمهم- ولم يسلم الدين من هذه الدعاوى، ضاربين المثل بالمرأة الغربية وكيف أنها استطاعت تحقيق ذاتها وإثبات شخصيتها والحصول على حقوقها بخروجها من بيتها ومنافسة الرجل في كافة الميادين، وهم في كل هذا متغافلين عن ذكر الواقع المرير الذي تعيشه المرأة في البلاد الغربية، وسائر البلاد الإباحية التي لم تعرف من حقوق وكرامة المرأة سوى الشعارات البراقة، فلم تعد للمرأة الغربية قيمة سوى أنها مجرد متعة جسدية وسلعة جنسية، ولم تحصل على ما أرادت من حقوق، بل خسرت بيتها وكرامتها وعفافها وصار لسان حالها يصرخ في أوجه من غرروا بها قائلا «يا دعاة الحرية إن ثماركم مرة»، أين تقع المرأة الغربية على المدرجة الإنسانية؟ ومن يمثل هذه المرأة ؟ نساء البهرج والزيف المصقول على شاشات هوليود أم أولئك المسحوقات تحت وطأة العمل المنهك، وسوط الرجل الذي لا يرحم..! في حوار الحضارات، هل يمكن لدراسة حقيقية أن تقرن واقعًا بواقع، لنصير إلى الجواب العملي لا الإعلامي، أيهما أكرم وأرقى؟!**

## باحث أميركي: تحرير المرأة خدعة خرّبت الحضارة الغربية

في إعلام يسيطر عليه المفسدون، اعتبر حجاب المرأة الدليل الأوضح على امتهانها وتخلفها وانحطاطها وجهلها و... ولكن المتاجرة بجسد المرأة لم تعتبر قط كذلك! وفي ظل شعار التحرير سُحقت إنسانية المرأة في الغرب، وعُطّل أو عرقل دورها الإنساني الطبيعي ورسالتها المقدسة في تشييد دعائم الأسرة متكاملة ومتضامنة مع الرجل، وحرمت من التمتع بحقها في كفالة الرجل لها وإنفاقه عليها حينما أجبرت - باسم التحرر والمساواة مع الرجل - على الخروج من المنزل، ودفع بها إلى المصانع والمكاتب لتكدح يومها كله من أجل الحصول على لقمة العيش، واستدرجت - باسم الفن والمدنية الحديثة - إلى مواطن الرذيلة والفساد الخلقي، واتخذت أسواق الرأسمالية الجديدة التي لا تعرف معنى للعفة والشرف من جسدها فتنة جنسية تروّج بها سلعها وبضائعها التجارية.

وفي سياق رؤيتنا الحضارية لواقع المرأة الغربية من الداخل، سنترك دائمًا أصحاب الشأن يتكلمون، وسنترك الأرقام تفصح عن الحقيقة، فربما ننشئ حوار حضارات حقيقياً، ليس فقط بين فكرين أو منهجين، وإنما أيضًا بين واقعين.

وإذا كان دعاة التحررية في بلادنا لا يغريهم أو يقنعهم إلا الاستماع إلى أحاديث أسيادهم الغربيين، فلندع المجال أولا لقول المنصفين من أهل الغرب، فأهل مكة أدرى بشعابها، يقول د. هنري ماكوو، وهو أستاذ جامعي ومؤلف وباحث أميركي متخصص في الشؤون النسائية والحركات التحررية: «تحرير المرأة خدعة من خدع النظام العالمي الجديد، خدعة قاسية أغوت النساء الأميركيات وخربت الحضارة الغربية».

وتقول المحامية الأميركية ماري آن ميزن

المتخصصة في قوانين الأحوال الشخصية في كتابها مصيدة المساواة: «إنَّ حملة الدعوة للمساواة تجاهلت الفروق الطبيعية بين الرجل والمرأة، ومتطلبات الأمومة، وإنَّ المرأة التي تكون أمًا وتعتني بالبيت والأطفال لا يمكن أن تنافس الرجل في أعماله التي وضعت ورسمت هياكلها أساسًا للرجل المتفرغ تمامًا للكد والعمل، وكان هذا على حساب البيت والأسرة، لذلك كانت هذه المساواة خسارة للمرأة لا كسبًا لها، لأنَّ هذه المساواة المزعومة التي طالبت بها الحركات النسائية في الستينيات من القرن الماضي، إنَّما تضع على كاهل المرأة أعباءً كثيرة، وتحملها مسؤوليات ضخمة، دون أن تحظى بأي مقابل، ودون أن تخفف من المسؤوليات الأسرية»، وترى المؤلفة أن تدفق النساء في سوق العمل كان كسبًا لأصحاب الأعمال الذين وجدوا عمالة نسائية كثيرة ورخيصة لا تكلفهم، بل يكلفهم الرجل حيث إنَّ التفاوت لا يزال كبيرًا في الأجور بين الرجال والنساء، فكل امرأة في أميركا تحصل على سبعين سنتًا مقابل دولار واحد يتقاضاه الرجل، إضافة إلى أنَّ هناك نساءً يتاجرن بأعراضهن وبأجسادهن، ومنهن من تعرضن إلى الابتزاز الجنسي من رؤسائهن، وهناك من الأزواج من يقامر على زوجته، إضافة إلى إقصائهن عن الأعمال القيادية، ونسبة المتقلدات هذه المناصب لا تعادل ١ في المائة بالنسبة للعاملات.

والنموذج الغربي في التحرر الجنسي لم يؤد، بالنسبة لقضايا الأخلاق، إلى استقلالية أكبر للمرأة فحسب، وإنما إلى طرق جديدة للاستغلال الجنسي أيضا، وهكذا تصبح التجارة بالخدمات الجنسية أكبر قطاعات صناعة وسائل التسلية في هذا المجتمع، وصار في الإمكان كسب أموال عن طريق التجارة بالنساء والسياحة الجنسية، أكثر من المتاجرة بالأسلحة والمخدرات معا، فكشفت إحصائية أميركية أن ٨٠ في المائة من الأميركيات يعتقدن أن من أبرز النتائج التي نتجت عن التغير الذي حدث في دورهن في المجتمع وحصولهن على الحرية، انحدار القيم الأخلاقية لدى الشباب هذه الأيام،

**باسم التحرر والمساواة تم حرمان المرأة من التمتع بكفالة الرجل لها وإنفاقه عليها**

وقالت ٧٥ في المائة من اللواتي شاركن في الاستفتاء: إنهن يشعرن بالقلق لانهيار القيم التقليدية والتفسخ العائلي، وقالت ٦٦ في المائة منهن: إنهن يشعرن بالكآبة والوحدة. وبالنسبة للنساء العاملات، قالت ٨٠ في المائة منهن: إنهن يجدن صعوبة بالغة في التوفيق بين مسؤولياتهن تجاه العمل ومسؤولياتهن تجاه المنزل والزوج والأولاد، وقالت ٧٤ في المائة: إن التوتر الذي يعانين منه في العمل ينعكس على حياتهن داخل المنزل، ولذلك فإنهن يواجهن مشاكل الأولاد والزوج بعصبية، وأية مشكلة مهما كانت صغيرة تكون مرشحة للتضخم.

وفي أحدث التقارير الأميركية وجد أن هناك ٣٥٠ ألف حالة حمل لفتيات دون السادسة عشرة، وذلك لأن جريمة الزنا أصبحت أمرا طبيعيا لكل فتاة، وبحماية من قانونهم ودستورهم المسمى بحرية التعبير، كما يؤكد تقرير صادر من مركز «ارنوت اوجدون» بأن هناك مليون حالة لمرضى السيلان وهذا نتاج الإباحية الجنسية، وهناك ما يربو على الأربعة ملايين حالة مرضية لأمراض تصنف أنها جنسية لها نتائج وخيمة، نتج عنها في أحد الأعوام ما يفوق ١٥٠ ألف حالة عقم، أما تقارير وزارة العدل فتؤكد بأن هناك ١٥٠ ألف حالة تم القبض فيها على نساء يعملن بما يسمى بالرقيق الأبيض، وهناك ما يفوق المليون امرأة يعملن بنفس المجال تحت مسمى عاملات جنس.

وعن فشل حالات الزواج وبتقرير من وزارة العدل يؤكد أنها بلغت ما نسبته ٥٠ في المائة من حالات الزواج، وهذا يعود إلى الإباحية الجنسية، وأن ٥٠ في المائة من عدد الأطفال يعيشون مع أزواج أمهاتهم أو زوجات آبائهم، مما يؤدي بالطبع إلى انهيار الأطفال نفسيا نتيجة التقصير في التربية، وهذا ما يؤكده تقرير مركز المخابرات الفيدرالي الأميركي الذي يوضح بأن من كل أربعة شباب تتراوح أعمارهم بين ١٢-١٧ قد قام واحد منهم بجريمة، كما أن القانون الوضعي الذي يكفل لمن دون الثامنة عشرة حمل السلاح قد تسبب في مقتل ٢٥ طفل يوميا، هذا ويقتل بالسلاح ما عدده ٤١٧٣ شاب سنويا.

هذا فيض من غيض مما جناه المجتمع الأميركي من جراء سوء فهم دور المرأة ومحاربة الأمومة، وإذا كان هؤلاء الأطفال هم مستقبل الشعب الأميركي، فهل يقبل عقل أو منطق أو علم أو أية ملة تنتمي إلى التحضر والتقدم أن يصبح المجرمون المشردون هم قادة العالم؟

لقد كانت دعوة تحرير المرأة ومساواتها بالرجل في كل النواحي اعتداءً على أنوثة المرأة وذكورة الرجل معًا، فرعاية الفوارق بين الجنسين في الوظائف والنشاطات والنواحي السيكولوجية والبيولوجية- وليس في القيمة الإنسانية- واجبةٌ مواءمةً للفطرة السوية والسنن الإلهية، ولعل ذلك الخلط هو سبب الشذوذ الجنسي الذي أصبح شرعيا في كثير من الدول الغربية!.

# مخاوف الطفل.. المساعدة ضرورية

د. خالد سعد النجار

**«الرهاب» أو (الفوبيا) عبارة عن خوف مبالغ فيه ومتكرر أو شبه دائم، مما لا يخيف أغلب من في سن الطفل عادة، وقد يكون خوفًا غير محدد، وبإمكان الطفل أن يدرك أن هذا الخوف غير متناسب مع درجة الخطورة، ولكنه لا يزال غير قادر على الشعور بالطمأنينة للابتعاد عن الحالة أو الشيء تماما.**

إن الرهاب هو أكثر أنواع اضطرابات القلق شيوعا، ومعظم حالات الرهاب المحدد تبدأ في مرحلة الطفولة في سن سبع سنوات، وبخلاف الخوف والقلق، فإن الرهاب يتدخل في حياة الطفل، والطفل عادة لا يملك السيطرة على مشاعر الخوف التي تتمالكه.

وللرهاب آثار سلبية بعيدة المدى تحتاج إلى تدخل نفسي وتربوي، فهو مصدر للإحجام، ويقود في أغلب الأوقات إلى ضعف في الأداء والتفاعل، وبالتالي فهو يؤدي إلى السلبية في مرحلة الطفولة، كما يؤدي إلى ضعف التعليم، ويقود إلى انخفاض نسبة النمو العام في الشخصية الإنسانية.

## توجيهات عملية

■ إحاطة الطفل بجو من الدفء العاطفي والمحبة ليشعر بالأمن والطمأنينة، ولا تنس أن تمزج ذلك بدرجة معقولة ومرنة من الحزم.

■ رَبِّ طفلك على الشجاعة، ولا تخجل من مخاوفه، ومن المهم تعليم طفلك-عن طريق الكلام والأفعال- أن القلق والخوف جزء من التجربة الإنسانية، وأنها مشاعر طبيعية.

■ إن صادف الطفل موقف يخيفه فلا تدفعه إلى نسيانه، فالنسيان يدفن المخاوف في النفس لتصبح فيما بعد مصدرًا للقلق والاضطراب، بل أوضح الموقف له لكي لا يبالغ بالخوف، وأشبع فضوله، وطَمْئنه دون أن تخدعه.

■ إذا كان الطفل قد تعرض لموقف مخيف في وقت أو مرحلة سابقة من عمره، فإنه يعمم الخوف على كل المواقف المتشابهة، وهنا يجب عليك أن تعرّضه تدريجيًا لتلك المواقف التي خاف منها سابقا، وتكون ملاصقًا له، ثم تتركه رويدًا رويدًا حتى يتأكد بنفسه ألا شيء يخيف، وعلى الآباء مساعدة الطفل على مواجهة المواقف المرتبطة بانفعال الخوف بالتشجيع دون زجر أو نقد، وذلك بدافع من نفس الطفل والثقة بوالديه.

■ ادعم في طفلك روح الاستقلال والاعتماد على النفس ما أمكن، مما يعزز ثقته بنفسه ويشعر باحترامه.. جرب تهيئة بيئة تسمح لطفلك بالاعتداد بنفسه.. شجع طفلك دائما على التحديات الجديدة، لأن ذلك سيمنحه القوة والثقة.

■ حاول تجنب الإفراط في حماية طفلك، فهذا سيجعل الأمر أكثر سوءا. مثال، إذا كان طفلك يخاف من الحشرات، لا تجعله يتفاداها تماما، لأن ذلك سيعزز مفهومه أن الحشرات مخيفة، ويجب تجنبها، فعاجلا أم آجلا سيكون طفلك في وضع توجد فيه حشرات، وقد لا تكون معه.

■ حاول تجنب ترديد عبارات تفيد إصابة طفلك بالخوف أو الرهاب، أو خوف من حالة معينة، لأن ذلك سيؤثر سلبا عليه.

■ لا تضحك أو تقلل من الخوف الذي يشعر به طفلك، فهذا سيضره، وقد يحاول إخفاء مخاوفه مستقبلا، كما أن السخرية من مخاوف طفلك لن تعالجها.

■ يجب الاعتراف بأن الخوف حقيقي، بغض النظر عن تفاهته، طالما يبعث القلق في طفلك.. تقبّل خوف الطفل والأزمة الّتي يشعر بها.. عانقه وقبله وقربه منك، ثم قم بتهدئة الطفل وإعطائه الشّعور بالأمان.. إفساح المجال للطفل للتّعبير عن مشاعره واحترامها.. حثّ الطفل على معرفة مصدر الخوف.. استعمال اللّعب التمثيليّ وتبادل الأدوار بهدف ترويض المواقف المخيفة.

■ من أجل تبديد المشاعر المثيرة للرعب، على الأم أو الأب محاولة تجريد المخاوف من

كاتب مصري

صفتها الخاصة، وحث طفلهما على التحدث عن الشيء الذي يخيفه، فتجاهل مشاعر الخوف أو السبب الذي يرعب الطفل لن يؤدي إلى تبديد خوفه، كما أن محاولة إقناع الطفل بأن لا مبرر لخوفه ستنقلب نتائجها رأسًا على عقب، ويجب الانتباه إلى عدم إثارة هذا الموضوع عند اقتراب موعد النوم، حيث يشعر الأطفال عادة بالخوف أكثر.

■ يجب على الأهل أن يتجنبوا استغلال الخوف في محاولة إخضاع الطفل لأوامرهما، مع ضرورة تنمية شخصيته وتعويده النظام والواجب دون تخويف، مما يساعد الطفل على المحافظة على نفسه والتكيف مع المجتمع.

■ تنمية مهارات التفكير لديه وخلق الأفكار، لأن الخوف يشعر الإنسان بالضعف، ولكن بإخراج الأفكار يستطيع الإنسان التعامل مع الخوف، وتساعده عملية التفكير على استعادة بعض القوى التي فقدها.

■ لا تحاول أبدا إجبار طفلك في عمل شيء يخافه، فهذا سيؤدي به إلى مزيد من القلق، وربما يصاب طفلك بنوبة ذعر، أو يفقد ثقته بك.

■ من الأفضل تعليم الطفل كيفية تهدئة نفسه، عندما يشعر بالقلق أو الخوف، بدلاً من الإسراع إلى طمأنته، لأن ذلك يفيده على المدى البعيد، فإذا كان يشعر بالاستياء أو كان كثير الحركة، يمكن الطلب منه أخذ نَفَس عميق أو ترديد أنشودته المفضلة، وسوف يستعيد السيطرة على حركات جسمه، من خلال توجيه انتباهه بعيدًا عن مصدر الخوف، ومن ثم يتم العمل على تهدئة مشاعره.

■ إزالة خوف الطفل، بربط مخاوفه بانفعال السرور، أي قاعدة الاشتراط تطبق عكسية، عن طريق محو استجابة الخوف، وإحلال استجابة السرور.. فالقاعدة العامة هي أن الأطفال تقل حساسيتهم من الخوف عندما يتم إقران موضع الخوف أو الفكرة المثيرة له بأي شيء سار (اشتراط مضاد)، فمن المفيد جدا جعل الأطفال يلعبون إحدى ألعابهم المفضلة أو ينهمكون بأي نشاط ممتع أثناء الخوف، على سبيل المثال: يمكن للطفل أن يرتدي زي بطل معروف ويقوم بتمثيل بعض المشاهد في غرفة خافتة الإضاءة كخطوة أولى للتغلب على الخوف من الظلام، كما يمكن للطفل أن يلعب لعبة «الاستغماية» في غرفة مظلمة، فيختبئ الأب أولا بينما يبحث عنه الطفل، ثم يختبئ الطفل وهكذا.

■ من المهم أن يمدح الكبار أي خطوة صغيرة يقوم بها الطفل، والتركيز على ما أنجزه بدلاً من الخوف بذاته.

■ استعمل الخوف البنَّاء في تغذية إيمان طفلك بالله، وتنمية شخصيته، وتعويده احترام النظام، وأبعده عن مُثيرات الخوف، كالمآتم، والقصص المُخيفة عن الغولة والجن والعفاريت.

■ تجنب التهديد والوعيد مع الطفل، فذلك كفيل بفقدان الشعور بالأمن لديه.

■ توفير جو من الاستقرار العائلي يتصف بالهدوء والحميمية.

■ احرص على أن يكون سلوك المحيطين بطفلك متَّزنًا، خاليًا من الهلع والفزع في أي موقف من المواقف، وخصوصًا إذا مرض الطفل أو أصابه مكروه.

■ تعد طريقة «ملاحظة النماذج» طريقة طبيعية لتقليل الحساسية، فالطفل يتعلم من خلال الملاحظة كيف يتعامل الأفراد غير الخائفين مع المواقف، فيبدأ بشكل تدريجي بالتعامل دون خوف مع المواقف التي تزداد درجة الإخافة فيها شيئا فشيئا، ويفضل أن تكون النماذج من الأشخاص العاديين حتى لا يرى الطفل النموذج وكأنه شخص يتمتع بصفات خاصة تجعله قادرا على أن يكون شجاعا.

■ يميل الطفل إلى الشعور بالخوف من طبيب الأسنان أو من التحليق في الطائرة، عندما يرى والدته تتصبب عرقًا، خوفًا من صعودها إلى الطائرة، أما عندما ترتعد لدى زيارتها طبيب الأسنان، فلا مانع أن تعترف الأم أمام طفلها بأنها كانت تخاف الذهاب إلى طبيب الأسنان، عندما كانت في مثل عمره، لكن مع الإشارة أيضًا أنها كانت تتغلب على خوفها، لأنها لا تريد أن تصاب أسنانها بالتسوس، هذا الاعتراف يُفهم الطفل أنه ليس وحيداً فيما يمر به، وأن والدته تعلمت كيفية التغلب على مخاوفها.

■ العلاج الجماعي، بتشجيع الطفل على الاندماج مع غيره من الأطفال، وتنمية قدرته على التفاعل الاجتماعي.

# أطفال ولكن مدمنون!!

تحقيق: صلاح محمد أبوزيد

**بات من الطبيعي أن نشاهد كثيرًا من الأطفال والمراهقين يقضون الساعات الطوال أمام شاشات الحواسب الآلية، فيما يشبه الادمان، مستغرقين في تصفح المواقع المختلفة على شبكة المعلومات الدولية أو ممارسة ألعابهم المفضلة دون أن ننتبه لما يمثله هذا السلوك من خطر على صحة الطفل النفسية والبدنية والاجتماعية.**

## أعراض انسحابية

في البداية يقول د.عادل المدني أستاذ علم النفس المعروف: فكرة الإدمان واحدة، فالإنسان يتعود على تعاطي أشياء معينة كالخمور أو المخدرات وغيرهما أو ممارسة سلوكات معينة يوميا وبإفراط مثل إدمان الإنترنت الذي يؤدي إلى مظاهر انسحابية من الحياة الاجتماعية، فالشخص الذي يدمن الجلوس أمام حاسوبه أوقاتًا طويلة كل يوم ينعزل عن محيطه الاجتماعي، لأنه وجد حياة أخرى يتواصل معها بخياله بعيدًا عن الضغوط أو المسؤولية أو الخطوط الحمراء، كما أننا نجد مدمن الإنترنت ينسحب من واقعه ليعيش أحلام اليقظة والخيال التي هي دائمًا أجمل من الواقع، وقد يتعرف المراهق أو الحدث على شخصيات مريضة تؤثر فيه سلبًا، وكم من أفكار غريبة وشاذة تسللت عبر غرف الدردشة ووجد فيها الشباب نوعًا من الطرافة والتميز بينما هي في حقيقتها ضارة ومرفوضة دينيًا واجتماعيًا.

## غرف الدردشة

ويواصل د.المدني قائلا: هناك أوجه تشابه كثيرة بين مدمن الإنترنت ومدمن المخدرات، ومنها التوتر والعصبية وعدم التركيز والاستغراق في الأحلام، وأيضًا الاحتياج الشديد إلى استخدام الانترنت والجلوس ساعات طويلة أمام الحاسوب كل يوم، وعدم القدرة على التخلي عن هذه العادة، وغرف الدردشة إذا كانت تجذب اصدقاء جددًا، وتنمي ثقافة ما، وتفتح قنوات مختلفة للتحاور مع الآخرين، فإنها إذا استغرق الطفل أو المراهق في الارتباط بها أبعدت المسافة بين أبناء الأسرة الواحدة، وقضت على العلاقة الحميمة بين الأبناء والآباء، لأنها تجعل الشخص يدور حول ذاته فقط، وقد تؤدي إلى وقوع جرائم غريبة على مجتمعاتنا العربية والإسلامية كالاعتداء على الآباء والأمهات وكبار السن.

## خنق الحرية

وتشير د.هناء أبوبكر أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة إلى أن غالبية مدمني الإنترنت يفضلون المكوث بجوار حواسبهم على المشاركة في النشاطات أو المناسبات الاجتماعية المختلفة أو الاختلاط بالآخرين، وأكثر الشباب عرضة للإدمان هم الخجولون والقلقون، لأنهم يجدون في عالم الإنترنت كل الحرية في التواصل مع الآخرين دون الالتقاء بهم وجهًا لوجه.

وهذا يفرض على الأبوين المتابعة الدقيقة والصارمة لأبنائهم ليس بغرض التضييق وخنق الحرية بل للتوجيه والإرشاد والمساعدة، فيجب مثلا تقليص عدد الساعات التي يقضيها الطفل أو المراهق أمام شاشة الحاسوب على أن يشغل وقت فراغه ببعض العلاقات الاجتماعية المفيدة، ولا يجب أن يقتصر دور الأهل على شراء الحواسب لأبنائهم أو منحهم النقود اللازمة لذلك فقط، إضافة الى أن إلمام الأهل ببعض المعلومات عن التكنولوجيا الحديثة أمر مهم للغاية حتى يتمكنوا من متابعة الأبناء وتوجيههم، وقد أدرك الصينيون فداحة خطر إدمان الأطفال للإنترنت فافتتحوا أول

**عندما يبالغ الطفل في الارتباط بالآلة يتبلد إحساسه وينعزل عن مجتمعه ويصبح محرومًا من دفء العواطف الإنسانية**

مستشفى في العالم لعلاج مدمني الإنترنت من أجل إعادة تأهيلهم وعودتهم إلى حياتهم الاجتماعية الطبيعية والتخلص من إدمان أجهزة الحاسب الآلي، ومن الطريف أن العلاج يشتمل على بعض العقاقير المهدئة وجلسات الوخز بالإبر وممارسة الرياضة، وقد تستمر فترة بقاء المدمن في المستشفى خمسة عشر يومًا متصلة.

### ألعاب.. ولكنها خطيرة!

ولعل إدمان الأطفال لألعاب الحاسوب يمثل نوعًا آخر من الإدمان لا يحظى بالاهتمام اللازم على ما فيه من خطر على صحة الطفل النفسية والاجتماعية، فقد أصبح الطفل يفضل التوجه إلى جهاز الحاسوب أو مقهى الإنترنت القريب من منزله والاستغراق في ممارسة ألعابه المفضلة بدلا من الالتقاء بزملائه وأقرانه، وحسب بحث علمي قام به العلماء في جامعة طوكيو اليابانية فإن ألعاب الحاسوب لا تحفز من أجزاء الدماغ البشري سوى تلك المتعلقة بكل من الرؤية والحركة بينما لا تساعد في تنمية وتطوير الذاكرة أو العواطف أو مهارات التعليم.

وعن هذا النوع من الإدمان يقول د. محمد المفتي أستاذ علوم التربية بجامعة حلوان: أصبحنا الآن نجد أطفالا لا تتعدى أعمارهم خمسة أو ستة أعوام يتعاملون مع الحاسوب والإنترنت ببراعة فائقة تثير الإعجاب والدهشة والقلق أيضًا، وكما هو الحال دائمًا فلكل أداة إيجابياتها وسلبياتها فالحاسوب يزود الطفل بالعديد من الجوانب المعرفية ويرفع قدرته على التخيل ويكثف معلوماته ويرفع سقف طموحاته، ولكن إذا بالغ الطفل في الارتباط بالآلة تتبلد عواطفه ويصبح محرومًا من دفء العواطف الإنسانية، وكما هو معروف فإن معظم ألعاب الحاسوب تنطوي على أشكال مختلفة من العنف الذي ينطبع على شخصية الطفل ويضر به كثيرًا، ويغذي مشاعر الغضب لديه ويكسبه كثيرًا من الأخلاقيات السيئة.

وينصح د. المفتي الآباء بأن يشاركوا الطفل اهتماماته، وأن يشاركوا في اختيار الألعاب التي يمارسها، وعليهم أن يشغلوا أوقات فراغ الأبناء ببعض النشاطات المفيدة كالقراءة والرياضة وغيرها.

### لا للرقابة الخانقة

ويرى د. علي عبدالفتاح أستاذ العلوم الاجتماعية بجامعة قناة السويس أن أسلوب المنع يعود بنتائج عكسية، وهو أيضًا غير واقعي وغير قابل للتنفيذ، كما أن الرقابة الخانقة على الطفل أو المراهق تدفعه إلى مزيد من التمرد أو الإقدام على الخطأ ليثبت لنفسه وللآخرين مدى استقلاليته وقدرته على تحمل المخاطرة، والأصوب هو إعطاء الأبناء شيئًا من الحرية والثقة دون أن نفقد هيبتنا واحترامنا أمامهم.

ويشير د.عبدالفتاح إلى نقطة بالغة الاهمية فيقول: في العصر الحديث تنازل الأبوان بمحض إرادتهما عن دورهما في حياة الأبناء، فالاسر الثرية تلجأ عادة الى المربيات ليحملن عبء تربية الأبناء وتنشئتهم، وكلنا قد رأى حجم الكوارث الناتجة عن ذلك، وفي الأسر الفقيرة يكون الأب مشغولا بأكثر من عمل والأم كذلك، فيبدأ الطفل في البحث عن بدائل للأب والأم ويجد ضالته غالبًا في عالم التكنولوجيا المدهش والمثير.. وبالتالي يصبح الحاسوب هو مصدر القيم والعادات والسلوكات لدى الأبناء.

### القيم الدينية

وتقول د.هناء حمدالله الخبيرة بمركز البحوث الاجتماعية: إن تحول الأب إلى مجرد ممول لرغبات أبنائه من الناحية المادية كان له أثره الكبير في تقلص سلطته الروحية والتربوية على أبنائه، فبعدما كان الأب هو المثل والقدوة لطفله، أصبح الآن مصدرًا لتوفير احتياجاته المادية.

وتواصل قائلة: نحن نعيش العصر الذهبي للتكنولوجيا المسموعة والمرئية، وعلينا أن نعلم أطفالنا كيفية التعامل المقنن والمفيد معها بدلا من تركهم فريسة سائغة أمامها، وبالطبع فإن غرس القيم الدينية الرفيعة في نفوس أبنائنا منذ الصغر يجعل لديهم ما يشبه المناعة الذاتية من الأخطار المحدقة.

# الاختلاط المعاصر.. المشكلة والحل

السيد علي شعيب

**ساهم الغزو الفكري الحديث للعالم الإسلامي في حدوث موجة عاتية من تقليد المجتمعات الغربية في أفكارها وأخلاقها وعوائدها ونظمها والتنكر لكل ما هو شرقي أو عربي أو إسلامي، وانعكست مشكلات المجتمع الغربي وقضاياه على الواقع العربي والإسلامي سواء القضايا السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية، ومن هذه القضايا قضية الدين والدولة، وقضية الدين والعلم، وقضية التعامل بالربا، وقضايا الاشتراكية والعلمانية والديمقراطية وقضايا المرأة...الخ.**

خلف التقدم العلمي الحديث كثيرا من المشكلات الحياتية في المجتمعات التي لم تزل تعاني من الفقر والجهل والمرض وعلى رأسها المجتمعات الإسلامية، رغم النقلة الحضارية الهائلة التي حققتها العلوم والتكنولوجيا في حياة الأمم والشعوب على اختلافها.

ولاشك أن قضية الاختلاط بين الرجل والمرأة أو مشاركة المرأة الرجل في الحياة العامة هي أبرز هذه القضايا الاجتماعية.

ولقد تطور الاختلاط المعاصر بصورة كبيرة حتى زاحمت النساء الرجال في ميادين الحياة المختلفة.. في الشارع وفي الأسواق والجامعات والمنتديات والمصانع والمتاجر وفي الحدائق والمتنزهات، بل وصل الاختلاط إلى أشده في المواصلات العامة التي يحشر فيها الناس حشرا.

والأكثر من ذلك أن التكنولوجيا الحديثة سهلت للشباب والفتيات تبادل الأحاديث- سواء المحرمة أو المباحة- عبر الشات والهواتف الخلوية.

ولقد كتب الكتاب والمفكرون والباحثون عن الاختلاط بين الرجل والمرأة كتبا كثيرة وحرروا أبحاثا شتى وانقسموا بين مؤيد ومعارض، فاتجاه يرى القول بتحريم الاختلاط مطلقا، ويرى وجوب الفصل بين الرجل والمرأة في المجتمع، ويتمسك ببعض النصوص القرآنية التي تأمر المرأة بالقرار في البيت والاحتجاب عن أعين الرجال، والتوجيهات النبوية التي تحذر الرجال من المرأة وتعتبرها فتنة على الرجال، كما يعتمد على شواهد لبعض الغربيين الذين اكتووا بالاختلاط المطلق بين الجنسين وذهبوا إلى القول بضرورة منعه والفصل بين الرجل والمرأة...الخ.

واتجاه آخر يذهب إلى القول بإباحة الاختلاط بين الرجل والمرأة بقيود وضوابط هي غض البصر والقول المعروف وعدم الخضوع بالقول والتحلي باللباس الشرعي.

ويعتمد في ذلك على القول باشتراك الرجل والمرأة في التكاليف الشرعية،كما أنه من أمور الفطرة، واعتمدوا على ما وصل إليه علم النفس وعلم الاجتماع وعلم التربية من نتائج ونظريات في هذه المسألة.

وبينما اعتمد أصحاب الاتجاه الأول على القاعدة الأصولية في تحريم الاختلاط وهي «سد الذرائع»، اعتمد الآخرون على قاعدة «رفع الحرج والتيسير على الناس»، وتظل القضية سجالا بين الفريقين، ويظل الاختلاط قائما على صورته، ويتعود الناس على ممارسته بل تتطور أشكاله يوما بعد يوم.

والحقيقة أن مرد هذا الخلاف ومنشأه إنما يرجع إلى أسباب عدة منها:

أولا: الخلاف بين الباحثين والمفكرين

في هذه القضية يمكن إرجاع معظمه إلى الخلاف حول دلالة المصطلح والخلط بينه وبين غيره من المصطلحات الأخرى المتشابهة ومن ثم الحكم عليه فينبغي وضع حدود فاصلة بين مصطلحات الاختلاط والخلوة والتزاحم والالتصاق والفتنة والاجتماع والمشاركة واللقاء...الخ.

ثانيا: التقصير في تناول الموضوع من أبعاد وزوايا أخرى مهمة، منها الأبعاد النفسية والاجتماعية والواقعية والاقتصادية، فخروج المرأة لتعمل تحت إلحاح الفقر أصبح ضرورة اقتصادية، كما أن التربية المغلقة لم تعد تصلح في عصر الانفتاح الثقافي والعلمي والتكنولوجي وتشابك المصالح والحاجيات.

ثالثا: ينبغي الموازنة بين رسالة المرأة في بيتها ورسالتها في مجتمعها بحيث لا يطغى جانب على آخر.

## الخروج من المأزق

يمكن الخروج من هذا المأزق من خلال وسائل عدة هي كالتالي:

**١- التربية الإسلامية الصحيحة لكل من الرجل والمرأة**، فإذا كانت تربية المرأة المسلمة عقليا ونفسيا واجتماعيا وإيمانيا من الأهمية بمكان حتى ليقول عنها الشاعر:

من لي بتربية النساء فإنها
في الشرق علة ذلك الإخفاق

فإن تربية الرجل المسلم لا تقل عنها شأنا ولا أهمية، لأنهما شريكان في إعمار الكون وإقامة شرع الله عز وجل، فلا ينبغي أن نرفع من شأن أحدهما على حساب الآخر.

يقول العقاد: النساء والرجال جنسان لا ينفصلان، ولا يخلق أحدهما إلا وهو شطر وله بقية، ولا سبيل إلى انفراد بينهما في تركيب الطبيعة ولا في وظيفة النوع، فإذا انفردا في تكاليف المجتمع فتلك علامة الخلل والانحراف.

ويقول الإمام محمد عبده في خطاب ألقاه في احتفال الجمعية الخيرية الإسلامية سنة ١٣١٤ هـ: الواجب علينا أن نعتني قبل كل شيء بما تعتني به الأمم الأخرى الناجحة قبل غيره، وهي لم تعتن بشيء أكثر من التربية وتحسين أخلاق العامة.

**التربية المغلقة لم يعد لها مكان ولابد من الموازنة بين رسالة المرأة في البيت ودورها في المجتمع**

إن الإنسان لا يكون إنساناً حقيقيا إلا بالتربية، وليست هي إلا عبارة عن اتباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون من الأحكام والحِكَم والتعاليم، وهي عبارة عن السعادة الحقيقية.

ليست القوانين التي تفرض العقوبات على الجرائم وتقدر المغارم على المخالفات هي التي تربي الأمم وتصلح من شؤونها، فإن القوانين لم توضع في جميع العالم إلا للشواذ والهفوات والسقطات، وأما القوانين العامة المصلحة فهي نواميس التربية الايمانية لكل أمة.

انظروا إلى المرأة حين تقول لابنها مثلا إذا أرادت أن تمنحه شيئا: خذ هذا وأخفه عن الأعين حتى لا يراك أخوك، فكم من نقيصة علمته بمثل هذا القول؟ علمته ثلاث خصال هن الموبقات المهلكات: الأثرة والدناءة والسرقة، وربما توصيه بإنكار ما أعطته إذا سأله أخوه، فتعلمه بذلك أقبح خصال السوء والفساد وهو الكذب، وقد لا يتعلم الطفل عندما يراد تمرينه على النطق والكلام غير ألفاظ السباب والشتائم القبيحة، فيشب الطفل متعودا على أن تلفظ شفتاه كل كلام قبيح، لا يعبأ بماذا ينطق ولا يبالي بما يقول.

فتأملوا في فظاعة الأخلاق التي يشب عليها أبناء وبنات العامة من الأمة، ولا خلاص لنا من هذه الورطة الشنيعة إلا بالتربية الكاملة الشاملة للأبناء والبنات، فالنساء الجاهلات والرجال الجاهلون لا يمكن أن تتكون من بينهم أمة ولا جمعية، خاصة إذا أصبحت العلائق والروابط الطبيعية مهددة بين الناس كما نشاهد الآن. اللهم إن كنا نريد الحياة الطيبة والسعادة الدائمة فلنعمل لإصلاح شؤون الناشئين بالتربية المثقفة المهذبة، ولنجهد أنفسنا في طريق استكمال الأخلاق الفاضلة، وكلما زدنا في سبيل ذلك سعيا توافر لدينا حب تعضيد هذه الجمعية ونمت ثروتها، فأدت وظيفتها للأمة كما ينبغي، ونسأل الله أن يصلح ما بيننا من فساد، وأن يوفقنا جميعا إلى ما به نجاحنا وفلاحنا وسعادتنا.

ويؤكد الغزالي حرب على أهمية التربية فيقول: إننا يجب ألا نصدع رؤوس نسائنا بوساوس الفتنة التي نحن من خوفها في فتنة، وحسبنا أولا وأخيرا أن تأخذ فتياتنا ونساؤنا بآداب التربية الاجتماعية القويمة الجامعة بين الجنسين في جلاء ووضوح وفي كل مرحلة من مراحل العمر والدراسة.

**٢- تنظيم العلاقات بين الجنسين**

مما لاشك فيه أن تنظيم العلاقات والمشاركات الاجتماعية بين الرجل والمرأة في المجتمع الإسلامي على نحو يحقق المصلحة والمنفعة العامة أمر يساهم كثيرا في حل إشكالية الاختلاط المعاصر، بمعنى أنه إذا عني المسؤولون بتنظيم الميادين والمجالات التي يشترك فيها الرجل والمرأة في الحياة العامة،كدور العبادة وقاعات العلم ووسائل المواصلات...الخ، بحيث يرى كل منهما الآخر وربما يتم التحادث الجاد بينهما في جو آمن نظيف، وبحيث لا يقع الازدحام والالتصاق بين الرجال والنساء كما هو حادث في بعض الحافلات ووسائل النقل في بلادنا، فإن ذلك لا محالة يدفع المجتمع إلى المحافظة على أفراده رجالا ونساء، وتبادل المصالح والمنافع المختلفة، وترشيد مسألة الاختلاط وإشاعة ثقافة منضبطة وواعية عن العلاقة بين الجنسين.

وهكذا لم تعد الحلول النظرية أيا كانت قيمتها ذات مغزى قوي أو تأثير فعال وذلك لتفاقم مشكلة الاختلاط وتعقدها لاسيما وقد تخللتها أسباب اقتصادية واجتماعية لا يمكن إغفالها.


**المراجع:**

١- عباس محمود العقاد: المرأة في القرآن- طبعة نهضة مصر- الطبعة الرابعة، ص١٤٠

٢- مجلة المنار ٢٦/٧٥٦.

٣- الغزالي حرب: استقلال المرأة في الإسلام- دار المستقبل العربي- القاهرة، ص: ١٧٧.

# مسلمو جزيرة ريونيون.. على هامش الحياة

عبده دسوقي
باحث مصري في التاريخ

**يقول ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز، أو ذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» (رواه ابن حبان في صحيحه).**

**صدق رسول الله ﷺ، لقد بلغ الإسلام كل مكان حتى إنه يوجد في أماكن لا يعلم المسلم هل بها مسلمون أم لا.**

**إنها دعوة الله الذي تكفل بنشرها بالرغم مما يحاك لها من فتن واضطهاد، حتى في قلب أوطانها الإسلامية.**

## جزيرة ريونيون

هي الجزيرة التي نفي إليها المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي عام ١٩٢٦م، وبقي فيها حتى عام ١٩٤٧م، حيث أرادت الحكومة الفرنسية جلبه إلى باريس لتحقيق أهداف سياسية للضغط على الملك المغربي محمد الخامس، فهي جزيرة تقع في المحيط الهندي، وتقع على بعد حوالي ٦٥ كيلو مترا شرقي جزيرة مدغشقر، وقريبة من موريشيوس، وترجع هذه الجزيرة إلى أصل بركاني، وتبلغ مساحتها حوالي ٩٦٩ ميلا، وطولها ٦٣ كم، وعرضها ٤٥ كم، أما عاصمتها فهي «سان دينيس»، التي يبلغ عدد سكانها مائة وتسعة آلاف و٧٢ نسمة، وجزيرة ريونيون خاضعة للإدارة الفرنسية الخارجية منذ ١٩٤٦، وأهم منتجاتها هي: الفانيليا والتبغ والشاي وقصب السكر والعطور والذرة ونخيل الزيت والنرجيل، هذا إلى جانب ثروة حيوانية ضئيلة.

ويتكون سكان الجزيرة البالغ عددهم حتى عام ٢٠٠٧م ما يقرب من ٧٩٣ ألف نسمة، من الكريوليين الفرنسيين، أي السلالات الناتجة عن

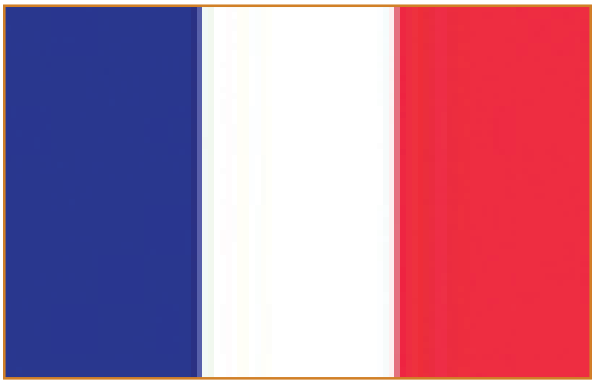

## الإسلام وصل إلى الجزيرة عن طريق العمالة المهاجرة من جزر القمر والهند

التزاوج بين الفرنسيين وأبناء الجزيرة الأصليين، إلى جانب عدد محدود من الهنود والباكستانيين، هذا إلى جانب العناصر المهاجرة من مدغشقر وجزر القمر وساحل شرقي إفريقيا (كريول) تكملها تدفقات الهجرة من الأفارقة، والصينيين، والملايو، أي إن الجزيرة خليط عرقي.

اكتشفها العرب قبل وصول البرتغاليين ولم يستقروا بها، ثم وصلها البرتغاليون في مطلع القرن السادس عشر، ولكنها ظلت غير مأهولة بالسكان حتى استولى عليها الفرنسيون في سنة ١٦٤٢م، وقد أطلقوا عليها أولا اسم «بوربون»، وقد حصلت الجزيرة على اسمها الحالي في عام ١٧٩٣م بموجب مرسوم صادر عن اتفاقية مع سقوط «بيت بوربون»، ويتولى تسيير شؤون الجزيرة مجلس يضم ٣٦ عضوا ينتخبهم الشعب، واللغة الرسمية هي الفرنسية.

تعتبر «لاريونيون» جزيرة استوائية، ففصل الشتاء عندهم (يونيو إلى أغسطس) تنخفض درجة الحرارة إلى البرودة ليلا مع اعتدالها نهارا، و تتساقط الأمطار، أما فصل الصيف (ديسمبر إلى مارس) فترتفع درجة الحرارة إلى ٣٥ درجة كحد أقصى، مع اعتدال الطقس ليلا مع الرطوبة، وما يميز هذا الفصل الأعاصير والأمطار، ولا ينصح بزيارة الجزيرة في هذا الوقت، وفصل الربيع من شهر سبتمبر إلى نوفمبر، فدرجة الحرارة تتراوح بين ١٨ و ٢٨ درجة، والأمطار تكاد تنعدم في هذا الفصل، ولا توجد أعاصير ولا رطوبة.

لا يوجد طيران مباشر من منطقة الشرق الأوسط إلى هذه الجزيرة، لكن يمكن الوصول إليها عن طريق طيران موريشيوس أو بوربون للطيران مباشرة على مطار «رولاند جاروس Roland Garros»، ويوجد بها متحف «ليون» الذي يحمل اسم الشاعر ليون، وموقعه في شارع باريس، مبنى البلدية القديم، والذي تم تحويله إلى فندق دي فيل.

### مسجد نور الإسلام

مسجد نور الإسلام في شارع ماريشال لوكليرك، الذي يتسع لـ ٤٠٠٠ مصل، وسط المدينة حيث تشاهد فيه إخواننا المسلمين هناك.

### الإسلام على أرض جزيرة ريونيون

وصل الإسلام إلى جزر

ريونيون مع العمالة المهاجرة، الذين جلبهم الفرنسيون من جزر القمر ومن الهند لزراعة المحصولات المدارية بالجزيرة، وينتشر المسلمون في العاصمة، وفي سانت بول، وسانتا مري، وسانت اندرية، وسانت دينيس، وسانت بير، وبها تجمع إسلامي وجمعية إسلامية.

يعمل أغلب المسلمين في الجزيرة بالتجارة، ومن المسلمين حوالي ١٠ آلاف مسلم من أصول هندية باكستانية، وحوالي ٦ آلاف مسلم من جزر القمر، وينتشر المسلمون في العاصمة، ولذلك لا توجد نظرة استغراب بالنسبة للحجاب، لأن نساء المسلمين من أهل الجزيرة يرتدينه، فهو ليس بالمنظر غير المألوف لديهم، إذ الجزيرة خليط عرقي من المسلمين وغيرهم.

وتقوم بالعمل الإسلامي بعض الجمعيات مثل جمعية أهل السنة والجماعة، وتشرف على ١٤ مسجدًا و١١ مدرسة، والتعليم باللغة الأردية، كذلك يوجد نشاط لجماعة التبليغ، كما يوجد مركز إسلامي في سانت بير، وفي الجزيرة حركة إسلامية جيدة التنظيم، وتدرس اللغة العربية ويقوم بتدريسها أئمة المساجد، وبالجزيرة مبعوث لدار الإفتاء.

وبالجزيرة أكثر من ٣٠ مسجدًا تنتشر في معظم مدنها، وأغلبها بالعاصمة وبمدينة سانت بير، وتلحق بالمساجد مدارس قرآنية، ويوجد مركز إسلامي في سانت دينيس، ويصدر المجلس الإسلامي مجلة باللغة العربية واللغة الأردية.

## الهندوسية والتنصير من أبرز التحديات التي تواجه مسلمي الجزيرة

ومن أهم التحديات التي تواجه المسلمين في الجزيرة وجود الهندوسية، وكذلك بعثات التنصير، والخلاف بين جماعة التبليغ وجمعية السنين، ومن أبرز المتطلبات الحاجة إلى الدعاة، والمدرسين، وحالة المسلمين بالجزيرة جيدة.

وبالرغم من ذلك فالجزيرة في حاجة لمدارس إسلامية، ويذكر الداعية محمود غلام عطيشة، أن المسلمين في ريونيون يعانون من الفقر والعوز، الأمر الذي يشكل تهديدًا للهوية الإسلامية للأجيال القادمة من أبنائهم، مشيرًا في الوقت ذاته إلى أن رابطة العالم الإسلامي قدمت مساهمات عديدة لسد جزء كبير من احتياجات المسلمين هناك، تمثلت في بناء مدرسة إسلامية كبيرة لتعليم أبناء الجزيرة، بالإضافة إلى بناء العديد من المساجد.

### مسلمو الجزيرة والاتصال الخارجي

يكاد يكون اتصال سكان الجزيرة، لاسيما المسلمين، بالعالم الخارجي محدودا، وذلك بسبب عدم وجود تواصل مباشر من قبل الدول الإسلامية بمسلمي الجزيرة، وبالرغم من أنها تعد جزيرة ساحرة، فإن بعض الرحلات التي يقومون بها مثل رحلات الحج تتم عن طريق جزيرة مورشيوس، وقد أشاد رئيس بعثة حج ريونيون السيد مولانا عبدالله بالجهود العظيمة والخدمات الرائعة التي تقدمها المملكة العربية السعودية، كما تطرق رئيس مجلس إدارة مؤسسة مطوفي حجاج الدول الإفريقية غير العربية إلى استعدادات المؤسسة التي تهدف لخدمة وراحة الحجاج الذين تتشرف بخدمتهم المؤسسة.

لكن الأمر الذي يحتاجه المسلمون هناك لمواجهة التحديات، من تنصير واضطهاد من بعض الأقليات الهندوسية، هو وجود مربين ومعلمين يعرفونهم أمور دينهم ويربطون بينهم وبين الدول الإسلامية الأخرى.. فهل سيجدون من يهتم بهم؟

إن من أحب الأشياء إلى النفس أن تتعرف على منطقة أو مدينة كانت حاضرة المناطق، ثم غيبتها الأيام، ونسيها سكان الزمان.

مدن كانت نسبًا لعلمائها الذين ملأوا الدنيا علمًا، فعرفتهم أقاصي المعمورة، وطوَف ذكرهم البلاد، على حين زالت هذه المدن مع تقلب الأيام، واندرست، وطمست معالمها، أو استبدل باسمها آخر.

وإنَ من أحب الأشياء إلى النفوس أن تعرف عالما طار صيته، ثم تعلم موقع بلده، لتقرن العلم بالمكان، والسمع بالحس، والمعرفة بالبيئة، والنبوغ بالمصدر، وتكون خيبة أملها شديدة عندما تبحث فلا تصل، وتفتش فلا تعرف، إذ ضاع الماضي، واندثر الفن، وندبت الحضارة أيامها الخوالي.

وتكون ثورة النفس عنيفة على أمتها وعلمائها الذين لم يضعوا تحت يديها ما يعرفها على ذلك المكان، الذي اقترن بترجمة عالم من العلماء، يذكر كلما ذكر ذلك العالم، ومع ذلك لا يعرف موقعه في خريطة العالم اليوم.

ومن الموضوعات التي يعاني الباحثون من شح المعلومات حولها ما يتعلق بالتعريف بالبلدان التي ينتسب إليها العلماء، حيث إنها وإن كانت معرفة في كتب البلدان القديمة، كمعجم البلدان للحموي، وغيره، إلا أن تحديد موقعها اليوم، وتقديم وصفها الحالي، مما يعجز عن الوصول إليه كثيرٌ من الباحثين، وأنا واحدٌ من أولئك، حيث كنت أجد صعوبة في الوصول إلى بغيتي في هذا المجال في بحوثي الأكاديمية في الجامعة.

ولاشك أنه قد اهتم علماء المسلمين بعلم البلدان، وأولوه عناية خاصة، وذلك لأسباب كثيرة منها التعرف على الأمصار والأقطار التي ينتسب إليها علماء كان لهم إسهام بارز في التراث الإسلامي، وكان اهتمام المحدثين منهم بهذا العلم أكثر من غيرهم؛ لأن معرفة موطن المحدث من أهم عناصر ترجمته، ولذلك أفردوه كنوع مستقل من أنواع علوم الحديث (١).

وقد زادت الحاجة إلى هذا العلم بعد أن طرأ تغيير واسع على بعض الأسماء المعروفة من نواح عديدة، وبعد أن أهمل الباحثون ذكر كثير من المناطق والأقاليم التي كانت من حواضر العلم، وذلك بعد أن تقاسمتها دول عدة، وضمت إلى أراض واسعة، فضاعت لصغرها النسبي، كما هو حال «خراسان».

وللمساهمة في تذليل هذه العقبات؛ أردت أن أتناول الأمصار التي انتسب إليها العلماء.

د. محمد جميل النورستاني

# «بخارى»

سأبدأ بالمدن أو الأقاليم التي ينتسب إليها أصحاب الكتب الستة، وذلك لشدة حاجة المعنيين إليها، وأولى تلك المدن: مدينة الإمام البخاري «بخارى».

«بخارى» مدينة من كبريات المدن في منطقة «ما وراء النهر» (٢)، قال عنها صاحب كتاب «الصور»: «وأما نزهة بلاد «ما وراء النهر» فإني لم أر- ولا بلغني- في الإسلام بلدًا أحسن خارجًا من بخارى، لأنك إذا علوت قهندزها- أي: قلعتها- لم يقع بصرك من جميع النواحي إلّا على خضرة، متصلة خضرتها بخضرة السماء، مكبوبة على بساط أخضر، تلوح القصور فيما بينها كالنّواوير فيها، وأراضي ضياعهم منعوتةٌ بالاستواء كالمرآة، وليس بما وراء النهر وخراسان بلدة أهلها أحسن قيامًا بالعمارة على ضياعهم من أهل بخارى، ولا أكثر عددًا على قدرها في المساحة» (٣).

وقال ياقوت الحموي: «بخارى- بالضم- من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلها، يعبر إليها من آمل الشط... وكانت قاعدة السامانية» (٤).

وذكر الحموي وغيره أن اسم مدينة «بخارى» قديمًا هو «بومجكث»، وكانت على أرض مستوية، وبناؤها خشب مشبك، ويحيط بها سورٌ يكون اثني عشر فرسخًا (وهو ٣٦ ميلًا) في مثلها، وهو يحيط ببنائها كله من القصور والبساتين والمحالّ والسكك المفترشة، والقرى المتصلة، ولا يُرى في خلال ذلك قفارٌ ولا خراب.

وهناك سورٌ آخر خارج هذا السور يحيطُ بضواحي المدينة، وهي القصبةُ وما يتصلُ بها من القصور والمساكن والمحالّ والبساتين، وفيه مدينةٌ حصينةٌ فيها قلعةٌ بها مسكن وُلاة خراسان من آل سامان (٥).

وقد وصفها الثعالبيُّ بأنها كانت مثابة المجد، وكعبة الملك، ومجمع أفراد الزمان، ومطلع نجوم أدباء الأرض، وموسم فضلاء الدهر.

وتقعُ مدينةُ «بُخارى» على نهر «زرافشان» - نهر الصغد- عند التقائه برافده المنحدر من الجنوب، إلى الغرب من مدينة «سمرْقَنْد» بنحو من (١٥٠) ميلًا، وقد دمّرها المغول سنة (٦١٦هـ)، ولم تستعد مكانتها إلا في ختام المائة الثامنة في عهد تيمور، حيث اتخذ مدينة «سمرْقنْد» عاصمةً له، واستعادت أختُها بخارى شيئًا من سابق بهائها (٦).

وفُتحت بخارى لأول مرة على عهد أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان- رضي الله عنهما- سنة (٥٤هـ)، فتحها عبيدُالله بن زياد واليه على خراسان، وكان أهلُها ينقضون العهد كلما سنحت لهم الفرصة، حتى جاءهم قتيبةُ بنُ مسلم سنة (٨٦هـ) في عهد الوليد بن عبدالملك الأموي، وأخضعها لحكم المسلمين، وأسكن العرب فيها حتى لا تعود للانتقاض، وحتى ينتشر الإسلام، وبنى مسجدها الجامع سنة (٩٤هـ) (٧)، ومنذ ذلك العهد أصبحت «بخارى» قلعةً من قلاع

الإسلام، وحصنا حصينا من حصونه.

وقد دخلها الأوزبك عام (٩٠٥هـ)، ولكنهم أبقوا «سمرقند» عاصمة لهم، وحكمت بخارى أسرةٌ أوزبكيّةٌ تُسمّى «بني منغيت»، واستمرّ حكمُها حتى عام (١٣٣٩هـ- ١٩٢٠م) حيث هاجم الروسُ المدينة واستولوا عليها، واضطرّ آخرُ أمرائها إلى الهجرة إلى أفغانستان، حيث توفي هناك عام ١٣٦٣هـ.

وتقعُ الآن في جمهورية «أوزبكستان»، وعددُ سكانها يناهز ربع المليون من الأنفس (٨).

وينسب إلى مدينة «بخارى» خلقٌ كثيرٌ من أئمة المسلمين في فنونٍ شتى، على رأسهم أميرُ المؤمنين في الحديث الإمامُ أبوعبدالله محمدُ بنُ إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبه الجعفي مولاهم، البخاري، كان جدُّه الثالث «بَرْدِزْبه» فارسيًّا على دين قومه، ثم أسلم ولدُه المغيرة- أبو جدِّ الإمام البخاري- على يد اليمان الجُعفيِّ- حاكم بخارى- وأتى بخارى، فنُسب إليه نسبة ولاء؛ عملاً بمذهب من يرى أنَّ من أسلم على يدِه شخصٌ كان ولاؤُه له.

ولد الإمامُ البخاريُّ سنة (١٩٤هـ) ببخارى، وتوفي سنة (٢٥٦هـ) بقرية «خَرْتَنْك» قريبًا من «بخارى».

وكان الإمامُ البخاريُّ قد غادر مسقط رأسه «بخارى» وهو في الخامسة عشرة من عمره، ثم ظلّ يجوبُ الأمصار طلبًا للحديث، تخلّل ذلك إقامتُه في بعض المدن لسنوات عدّة، كإقامته بالبصرة خمس سنين متواصلة، وكإقامته بالحجاز ستّة أعوام، ولكن يبدو أنها لم تكن متواصلة، حتى انتهى به المطافُ إلى مدينة «نيسابور»، التي وردها سنة (٢٥٠هـ)، وقد استُقبل الإمامُ البخاريُّ من أهالي نيسابور استقبالاً حافلاً منقطع النظير، وظلّ يُحدِّثُ فيها طيلة خمس سنوات.

ويبدو أنّ الإمام البخاريّ كان قد استوطنها بدلاً من مدينته «بخارى»، ولم يكن يرغبُ في الذهاب إلى بخارى لغلبة المخالفين فيها حسب تعبيره، ولكنه لم يستطع أن يستوطنها، بل خرج منها بعد خمس سنوات مكرهًا، وذلك بعد وقوع الوحشة بينه وبين إمام نيسابور محمد بن يحيى الذهليِّ، ومنع الأخيرِ تلاميذه من حضور دروس الإمام البخاري، وبعد محنة دامت سنوات، قرّر الإمامُ البخاريُّ مغادرة نيسابور، فودّعها متوجِّهًا إلى مسقط رأسه بخارى.

ولما سمع أهلُ بلده برجوعه نُصبت له القبابُ على فرسخ من البلد، واستقبله عامّةُ أهلِ البلد، حتى لم يبق مذكورٌ لم يُشارك في استقباله، ونُثرت الدراهمُ والدنانير فرحًا بمقدمه، وبقي هناك مدةً وهو على ما يكون عليه أمثالُه من إقبال الناس عليهم ونشر العلم، حتى وقعت وحشةٌ بينه وبين أمير بخارى خالد بن أحمد الذهلي، وكان هذا سبب مغادرته لبخارى.

وبعد وقوع الوحشة بين الإمام والأمير استعان الأميرُ ببعض من ينتسبُ إلى العلم من بعض المتعصّبة حتى تكلموا في مذهب الإمام البخاري، فنفاه عن البلد.

وهكذا أخرج هذا الإمامُ العملاقُ من مسقط رأسه «بخارى»، ولم تسعْه هذه المدينةُ التي خلّدها البخاريُّ على مدار التاريخ، وسُمِّيت بسببه «قبّة الإسلام»، ومع كثرة المشاهير الذين خرجوا من هذه المدينة العريقة، فإنها لم تنل من الشهرة ما نالته إلا بسبب الإمام العبقريِّ الفذِّ العظيم.

وبعد خروج الإمام البخاريِّ من بخارى توجّه إلى قرية «خَرْتَنْك» وهي على فرسخين من مدينة «سمرقند»، وكان له بها أقرباء، فنزل عندهم، وتوفي هناك.

ونقل ابنُ عديٍّ عن عبدالقدُّوس بن عبدالجبار السمرقنديِّ أنه سمع البخاريّ ليلةً يدعو- وقد فرغ من صلاة الليل- قائلاً: «اللهمّ إنه قد ضاقتْ عليّ الأرضُ بما رحُبت، فاقبِضْني إليك»، قال: فما تمّ الشهرُ حتى مات، وقبرُه بخرتنك (٩).

وهكذا انتهت حياةُ هذا الإمام العظيم، ولكنّ ذكره مخلّدٌ مازالت الأجيالُ المتعاقبةُ تُغرِّدُ باسمه، وتحلّي المجالس بذكره، ولا زال يسكنُ قلوب ملايين المسلمين، بما أفنى عمره في خدمة سنة النبيِّ ﷺ وحفظ أحاديثه ويكفيه فخرًا كتابُه الذي هو أصحُّ الكتب بعد كتاب الله تعالى.

**الهوامش**

(١) عدّه الإمامُ ابنُ الصلاح النوع (٦٥) من أنواع علوم الحديث.

(٢) إقليم «ماوراء النّهر» يقع الآن ضمن دولتين من الجمهوريّات التي تحرّرت من الاستعمار الروسي، وهي «طاجكستان» و«أوزبكستان».

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي (١/ ٢٨٠).

(٤) المصدر السابق.

(٥) الدولةُ السّامانيّة أسّسها أحمدُ بنُ سامان عام (٢٦١هـ)، واستمرّت (١٧٠) عامًا.

(٦) بلدان الخلافة الشرقية، ص ٥٠٦.

(٧) وقد جُدِّد هذا المسجدُ ومنارتُه عام (٥١٥هـ) بأمر أرسلان خان، وقد حُوِّل بعد السيطرة الشيوعيّة إلى متحف ومكتبة، ووُضعت أمامه التماثيل، وسمِّيت المكتبة باسم «مكتبة ابن سينا».

(٨) موسوعة المدن العربية والإسلامية، ص٤٠٩.

(٩) أسامي من روى عنهم محمدُ بنُ إسماعيل البخاري، لابن عدي، ص٦٧، تاريخ بغداد، ٢/ ٣٤، تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٦٦)، سير أعلام النبلاء، (١٢/ ٤٦٦).

# جامع الحنابلة (المظفري)

## بصالحية جبل قاسيون بدمشق الشام

تركي محمد النصر

حي الصالحية في دمشق أثر مبارك من آثار المهاجرين الذين تركوا بلادهم في فلسطين، هربًا بدينهم من الصليبيين، عام (٥٥٠ هـ. ١١٥٥م). وسميت الصالحية لأنها كانت مسكناً للصالحين.

وفيه يقول الشاعر:

**الصـــــالحيَّة جنَّة**
**والصالحون بها أقاموا**
**فعلى الديار وأهلها**
**منِّي التحيَّة والسلام**

ومسجدها أقدم آبدة أيوبية ما زالت ماثلة في دمشق الشام، قال فيه يوسف بن عبدالهادي:

**بالله إن جزت الصوالح فاقرها**
**مني السلام ولا تذد عن صدرها**
**شوقي يزيد إلى محلة أنســـها**
**والقلب منـــي دائمًا في ذكرها**
**فالسهم منها قد أصاب لمهجتي**
**والعين تجري مذ غدت في نهرها**
**والجامع المشهور شملي جامعًا**
**وبه مدار الأنس صـبَّ بنُعرها**
**والروضة الفيحاء ليس كمثلها**
**وبها الفحول وسـادة في قعرها**

### موقعه

يقع جامع الحنابلة خارج أسـوار المدينـة القـديمة، في صالحيَّة دمشق الشام بحي «أبو جرش» في زقاق الحنابلة، محاذيًا لشارع الشيخ عبدالغني النابلسي، عند السفح الشرقي لجبل قاسيون.

### أسماؤه

قال يوسف بن عبدالهادي، له أربعة نِسَبٍ:

**الأولى:** الجامع المظفَّري، نسبة للسلطان مظفر الدين كوكبوري (صاحب إربل)، زوج شقيقة السلطان صلاح الدين الأيوبي، الذي تمم بناءه، وهي أقدم تسمية للجامع وأكثرها استعمالاً عند المؤرخين، ونجدها بكثرة في السماعات التي قُرِئت في الجامع.

**الثاني:** جامع الجبل، لأنه في مصاعد جبل قاسيون.

**الثالث:** جامع الحنابلة، لأنه كان وقفًا حنبليًا.

**الرابع:** جامع الصالحين.

## الجامع العريق عرف بمجالس السماع الجماعي التي يشترك فيها عدد من العلماء

### خصائصه وما قيل فيه

هو أول جامع كبير بُني في دمشق بعد الجامع الأموي.

قال ابن عبدالهادي: «الجامع المظفري أول مباني الصالحيَّة، وتاليه المدرسة العمرية».

وقال ابن كنان عنهما: «وخصهما بالذكر لما هو مشاهد من بركتهما لكل أحد، ولأنه كثر فيهما اشتغال الدروس، وهما محل الحفَّاظ والمحدثين، واجتمع فيهما ما لا يجتمع في غيرهما».

قال ابن طولون الصالحي: «مئذنة جامع الحنابلة وهي من آجر بطبقتين»

### بناؤه

تشير النصوص التاريخية إلى أن الذي بدأ في بناء الجامع المظفري هو الإمام محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، الذي هاجر مع أهله سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥م) من فلسطين، واستقر بصالحيَّة دمشق، وباشر بناءه سنة (٥٩٨هـ - ١٢٠٢م)، بعد انتهائه من بناء دير الحنابلة، وجعله رديفًا له بمساحة (٢٥×٣٧).

وأنفق على بنائه تاجر يُقال له أبوداود الفامي، ثم نفد ماله فتوقف العمل ولمَّا يرتفع البناء عن مستوى القامة.

بلغ ذلك الملك المظفر كوكبوري (صاحب إربل)؛ فبعث لهم ثلاثة آلاف دينار لتتميم عمارته، كما أرسل الملك المظفر أيضًا ألف دينار لسقيا الماء إلى الجامع من قرية «برزة» المجاورة، فلم يتم ذلك خوفًا من نبش القبور في الطريق، فعوض عن ذلك بحفر بئر ماء، ووقفت عليه.

وانتهى بناء المسجد في ١٧ رجب سنة ٦١٠هـ.

ويذكر أن الذي تولى عمارة الجامع وأبدع فيها هو الشيخ أحمد بن يونس بن حسن المقدسي المرداوي (ت: ٦٢٢هـ)، وهو من مهاجري المقادسة، وكان يُضرب به المثل في الأمانة والخير والمروءة والدين والعقل والصلاح.

### وصف الجامع وتطوره

يُلاحظ أن مخطط الجامع وشكله العام قُصِد به إلى حد بعيد محاكاة الجامع الأموي ومخطَّطه وشكله، وللجامع جبهة حجرية غربية فيها الباب الغربي الكبير الذي يؤدي إلى صحن الجامع المربع الشكل الذي تتوسطه بركة ماء مربعة، وللمسجد باب آخر يواجه الباب الغربي.

كما يتوسط الجدار الجنوبي للجامع محراب حجري بديع الصنع، يكتنفه عمودان من الرخام الأبيض المجزَّع، ويقوم إلى يمين المحراب منبر خشبي، وهو آية من آيات الفن، وهو هدية من الملك كوكبوري، وقد زُين بمواضيع نباتية وهندسية تعد من روائع الفن الإسلامي، وتشير الدراسات التاريخية إلى أن منبر المسجد كان في البدء شبيهًا بمنبر مسجد النبي ﷺ في المدينة المنورة من ثلاث درجات، إلى أن تم صنع المنبر الحالي آنف الذكر سنة ٦٠٤هـ.

ويذكر المؤرخون أنه كان للمسجد مئذنتان تهدمت إحداهما، وبقيت الأخرى المعروفة بالمئذنة الشمالية خلف البئر مما يلي الجبل، يعود بناؤها إلى سنة ٦١٠هـ في عهد الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وهي مربعة الشكل بطول ١٨,٨٠م.

والخلاصة أن الجامع أحد روائع دمشق بمخططه وزخارفه الفريدة من نوعها.

وكانت له أوقاف جيدة، وتضاف له أوقاف المساجد والجوامع الأخرى، لما له من الشهرة والقدسية.

وقد أصاب الجامع نكبات كثيرة ومتوالية، ابتداءً من هجوم قازان سنة ٦٩٩هـ، وما تلاه من هجمات التتار الوحشية، التي انتهت سنة ٨٠٣هـ، ثم كانت فتنة جان بردي الغزالي بعد موت السلطان سليم الأول.

وقد رُمِّم الجامع في السبعينيات، ولا يزال يحافظ على مخطط بنائه القديم، وعلى معظم أقسامه الرئيسية.

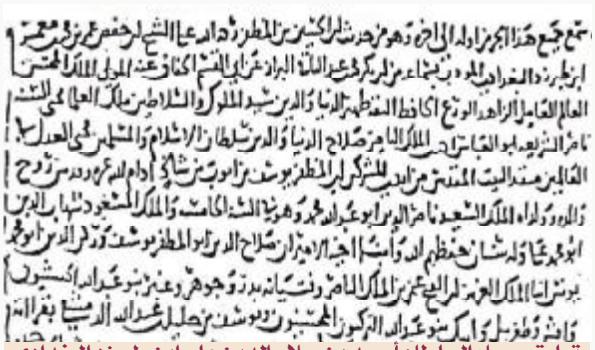

تعليق سماع السلطان أحمد بن صلاح الدين على ابن طبرزد البغدادي

## مكتبة الجامع

كان للجامع مكتبة صغيرة موقوفة عليه، ومعظم الحنابلة كانوا يقرأون دروسهم فيها، وتضم مجموعة من الكتب الفقهية الحنبلية، والكتب الحديثية، إضافة إلى كتب في العلوم الأخرى، غير أن النكبات التي أصابت الجامع أثرت فيها، ولعل صغرها يعود إلى وجود مكتبتين كبيرتين متجاورتين في دار الحديث الضيائية والمدرسة العمرية.(الواقعة أمامه)

## أئمة الجامع وخطباؤه

الإمام والخطيب فيه هو مدرس ومقرئ ومرب وموجه، ولا يكتفي بما أُسند إليه بل يهب حياته كلها للعلم وخدمة الناس، وهذا ما قام به أول إمام وخطيب له وهو أبوعمر محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، عميد المقادسة في دمشق، ثم تابع عمله أخوه الإمام موفق الدين المقدسي، فأمَّ وخطب ودرَّس وساعده ابنه الشيخ عيسى، ومن بعدهم تولى الإمامة أبناء أبي عمر وأحفاده على مدى أكثر من ثلاثمائة سنة، ثم قام بعد ذلك أئمة منهم ومن غيرهم.

## التاريخ العلمي للجامع

التاريخ العلمي للجامع المظفري يمثل نهضة علمية شاملة، قام بها المهاجرون المقادسة في الصالحية، على أن ظاهرة سماع الحديث، ثم قراءته رواية ودراية كانت من الأمور التي تميز بها المقادسة في الصالحيّة، حيث كانوا يُسمِعون أولادهم منذ الصغر، فكانوا يسعون إلى كبار العلماء من سكان دمشق والواردين إليها، كي يتلقوا عنهم في الجامع المظفري الذي درَّس فيه طائفة عظيمة من العلماء لا يمكن حصر أسمائهم في هذا المقال، ولكني أقتصر على ذكر بعضهم، **فمن مشاهير العلماء الذين سكنوا الصالحية، و سمِعوا وأسمَعوا في الجامع المظفري:**

١- أحمد بن عبيدالله بن أحمد المقدسي الحنبلي (ت: ٦١٣هـ).

٢- العماد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي (ت: ٦١٤هـ).

٣- عبدالرحمن بن محمد بن عبدالجبار المقدسي الحنبلي (ت: ٦٣٥هـ).

٤- أحمد بن علي بن الحسن الجزري (ت: ٧٤٣هـ).

٥- يوسف بن محمد بن عبدالله المرداوي (ت: ٧٦٩هـ).

٦- محمد بن علي بن طولون الدمشقي (ت: ٩٥٣هـ).

وكان **لمجالس السماع الجماعي** نصيب في الجامع المظفري وهي مجالس يشترك فيها عدد من الشيوخ، وربما شاركتهم بعض الشيخات في مجلس واحد لإسماع بعض كتب الحديث الشريف، وهذه الطريقة فريدة تميَّز بها علماء الصالحية، وتكون بأن يتفق فيها عدد من الشيوخ لإسماع الحديث بقراءة أحد طلاب العلم وهم يستمعون، وربما شرح أحدهم بعض ما يتعلق بالأحاديث وعلو سندها، وكثيرًا ما نجد اشتراك شيخين أو أكثر، كاشتراك الفخر بن البخاري والإمام عبدالرحمن ابن أبي عمر المقدسي، ومنها السماع على ١٤ شيخًا وشيخة لجزء فيه انتخاب الطبراني لابنه أبي ذر في الجامع المظفري سنة (٧٠٧ هـ)، ومن هؤلاء المشايخ: سعد الدين أبي محمد يحيى المقدسي، ومن الشيخات: أم محمد ست العرب، وأم حبيبة بنتا إبراهيم بن عبدالله بن أبي عمر بن قدامة المقدسي.

وقد ذيلوا المحضر: صح ذلك في يوم الأحد الثاني من ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة، بالجامع المظفري بسفح قاسيون، وأجاز لهم الشيوخ رواية جميع ما يروونه.

**وقد ورد إلى الجامع المظفري** كوكبة عظيمة من كبار العلماء والحفاظ من شتى أنحاء العالم، فأسمعوا الحديث فيه، ومن أشهرهم:

١- حنبل بن عبدالله الرصافي المكبر (ت: ٦٠٤هـ)، وهو آخر من روى المسند عن أبي القاسم بن الحُصين، وقد سمع عليه طلاب العلم الكثير من مروياته، ومنها: مسند

عبدالله بن مسعود من مسند الإمام احمد، وأحاديث منتخبة منه سنة (٦٠٢هـ).

٢- عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي (ت: ٦٠٧هـ)، وقد سمع عليه السلطان أحمد بن صلاح الدين الأيوبي لحديث أبي الحسين بن المظفر سنة (٦٠٤هـ).

٣- إسحق بن يحيى بن إسحق الآمدي الحنفي (ت: ٧٢٥هـ)، وهو شيخ دار الحديث الظاهرية بدمشق، وسمع منه جماعة من طلاب العلم، وأجاز لهم جميع مروياته.

٤- أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام (ابن تيمية) الحراني، (ت:٧٢٨هـ)، وقد درّس، رحمه الله، في المدرسة السكرية والمدرسة الحنبلية بدمشق، وقد سمع من شيخه الإمام عبدالرحيم بن عبدالملك المقدسي، وإسماعيل بن أبي عبدالله العسقلاني بالجامع المظفري سنة (٦٧٥هـ). ووُجِد نص السماع بخطه رحمه الله.

٥- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الشافعي، (ت:٧٤٨هـ)، شيخ المحدثين وقدوة الحفاظ، ومؤرخ الشام، سمع على شيخه إسماعيل الفرَّاء سنة (٦٩٤هـ ) بالجامع المظفري.

٦- إسماعيل بن عمر المعروف بابن كثير الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، الإمام المفتي المحدث البارع، صاحب البداية والنهاية، سمع أحاديث أبي الحسين بن المظفر على شيخه أحمد بن المحب سنة (٧٣٠هـ) بالجامع المظفري.

٧- أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر العسقلاني) صاحب الفتح، (ت: ٨٥٢ هـ)، خاتمة الحفاظ وقاضي القضاة، أقام بالصالحية مائة يوم حصّل فيها ألف جزء غير الكتب الكبار، واجتمع فيها مع الإمام إبراهيم بن مفلح الحنبلي بالجامع المظفري.

**ومن أشهر الشيخات اللاتي أسمعن الحديث في الجامع المظفري:**

١- خديجة بنت عبدالرحمن بن محمد المقدسية (ت: ٧٠١هـ)، ومما سُمِع عليها مجلس البطاقة من أمالي حمزة الكتاني سنة ٦٩٨ هـ بالجامع المظفري.

٢- ست الفقهاء بنت إبراهيم الواسطي (ت: ٧٢٦هـ)، سُمِعَ عليها نسخة الزبير بن عدي الكوفي سنة ٧٢٤هـ بالجامع المظفري.

٣- حبيبة بنت إبراهيم المقدسية (ت: ٧٤٥هـ)، سمع منها الإمام الذهبي «انتخاب الطبراني» بالجامع المظفري.

٤-فاطمة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية الصالحية (ت: ٨٠٣هـ)، سمعت من الحجَّار بالجامع المظفري، وقال ابن حجر: قرأت عليها الكثير من الكتب والأجزاء بالصالحية.

٥- عائشة بنت محمد بن عبدالهادي المقدسية الصالحية (ت: ٨١٦هـ)، سمعت على الحجَّار «صحيح البخاري» وغيره بالجامع المظفري، وتفردت بذلك، وقرأ عليها الحافظ ابن حجر كتبًا كثيرة كصحيح البخاري وغيره، كانت في آخر عمرها أسند أهل الأرض.

يتبين لنا مما سبق ذكره الدور الريادي الرفيع الذي كان يحتله هذا الجامع في النهضة الدينية العلمية في بلاد الشام، حيث جذب كبار العلماء والحفاظ إليه ليدَرُسوا ويدرِّسوا فيه شتى العلوم، فقد كان بحق مركزا للإشعاع الثقافي، حيث انطلقت من فوق منبره ومن حلقاته ومجالسه النهضة الثقافية العلمية بدمشق، الأمر الذي دفع بكثير من العلماء بتأليف الكتب في هذا الجامع ومنها كتاب: «جامع الحنابلة المظفري بصالحية جبل قاسيون»، للدكتور محمد مطيع الحافظ، حيث تناول المسجد بدراسة تفصيلية تحدث فيها عن بناء الجامع وتأسيسه وخصائصه وفضائله ووصفه وأوقافه وما أصابه من نكبات منذ إنشائه حتى عصرنا الحاضر، ثم تناول دوره الريادي في النهضة الدينية والعلمية في بلاد الشام، فترجم لأئمته وخطبائه، ثم للعلماء والحفاظ والمحدثين والمسندين والمدرّسين المقيمين فيه أو الواردين عليه من البلاد الأخرى- من الرجال والنساء- الذين علّموا أو رَوَوْا الحديث الشريف أو سمعوه فيه، وقد ختم الكتاب بذكر أربعين حديثًا منتقاة عن أربعين شيخًا من أربعين كتابًا مسموعًا بالجامع المظفري، والقصد أن تُقرأ في هذا الجامع العريق ليعود اتصال السند ورواية الحديث فيه، وكان أول من قرأ هذه الأحاديث على د.الحافظ مجموعة من طلاب العلم عند زيارته للكويت سنة ١٤٢٦هـ.

**المصادر**

١-جامع الحنابلة (المظفري)، د. محمد مطيع الحافظ.

٢- القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، لابن طولون الصالحي.

# الشيخ محمد أديب الكلّاس في ذمة الله

التحرير

**فقدت الأمَّة الإسلامية صباح يوم الأربعاء ٣ ذوالقعدة ١٤٣٠هـ الموافق ٢١/١٠/٢٠٠٩م، العلامة الفقيه المربي، فضيلة الشيخ محمد أديب الكلّاس، عن عمر ناهز ٨٩ سنة، أمضاها في خدمة العلم والدين، ويعتبر الشيخ، المولود في حي «القيمرية» بدمشق الشام عام ١٩٢١م، من أبرز علماء الأمة الإسلامية.**

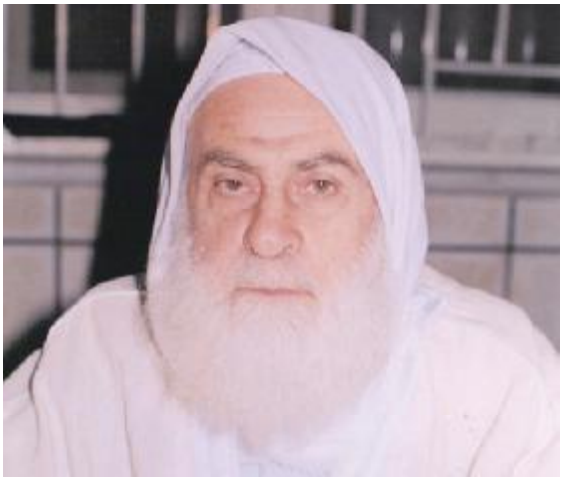

تربى الشيخ العلامة في كنف والده الزاهد الذي أودعه في كتاتيب المشايخ لتلقي العلوم النافعة، بعيدًا عن المدارس العامة، فدرس في المدرسة الكامليَّة ثم الجوهريَّة ثم السفرجلانيَّة، ثم انتقل إلى المدرسة الأمينيَّة، ثم إلى الكتّاب وجامع المنجلاني، ثم إلى مدرسة الإرشاد والتعليم، وقرأ في صغره على الشيخ محمد صالح الفرفور الأربعين النووية ومبادئ الفقه بنور الإيضاح، ثم وضعه والده بمهنة الخياطة، ثم الكلاسة، فانقطع عن شيخه في هذه الآونة ثم عاد إليه، فلما رآه رحب به وقال له: وجهك أم ضوء القمر! لما عرف عنه من نباهته وفطنته وحفظه، وجعله في حلقة الأستاذ عبدالحليم فارس، فقرأ عليه النحو، وتابع عند الشيخ الفرفور النحو وشرح ابن عقيل والبلاغة الواضحة، وعلم التوحيد، والمنطق والفرائض، والتفسير، والعروض، ومصطلح الحديث، والتجويد، وأجازه الشيخ إجازة عامة بالعلوم الشرعية والعربية وغيرهما.

وقرأ على الشيخ عبدالرزاق الحلبي بعض المتون وأجازه وتبادل الإجازة معه، وقرأ على الشيخ العلامة محمود فايز الديرعطاني بعضًا من سور القرآن الكريم، وسُرَّ منه لنباهته وفطنته، وقرأ على الشيخ فوزي المنيّر، وعلى الشيخ أحمد عبدالمجيد الدوماني، كما قرأ أيضًا القرآن على الشيخ أبي الحسن الخباز، وكان معروفًا بإتقانه لكتاب الله عز وجل. نبغ الشيخ نبوغًا كبيرًا وكأنه حوى في صدره كل ما قرأه ووعاه حتى غدا جبلًا من جبال العلم يمشي على الأرض، ومع ذلك لم يترك مساعدة والده في عمله، وكان يحرص على نيل رضاه.

تولى الشيخ الإمامة والخطابة والتدريس في العديد من مساجد دمشق، منها مسجد «تحت القناطر» ومسجد «القطط» ومسجد «السيدة رقية»، ومسجد «تنكز»، وجامع «الخير» في حي المهاجرين، وأخيرًا شغل منصب خطيب جامع «الحمد» على رابية قاسيون، كما درَّس في معهد الفتح الإسلامي في قسم التخصص فيه، وفي الكثير من المدارس. كلل الشيخ طريقه العلمي بالقراءة على العلامة الطبيب الشيخ محمد أبواليسر عابدين مفتي سوريا الذي كان يقول له: «ليتني عرفتك من قبل»، لما أعجبه من علمه واطلاعه، وتدقيقه لمسائل العلوم، والتواضع والزهد، وأجازه إجازة عامة، كما أجازه الشيخ محمد سعيد البرهاني، والشيخ أحمد وهاج الصديقي الباكستاني، والتقى الشيخ في أسفاره إلى الحجاز مع كبار العلماء والمحدثين وتبادل الإجازات معهم.

برع الشيخ في المناظرة وإبطال الشبهات، والرد على أهل الأهواء والملحدين والمبتدعين، كما كان له شغف بعلم العقيدة والتوحيد؛ لذلك فهو صاحب حجة وبرهان وإقناع مع رحابة صدر شديدة وتواضع جم وزهد كبير.

## تلاميذ الشيخ

تلاميذه هم الذين قرأوا عليه أو حضروا دروسه، وهم لا يحصون كثرةً من بلاد العالم الإسلامي كله، ومن تلامذته كثير ممن تخرجوا من معهد الفتح الإسلامي وواظبوا على دروسه ورأى فيهم نباهة طلاب العلم، فأجازهم جميعًا بإجازاته عن شيوخه بالمعقول والمنقول، بعد أن فتح داره لكل سائل يرجو بذلك ثواب الله وحده. كان الشيخ كريمًا جوادًا، متواضعًا، مؤثرًا على نفسه، متأدبًا مع شيوخه وطلابه، صاحب دعابة وتودد، واصلًا لرحمه، يقدم طلب العلم على راحته، لا يحب الظهور، ويحب الشفاعة لغيره.

ومع كل ذلك كان يقول رحمه الله: أنا كلاس ما عندي شيء، والفضل لله وحده.

توفي الشيخ يوم الأربعاء ٢١/ ١٠ ٢٠٠٩م وصلّى عليه ابنه الشيخ أحمد الكلاس، بعد صلاة العصر بالجامع الأموي حيث اكتظ الجامع بعشرات الآلاف من المصلين الذين جاؤوا من مختلف الأحياء ليشيعوا الشيخ.

وخرجت الجنازة من الجامع الأموي، ومرت بسوق «الحميدية» ثم باب «الجابية»، لتصل إلى مقبرة «باب الصغير»، حيث دفن الشيخ، رحمه الله وعفا عنه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إعداد: هالة محمد

## كما تتكلم تسمع

توصل علماء إلى أن اكتساب القدرة على الحديث يؤثر أيضًا في الطريقة التي تسمع بها الكلمات، وذكر العلماء في مختبرات «هاسكينز» في جامعة «يال» الأميركية أن ذلك قد يؤدي إلى تحسين حالة الذين يعانون من الاضطرابات في النطق بشكل كبير.

وقال دافيد أوستري الذي يعد أحد كبار العلماء في مختبرات هاسكينز، والبروفيسور في علم النفس في جامعة ماك غيل «إن النتائج التي توصلنا إليها تشير إلى أن تعلم كيفية الكلام أو التحدث يجعل من السهل فهم ما يقوله الآخرون».

وقال أوستري إنه «عندما يكتسب الطفل القدرة على التكلم أو عندما يتعلم الشخص البالغ لغة جديدة تزداد قدرتهما على التمييز بين أصوات الكلام المختلفة»، مشيرا إلى انه في حين أن هذه القدرات قد تتطور بشكل منعزل عن غيرها من العوامل الأخرى، فإن اكتساب القدرة على الكلام قد يغير الطريقة التي تسمع بها أصوات الكلام الصادرة من حولنا.

وتوصل أوستري إلى أن عضلات الوجه، وخاصة تلك التي حول الفم تلعب دورًا مهما ليس من حيث التمييز بين الأصوات التي نسمعها ولكن حول كيفية سماعنا لها أيضا.

## شرائح لمراقبة جسم الإنسان

توصل العلماء اخيرًا إلى اختراع شرائح الكترونية تزرع في جسم الإنسان يتمكن الطبيب من خلالها من مراقبة العمليات الأيضية في الجسم، ومراقبة درجة الحرارة وضغط الدم وغيرها، وأبرز المعوقات التي تعترض عمل هذه الشرائح هي طبقة الجلد السميك أو طبقات الدهون لدى الناس المصابين بالسمنة لأنها ستحجب الإشارة اللاسلكية التي تؤمن الاتصال بين الشريحة في الجسم ونظام المراقبة عند الطبيب.

## قمر لبحث الدورة المائية على الأرض

تم إطلاق قمر اصطناعي أوروبي يعتبر الأول من نوعه في العالم لجمع معلومات عن الدورة المائية على الكرة الأرضية، ونقل عن مدير قسم رصد الأرض في وكالة الفضاء الأوروبية قوله: إنه تم إطلاق قمر جديد من نوعه يعرف باسم «ميراس» ويبلغ قطره ثمانية أمتار، وهو عبارة عن ثلاثة أجنحة أشبه بشفرات مروحية طائرة عمودية، وتضم الأجنحة ٦٩ هوائيًا.

وأضاف أن القمر يعمل بتقديم خرائط مفصلة عن كميات الرطوبة الموجودة في التربة وكميات الأملاح في مياه المحيطات والتي سيتم الاعتماد عليها في تحسين دقة الأرصاد الجوية والتحذير من الأحوال الجوية الخطرة مثل احتمال حدوث فيضانات، كما أن المعلومات التي سيجمعها القمر ستساعد في تحسين المعرفة بعمل الدورة المائية على الكرة الأرضية، وسيوضح كيفية انتقالها بين سطح المحيطات واليابسة والغلاف الجوي.

## وقود الايثانول من ثمار البطيخ

في محاولة للاستفادة من فائض محصول البطيخ في الولايات المتحدة، وهو ما يزيد عن ٣٤٠ مليون كيلوجرام يتم التخلص منها سنويا، نجحت مجموعة من الباحثين في ولاية أوكلاهوما في استخراج الايثانول، الذي يستعمل كوقود، من ثمار البطيخ.

وفي هذا الصدد قال بوب موريسي المدير التنفيذي للجمعية القومية لمنتجي البطيخ: إن الجمعية قد بدأت قبل نحو أربع سنوات بدراسة إمكانية استخراج فيلايتانول، من السكر الموجود في البطيخ، ودفعها إلى ذلك عدم وصول قدر كبير من المحصول في الولايات المتحدة إلى الأسواق، ويشير إلى أن نجاح التجربة قد يفتح سوقا جديدًا أمام المزارعين الذين سيكون بإمكانهم بيع محصولهم الجيد من البطيخ إلى المواطنين، والتالف منه إلى منشآت تصنيع الايثانول.

وإذا نجحت التجربة فسيضمن المزارعون الذين يشعرون بالقلق لتلف قدر كبير من محصولهم تحقيق قدر أكبر من الربح كل عام.

ويقول الباحثون إن مادة الايثانول المستخرج من البطيخ لفتت الانتباه إلى الدرجة التي دفعت شركة في ولاية تكساس الأميركية إلى تشغيل وحدة متنقلة لتحويل السكر المستخرج من البطيخ إلى إيثانول مباشرة في

## الجامعات الأميركية في الصدارة

هيمنت الجامعات الأميركية هذه السنة على التصنيف العالمي لأفضل مائة جامعة الذي تعده جامعة شنغهاي للاتصالات وتطعن به بعض الدول، وفي تصنيف عام ٢٠٠٩م حلت جامعة كامبريدج (رابعة) وجامعة أكسفورد (عاشرة) وهما الجامعتان البريطانيتان الوحيدتان اللتان حققتا مركزين بين الجامعات العشر الأوائل، بينما احتلت جامعات أميركية بقية المراكز، وعلى رأسها جامعة هارفارد حيث جاءت في المرتبة الأولى وستانفورد الثانية وبيركلي الثالثة، وحلت ١٨ جامعة أميركية بين الجامعات الـ ١٩ الأولى في التصنيف الذي يضم مائة جامعة.

ويقول واضعو التصنيف إنه يستند إلى الأداء الأكاديمي أو البحثي والمقالات المنشورة في بعض الصحف والمجلات، وعدد الفائزين بجوائز نوبل وجوائز أخرى عريقة.

ومن جانب آخر قال تقرير أصدرته طوسون رويترز إن الباحثين الصينيين أنتجوا أبحاثا علمية تزيد على مثلي ما كانوا ينتجونه في السابق، وأن الصين الآن في المرتبة الثانية من حيث حجم الأبحاث فقط بعد الولايات المتحدة الأميركية.

## التغير المناخي قد يقتل ٢٥٠ ألف طفل

التغير المناخي قد يتسبب في قتل ٢٥٠ ألف طفل العام المقبل، وهذا العدد يتزايد لأكثر من ٤٠٠ ألف طفل بحلول عام ٢٠٣٠م، وفي تقرير جديد لموسسة «أنقذوا الأطفال» يحذر من أن أكثر من ٩٠٠ مليون طفل في الجيل المقبل سيتأثرون بسبب نقص المياه، وأن ١٦٠ مليون طفل سيكونون عرضة لخطر الإصابة بمرض الملاريا أحد أكبر الأمراض القاتلة للأطفال دون الخامسة، مع انتشاره الى اجزاء جديدة من العالم، وقالت المؤسسة: إن التغير المناخي يمثل أكبر تهديد عالمي لصحة الأطفال في القرن الحادي والعشرين، حيث يجبر الجفاف والفيضانات العائلات على ترك منازلهم، والأطفال على التسرب من مدارسهم، وأضاف ان المجاعة والانهيار الاقتصادي اللذين تتسبب بهما الكوارث الطبيعية قد يؤديان الى مزيد من عمليات الاتجار في الأطفال وتشغيلهم، كما تتوقع المؤسسة أن ١٨٥ مليون طفل - ما يعادل تقريبًا ثلاثة أضعاف سكان بريطانيا- سيعانون سنويا من نتائج الكوارث الطبيعية مثل الأعاصير والجفاف والفيضانات بحلول عام ٢٠٣٠م.

## حصاد العلوم والمعرفة

■ أظهرت آخر الدراسات أن الأشخاص الذين يخزنون المبيدات الحشرية في منازلهم أكثر تعرضًا للمعاناة من أفكار انتحارية.

■ تعهد رئيس بلدية العاصمة الروسية موسكو بأن يكون شتاء المدينة هذا العام خاليا من الثلوج وذلك من خلال خطة لرش مواد كيماوية في الأجواء باستخدام طائرات مستأجرة من سلاح الجو الروسي.

■ اختراع علمي جديد لرادار محمول باليد يمكن الشرطة من مشاهدة ما يدور في الغرفة أو المبنى أو الجدران الأسمنتية.

■ اكتشف باحثون في الطب الطبيعي أن السمسم يفيد الكبد ويقيه العديد من العلل، كما يملك تأثيرًا مضادا لارتفاع ضغط الدم ويعتبر مضادا للأكسدة بشكل قوي لغناه بفيتامين E المعروف بفوائده الصحية كما يعتبر مصدرًا جيدًا للكالسيوم والزيوت النباتية المفيدة للجسم، لذا يعد مفيدا للعظام والعضلات.

■ توصل باحثون من جامعة «موناش» في ملبورن راجعوا ٣٠٠ منزل تستخدم مياه المطر التي يتم تجميعها في خزانات كمصدر رئيسي للشرب أن معدل إصابتهم بالأمراض أقل من غيرهم ممن يستخدمون مياه الصنبور أو مياه الزجاجات المعبأة، وجاءت هذه الدراسة وسط تزايد القلق بشأن التأثير البيئي لمنتجات المياه المعبأة التي غالبًا ما تنقل لمسافات طويلة وتعبأ في زجاجات بلاستيكية.

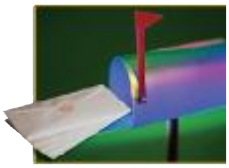

# تكرار

يعد تكرار القصص في القرآن الكريم مع اختلاف طريقة روايتها معجزة إلهية، فمن الذي يقدر على الإتيان بقصة واحدة يسردها عدة مرات مع استخدام ألفاظ مختلفة ثم تؤدي نفس المعنى، ومن الذي يقدر على الإتيان بقصة يسردها تارة في صفحات وأخرى في سطر، من الذي يقدر على الإتيان بمثل هذه الأشياء العظيمة إلا العظيم؟! فسبحان الله العظيم، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

■ **بلسم حمدي حسين خالد - مصر**

# أزمة العقل المسلم

■ الأزمات المعاصرة التي يعاني منها المجتمع المسلم، أزمة فكر وعدم استخدام العقل، مما أثر على الهوية، واصلاح الأمر بحاجة لإعادة بناء الطاقات وتنقية النفوس، وامتلاك ناصية المعرفة والقدرة على الأداء.

وقد انشغل العقل المسلم بمعارك صغيرة لا تقدم في الميزان الحقيقي للأمور شيئًا ولا تؤخر، وأصبح كل مجتمع مسلم منقسم على نفسه، حتى اختلطت السبل، وفكر الاصلاح غائب وكأنه جريح ومريض، بفعل قلة الاجتهاد، والركون إلى حلاوة الشعارات، وتم خلط الهوية الإسلامية بالهوية الحزبية أو المذهبية، مع الفشل في كسب ثقة كثير من قوى التحديث والمعاصرة، فكيف تختلط السبل، وقد قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام:١٥٣).

تلك الوصية تعتمد على التعقل والتذكر والتقوى، حيث لا مجال لفكر منحرف أو بدع أو أهواء، كما أن الاختلاف مفسدة للقلوب، قال تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ (الأنعام: ١٥٩).

لذلك يجب رفض التقسيمات الايدلوجية لأبناء الامة لترتفع فوقها هوية واحدة ومصلحة واحدة للارتقاء بالأمة.

■ **يحيى السيد النجار**

# الشباب

## من هم الشباب؟

ولماذا الحديث عن الشباب؟

■ الشباب رجال الغد، وآباء المستقبل، ثروات البلاد ومصدر القوة والنشاط والحيوية، فبهم إصلاح الأمة وإصلاح المجتمعات، فهم الحركة والبركة والقوة لمجتمعنا ومجتمعات أخرى مختلفة، وللشباب ذكر في قرآننا الكريم، قال تعالى: ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب﴾ (يوسف:١١١)، ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ (الممتحنة: ٤).

وعندما ذكر الله عز وجل قصص الأنبياء ما كان ذلك من فراغ أبداً، إنما لحكم عديدة وكثيرة وهامة، وأهمها الاقتداء بهم والإيمان والدعوة والصبر، قال تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ (الأحقاف: ٣٥)، فيا أخي الشاب وابن ديني وأمتي إليك بعض التوجيهات التي يمليها عليك دينك.

■ حافظ على رجولتك، وتجنب إضعافها بالميوعة والتكسّر.

■ اعرف ما لوطنك وولاة أمره من الحق.

■ احذر الأفكار الهدامة حتى لو كان ظاهرها الإصلاح، حتى لا تقع فريسة رخيصة في أيدي الكفرة ودعاة الباطل.

■ التزم بالحلال وحلاوته وتجنب الحرام، وادعُ الله دائما «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك» (سنن الترمذي).

■ لتكن على ثقة وإيمان أن الله معك في كل خطواتك، فأنت ابن المستقبل وذخره، فاستعد لتربية أبناءك تربية دينية صالحة صحيحة وسلح نفسك وغيرك بالعلم والأدب.

■ عليك أن تكون دائم الارتباط بالله تعالى وذلك من خلال الالتزام بالصلاة والإكثار من الدعاء والتوكل على الله في كل الأمور.

■ **منيرة عيسى شبلاق**

# تنمية الثقافة الإسلامية.. ليست ترفاً

إن أول آيات نزلت من القرآن الكريم هي قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾ (العلق: ١-٥).

في هذه الآيات الكريمة ذكر الله تعالى أمره سبحانه بالقراءة مرتين، وذكر مادة العلم، وذكر أداة من أدوات التعليم وهي القلم، وكان ذلك كله في ابتداء الوحي، يقول تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.

وإنه بمقدار تعمق الإنسان المؤمن في الجانب العلمي بصدق وإخلاص تكون خشيته لله تعالى، ذلك أنه يرى من نواميس الكون ومن الإتقان في الصنع ومن الحكمة في التدبير، ما يجعله ساجدًا لمبدعه ومنسقه.

وخشية الله، التي هي ثمرة العلم، أساس من أهم أسس إسلام الوجه لله عز وجل، ومن هنا كانت ضرورة العلم في الإسلام، إنه ضرورة وليس ترفًا، فهو من أسس الإسلام نفسه، ومن أجل ذلك كان العلم من أهم مقومات شخصية المسلم.

العلم بالكون وبالإنسان وبكل ما تتسع له الكلمة من معنى كريم.

ومما يرفع من قدر العلم والقائمين عليه أن الله سبحانه قرن العلماء به وبملائكته في شهادة التوحيد، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل إليه تكريم العلماء من مكانة، قال تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمًا بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.

وشهادة التوحيد التي هي الركن الأول في الإسلام وهي شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يعرف معناها إلا العلماء المؤمنون.

■ **محمد السيد عامر**

# تعقيب

قرأت مقال للسيد سعيد سعد الغامدي في ركن أسرتي من مجلة الوعي الإسلامي (العدد ٥٣٠ شوال ١٤٣٠ ص٥٤) يتحدث عن دراسة بحثية أعدتها د. سماح خالد عبدالقوي زهران من جامعة عين شمس بعنوان «المسؤولية المجتمعية إزاء أشكال العنف ضد الأطفال».

الذي يقرأ المقال مجرداً عن قضية (مكافحة العنف) الأممية، والتي تثيرها بين الحين والآخر وكالات غربية في محاولة لتقريع مجتمعاتنا ورميها بالتقصير في معاملة المرأة ومعاملة الطفل، يفاجأ كل المفاجأة بطريقة العرض التي جاءت منساقة مع ذلك التيار الأممي مكررة مقالاته دون تمحيص، ومثال ذلك ذكره لختان الإناث وهو ممارسة قديمة جدًا في البلدان الإفريقية تعتبر نوعًا من المعالجة في رأي القائمين بها مثل الحجامة والكي.

المثال الآخر جعل البيت المكان الأول لذلك، وهو في الحقيقة من بدهيات الدراسة التي ركزت على العنف الأسري، لأن الأطفال، ولاحظوا الشريحة العمرية التي بين ١٥-١٨ والتي يصح أن نطلق عليها اسم المراهقين، مازالوا في وصاية أسرهم في الأعم الأغلب، إن الذي يعرف مجتمعاتنا الشرقية التي تعتمد الشرعية في الصلات بين الجنسين تجعل نسبة الحوادث التي يقصد فيها الإساءة للطفل كما في حالة عشيق الزوجة أو طفل الخطيئة من الأمور التي لا تبلغ نسبتها ما عند مجتمعات الغرب ذات الحرية الجنسية والتي نشأت فيها مشاكل العنف المذكورة.

ومما يؤكد أن هذه الظاهرة ليست من صميم نسيج مجتمعنا أن الدراسة ردت أسباب العنف إلى الضوضاء والتلوث وتناقضات العصر وقنوات العنف والإباحية، كل هذه الأسباب من أمراض الحضارة الوافدة.

والدليل على أن الدراسة سارت ولو بشكل لاإرادي ضمن موجة التقريع الآنفة الذكر، أنها لم تميز بين العنف الذي مرده الأساليب التربوية التي شاعت في مجتمعنا، وبين العنف الذي هو إيذاء لأجل الإيذاء أو فيما وصفته الدراسة بالانتقام، وعددت من صوره الخنق، والإلقاء من الشرفة، والضرب بآلة حادة حتى الموت، والإلقاء في الماء، او تحت القطار.

وتميز الدراسة بين العنف المتعمد وبين العنف العرضي الذي يكون خلفه مرض نفسي أو ضغوط مادية أو إدمان، وللاحظ أن المجتمع الغربي كثيراً ما يعتمد الأمور السابقة كأعذار محلة من العقوبة لمرتكبي جرائم قد تصل إلى القتل.

ما أريد قوله ألا نكتفي بالأمور الظاهرة بل نقرأ ما خلف السطور من نية الوصاية علينا، فهم يريدون إعطاء الطفل الحرية الكاملة في ممارسة كل ما يشتهي ولو كان معصية، ولا يريدون أن يكون لأهله الحق في تقريعه، بحجة أن هذا نوع من العنف النفسي أو اللفظي، ولذا فإن فلسفة الترغيب والترهيب تفقد تكاملها إذا سلمنا بهذه الثقافة.

إنهم يريدون تعميم فكرة شكوى الطفل من أهله إذا قاوموا رغباته الطائشة أو انحرافه، ومن مقترحاتهم أن يُجر الوالد أو الوالدة اللذان يتهمان بذلك إلى مخفر الشرطة، وينظم محضر بتقريعها ويتعهدان بعدم العودة تحت طائلة المحاكمة والعقوبة لدرجة سحب الطفل منهما وعزله عنهما.

هل نتصور نحن الآباء الغيورين أن غيرتنا على الولد ورغبتنا في وقايته من شر هذه الأمراض التي تقضي عليه وهو في مقتبل عمره قبل أن تصيبنا نحن يعتبر في عرفهم عنفًا وجرمًا؟

يجب أن نعترف أن الثقافة الشرقية ترى في الضرب وسيلة من الوسائل التربوية، وبالطبع فإن الشرع الإسلامي قد جعل لذلك حدودًا كأن يضرب باليد أو بالجورب، وألا يصل العدد إلى أدنى حد من الحدود الشرعية.

التوجه الأخلاقي أيضًا للشرع يحث على الرفق ويكره العنف، ولكن كل هذا يوضع في إطار حب الطفل والحرص عليه وإيثار مصلحته، الأمر الذي هو الأساس في ثقافتنا والتي بالأساس نبت من الحلال وافتراض العلاقات المشروعة بين الجنسين التي تقلل من وجود أولاد الزنا وما يحيط بهم من كره واستثقال.

ثقافتنا الشرقية ترى في العبودية لله وفي الترهيب بالعقوبة والحدود في الدنيا والعذاب في الآخرة وسائل تربوية، بينما الثقافة الغربية ترى الانعتاق من هذه العبودية وترى أن الطفل- ولو كان غير شرعي- هو للمجتمع قبل أن يكون لأبويه أو لأمه، وعلى هذا الكبير أن يرعاه كواجب اجتماعي بغض النظر عن أصله أو الإحساس بتحدره من صلبه، وهو مجبر بالمؤيدات الجزائية على القيام بذلك الواجب.

العنف المذموم هو الذي يرتكبه كبار تجاه صغار لأغراض شخصية، أو أمراض نفسية، وليس ما يقوم به أب أو أم بهدف تقويم سلوك ابنهم وارادة الفضيلة له، وإذا أخطأ السبيل بزيادة جرعة الزجر فهذا لا يمكن إزالته بالعنف المذكور سابقًا.

ما يجدر ذكره في هذا المقام أن القوات الغربية في كل من فلسطين والعراق وأفغانستان تضرب بدون شفقة كثيرًا الأطفال الأبرياء، دون أن يطرف لها جفن، وهذا لا يذكر في موضوع مكافحة العنف بل يغض الطرف عنه.

إن الآباء والأمهات ليسوا قتلة لأطفالهم كما زعمت الدراسة، بل القتلة.. هم الأعداء، والقضاء ليس هو الحل الأمثل للشؤون الأسرية على المستوى المصغر ولا أسلوب العقوبة، بل التوعية والموعظة والوقاية والإصلاح بين الأرحام وإعلاء شأن التربية المتوازنة وضرب الأمثلة بتكريم المحسنين من الآباء ومكافآتهم هو أفضل من أن نشغل القضاء الذي لم يعد يقضي بالسرعة الممكنة بين الكبار حتى نحمله عبء القضاء بين الصغار والكبار ونجعلهم خصومًا بدل أن نجعل رائدنا قوله تعالى ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾.

إن كانت هناك بعض الحقائق في تلك الدراسة وبعض الحوافز النبيلة عليها، فما هي إلا جسر يراد النزول به إلى أمثال تلك المحذورات، فلنكن منها على حذر بالغ ولا نقع فيما وقع بعضنا من إحسان النية بآراء الغربيين الذي يريدون أن يحيكوا من هذه المظاهر الإنسانية شركًا يبررون به تدخلهم في أخص أحوالنا، ومادة ضغط يرفعونها كسوط على من لم يمتثل لسياستهم الطامعة فينا.

ألا هل بلغت، اللهم فاشهد.

■ مأمون الجويجاتي

# فتاوى الوعي

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

## فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف

### دفع الكفارة لنشر الدعوة الإسلامية

**هل يجوز دفع مال كفارة الإفطار في رمضان أو غيره، أو فوائد الربا لشخص دون معرفته بحرمة الربا، وذلك لتمويل الدعوة الإسلامية؟**

يجوز دفع مال الكفارات أو الفدية عن الإفطار في رمضان أو غيره في تمويل الدعوة الإسلامية إذا كان المنتفعون من هذه الأموال من الفقراء والمسلمين، مع مراعاة إيصال مبلغ الكفارة الواحدة إلى العدد المطلوب في النصوص الشرعية، أما أموال الفوائد الربوية فإن الأولوية في صرفها هي لمن هم في حالات الاضطرار والمجاعات.

### بيع الشيك بأقل من قيمته

**تعلمون أن كثيرًا من التجار والمتعاملين في الأسهم يعطون شيكات بأجل، فيقوم آخرون بشراء هذه الشيكات بمبالغ أقل من قيمتها مقابل دفعها نقدًا، فما حكم ذلك في الإسلام؟**

هذا يعتبر من باب تمليك الدين لغير من عليه الدين، وهو غير جائز، لاسيما أنه يبيعه بأقل من قيمته فيعتبر ربا.

### الوصية لوارث

**هل تجوز الوصية للوارث بأكثر من نصيبه، كأن يوصي المتوفى بتركته كلها لزوجته وابنته فقط ويحرم بقية الورثة؟**

الوصية للزوجة والبنت بأكثر من نصيبهما لا تجوز، لأنه لا وصية لوارث.

### بيع وشراء المحار

**يوجد حاليًا سوق رسمي بالشويخ لبيع المحار في أكياس، وتقدر قيمة الكيس تقريبًا من ٦ إلى ٤٥ دينارًا كويتيًا، وقد يزن الكيس الواحد ٣ كيلوجرامات تقريبًا، ويعلم الجميع بأن المحار "نصيب"، أي قد يجد فيه المشتري اللؤلؤ وقد لا يجد، والكل يعلم ذلك.. هذا حلال أم حرام؟**

إنه مادام الوضع- كما هو الآن في الكويت- على عدم اتجاه القصد في البيع إلى المحار نفسه لعدمص الاستفادة من صدفه ولا من اللحم الذي بداخله، فإنه لا يجوز بيعه لما فيه من الغرر الفاحش، وقد "نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وبيع الغرر" كما روى مسلم، فهو من قبيل أكل المال بالباطل وشبيه بالقمار المحرم، لكن إن تغير الحال وصار صدف المحار أو ما بداخله من اللحم، أو مما يقصد للشراء لجريان الانتفاع به، فحينئذٍ يجوز بيع المحار أصالة، أما بيع اللؤلؤ الذي في المحار قبل فتحه فلا يجوز بأي حال، لأنه لا يعلم وجوده.

### الحول الميلادي

**هل يجوز إخراج الزكاة بحساب الحول على التاريخ الميلادي؟**

الزكاة تجب كل عام قمري، لأنه هو الحول المعتبر شرعًا، فإذا كانت الميزانية تعد على السنة الميلادية، فيمكن مراعاة الفرق بين العامين القمري والميلادي، وهو(١١ يوماً تقريبا)، ومن طرق مراعاة ذلك أن تحسب نسبة الزكاة ٢,٥٧٧٥ بدلا من ٢,٥ في المائة، حيث تعطى هذه الزيادة فرق الأيام بين السنتين.

### تأجير محل لتزيين النساء

**يرجى التفضل بإعلامنا عن مدى جواز تأجير أحد الفروع المستثمرة في مجمع الدكاكين التابع لجمعيتنا التعاونية لإنشاء كوافير للسيدات لخدمة أهالي منطقتنا.**

لابد من مراعاة القواعد الآتية في الأماكن التي تقدم فيها خدمات تزيين النساء:

أ- أن يمنع حضور الرجال، سواء كانوا من العاملين في هذه الأماكن أو من الرجال المرافقين للراغبات في التزين، ولو كانوا أزواجا أو محارم.

ب- التحرز من استخدام المواد النجسة في التزيين.

ج- تجنب أي زينة تحدث تشبها بالرجال.

د- تجنب النظر أو اللمس لما هو عورة من المرأة على المرأة، وهو ما بين السرة إلى الركبة.

هـ- ألا تستخدم في هذه الأماكن عاملات عرفن بترويج الفساد أو كشف أسرار المترددات للتزين، على أنه تجب ملاحظة المرأة التي تأتي للتزين، فإن كان معلوما أنها ستخرج بتلك الزينة متبرجة فإن قيام الصالون بتزيينها حرام لا يحل، لأنها إعانة لها على معصية الله تعالى، ويجوز استخدام غير المسلمات في أعمال التجميل والتزيين، على ألا تطلع من المرأة على عورتها إلا على ما تحتاج إلى كشف، حال المهنة، وهو كشف الرأس والعنق والذراعين والساقين بشرط أن تكون مأمونة، لا تصفها للرجال الأجانب، والأولى عدم استخدام غير المسلمات في مثل هذه الأعمال وغيرها، والاستغناء بالمسلمات عنهن.

وعليه فلا ترى اللجنة مانعا من تأجير أحد فروع الجمعية لهذا الأمر، إذا كان منضبطاً بالضوابط المذكورة.

## زكاة الأرض المتنازع عليها

**هل على الأرض المتنازع عليها بين ورثة أو ملاك زكاة، مع العلم بأن الأرض في حوزة القاضي، وحال عليها حول أو أكثر، وإن كان عليها زكاة فكيف يتم ذلك؟**

إن الأرض المتنازع عليها لا تجب فيها الزكاة، حتى تثبت ملكيتها، فإذا ثبتت ملكيتها لشخص ما فإنه يجب عليه أن يدفع الزكاة عنها، فيقوِّمها آخر كل عام بقيمتها السوقية، هذا إذا نوى بها التجارة، أما إذا لم ينو التجارة فليس فيها زكاة إلا أن يتصدق.

## الحلف بالطلاق

**رجل قال لصاحبه: عليَّ الطلاق أن تأكل عندي اليوم، فلم يستجب له صاحبه، ما الحكم؟**

ذلك يعتبر يمينا يكفر عنها كفارة يمين إذا لم يقصد الحالف بهذا اللفظ طلاقا علمًا بأنه لا يجوز الحلف بغير الله تعالى، لقول النبي ﷺ: «من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت» (متفق عليه).

## القاعدة الفقهية «العادة محكمة»

أصلها قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ (الأنفال: ١٩٩)، وحديث: «ما رآه المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئا، فهو عند الله سيء» والعادة لغة: من العود، وهو معاودة الشيء وتكراره، ويرادفها العرف مطلقا، وقيل: بل العرف العملي خاصة، والخلف لفظي والعادة في الاصطلاح: ما اشتهر بين الناس وتعارفوا عليه، ولم يخالف شرعا أو شرطا.

ومحكمة: من التحكيم، وهو جعل الشيء حكما، بمعنى قاعدة «العادة محكمة» دليل «العرف والعادة» عند الأصوليين قال ابن نجيم- رحمه الله: «واعلم أن اعتبار العادة والعرف يرجع إليه في مسائل كثيرة، حتى جعلوا ذلك أصلا» والحقائق كالمعاني ثلاث: شرعي، ولغوي، وعرفي.

**القواعد المتفرعة عنها**

العبرة بالعرف الغالب والمقارن، لا النادر والمتأخر.

- الحقيقة قد تترك بدلالة العادة، كلفظ هجر الناس معناه الحقيقي إلى معنى آخر عرفي.

- الإشارة المعهودة للأخرس كالبيان باللسان والمعروف عرفا كالمشروط شرطا: كالدينار إذا أطلق عينه عرف.

- البلد والتعيين بالعرف كالتعيين بالنص: كأوسط الطعام واللباس في كفارة اليمين

- لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأحوال، كاختلاف فتوى المجتهد.

انظر المنهاج في علم القواعد الفقهية د.رياض بن منصور الخليفي

## من فتاوى مجمع الفقهي الإسلامي

### رابطة العالم الإسلامي» عن إذاعة الأذان موحداً عن طريق جهاز تسجيل»

١- إن الأذان من شعائر الإسلام التعبدية الظاهرة، المعلومة من الدين بالضرورة بالنص وإجماع المسلمين، ولهذا فالأذان من العلامات الفارقة بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر، وقد حكي الاتفاق على أنه لو اتفق أهل بلد على تركه لقوتلوا.

٢- التوارث بين المسلمين، من تاريخ تشريعه في السنة الأولى من الهجرة وإلى الآن، ينقل العمل المستمر بالأذان لكل صلاة من الصلوات الخمس في كل مسجد، وإن تعددت المساجد في البلد الواحد.

٣- في حديث مالك بن الحويرث، رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا حضرت الصلاةُ فلْيُؤذِّنْ لكم أحدُكم ولْيَؤمَّكم أكبرُكم» (متفق عليه).

٤- إن النية من شروط الأذان، ولهذا لا يصح من المجنون ولا من السكران ونحوهما، لعدم وجود النية في أدائه، فكذلك في التسجيل المذكور.

٥- إن الأذان عبادة بدنية، قال ابن قدامة- رحمه الله تعالى: في المغني ٤٢٥/١: «وليس للرجل أن يبني على أذان غيره، لأنه عبادة بدنية، فلا يصح من شخصين كالصلاة».

٦- إن في توحيد الأذان للمساجد بواسطة مسجل الصوت على الوجه المذكور عدة محاذير ومخاطر منها ما يلي:

أ- أنه يرتبط بمشروعية الأذان أن لكل صلاة في كل مسجد سننًا وآدابًا، ففي الأذان عن طريق التسجيل تفويت لها وإماتة لنشرها مع فوات شرط النية فيه.

ب - أنه يفتح على المسلمين باب التلاعب بالدين، ودخول البدع على المسلمين في عباداتهم وشعائرهم، لما يفضي إليه من ترك الأذان بالكلية والاكتفاء بالتسجيل.

وبناء على ما تقدم فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي يقرر ما يلي: أن الاكتفاء بإذاعة الأذان في المساجد عند دخول وقت الصلاة بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا يجزئ ولا يجوز في أداء هذه العبادة، ولا يحصل به الأذان المشروع، وأنه يجب على المسلمين مباشرة الأذان لكل وقت من أوقات الصلوات في كل مسجد على ما توارثه المسلمون منذ عهد نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى الآن.

# ينابيع المعرفة

إعداد : محمد شفيق

## قوام الدنيا

قوام الدنيا أربعة أشياء: أولها بعلم العلماء، وثانيها بسخاء الأغنياء، وثالثها دعاء الفقراء، ورابعها عدل الأمراء، فلولا علم العلماء لهلك الجاهلون، ولولا سخاء الأغنياء لهلك الفقراء، ولولا دعاء الفقراء لهلك الأغنياء، ولولا عدل الأمراء لأكل الناس بعضهم بعضاً.

## وصايا حكيم

أوصى حكيم ولده فقال: لا تذيعن سرا هو لك، واجعل الحزم حاكما لأمرك دائما، ولا تجعلن الجفاء من أخلاقك، ولا الحمق من طبيعتك، واجعل الكرم في بيتك ركنا دائما، ولا تجعلن نظرك عن المحارم شاخصا، ولا تكن بنفسك شحيحا ولا مفرطا، وأد للناس حقوقهم، ولا تكن لهم كثيرا معاتبا.

## مناجاة

كان يحيى بن معاذ، رحمه الله، يناجي ربه قائلا: إلهي، لا يطيب الليل إلا بمناجاتك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك، ولا تطيب الدنيا إلا بذكرك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

## سيدة أبكتني

قال إسحق بن إبراهيم الموصلي، لم تبكني في حياتي مثل امرأة أعرابية حسناء كانت محتاجة، وخاطبتني ببلاغة لم أعهدها في سيدة غيرها، قالت: أيا قوم، لقد تعثر بنا الدهر، وخاننا الجانب المشرق من الحياة، وقل منا الشكر، وفارقنا الغنى إلى غير رجعة، وحالفنا الفقر، فرحم الله امرءًا فهم بعقل، وأعطى من فضل، وواسى من كفاف، وأعلن على عفاف. فلم أبارحها أنا ومن معي إلا بعد أن أقلنا عثرتها، وشاهدنا بسمة على شفتيها، وهكذا يكون الفضل لمن يستحقون الفضل.

## سعيد بن جبير والحجاج

يروي لنا التاريخ العربي أن الحجاج بن يوسف لما أمر بقتل سعيد بن جبير قال له سعيد ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾، فقال الحجاج بغضب: شدوه إلى غير القبلة، عندئذ قال سعيد: ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ فقال الحجاج: كبوه على وجهه، فقال سعيد ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم﴾. ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.

## الشجرة الملعونة

هي شجرة الزقوم، يقول المفسرون هي الشجرة الملعونة، وسميت فتنة لأن المشركين قالوا إن النار تحرق الشجرة، فكيف تنبت فيها الشجرة؟ وشجرة الزقوم يقتاتها أهل النار، لها ثمرة مرة خشنة الملمس منتنة الرائحة، وهي ملعونة ملعون أهلها وآكلوها.

## عالم وسكّير

حاور سكير عالما فقال له: هل ترى بأسا إن أكلت ثمرا؟ العالم: أبدا، السكير: وإن أكلت معه بعض العشب؟ العالم: لا يمنع من ذلك مانع، السكير: وإن شربت عليهما ماءً؟ العالم: اشرب هنيئا، السكير: مادام هذا جائزا، فلماذا تحرمون علينا الخمر؟ العالم: إن صببت عليك ماءً، هل كان يضرك؟ السكير: لا يضرني منه شيء، العالم: لو نثرت عليه ترابا، هل كان يقتلك؟ السكير: لا يقتل التراب أحدا، العالم: لو أخذت الماء والتراب وخلطتهما وجعلت من ذلك لبنة عظيمة فقذفتك بها، هل كان ذلك يضرك؟ السكير: كنت تقتلني، قال العالم: هكذا الخمر!

## البلاغة عند أهل الصناعة!

أصحاب الصناعات الدقيقة يحتفظون لأنفسهم بعبارات فخمة ضخمة تميزهم عن غيرهم، فقد اجتمع قوم من أهل البلاغات فوصفوا بلاغاتهم عن طريق صناعاتهم:

قال الجوهري: أحسن الكلام نظاما ما ثقبته يد الفكرة ونظمته الفطنة.

قال العطار: أطيب الكلام ما عجن عنبر ألفاظه بمسك معانيه، ففاح نسيم شمه، وسطعت رائحة عبقه، فتعلقت به الرواة.

وقال الحداد: خير الكلام ما نصبت عليه منفحة الروية، وأشعلت فيه نار البصيرة، ثم أخرجته من فحم الأفحام ورققته بفطيس (المطرقة) الأفهام.

## لكل لذته

سؤال واحد اختلفت وتعددت الإجابة عنه، حسب مقام الرجال وأشخاصهم وأقدارهم، والسؤال هو: ما اللذة؟ قال ملك: ظفر بعد هزيمة، وليالي سمر، وقال تاجر: ربح على السوم، ونقد في اليوم، وقال عالم: في حجة تتبختر اتضاحا، وشبهة تتضاءل افتضاحا، وقال راع: في واد عشيب، ولبن حليب، وقال عابد: في عمل يخلص، ورياء ينقص، وقلب عن الدنيا يسلو، وهمة إلى الله عز وجل تعلو، وقال كاتب: في معنى أنهيته، وكلام أنشيته، وقال غاز: في سرية مقبلة، وغنيمة مستقبلة، وقال فقير: في إزاحة العلل وقضاء الوطر.

## دعاء

اللهم اجعل قلبي ينبوعًا للمعرفة، وصوتًا للناس، وسيفًا لنصرة الحق، وملاذًا لكل مظلوم، ولجامًا لكل ظالم.

## من آراء الشعوب في المرأة

يقول العربي: إنها ريحانة النفوس، يقول الصيني: إنها ابنة التين، يقول الياباني: إنها زهرة المنزل، يقول الأميركي: إنها نصف الرجل القوي، يقول الإنجليزي: إنها أساس المنزل، يقول الفرنسي: إنها زهرة الهيئة الاجتماعية.

## الماء أم الزيت؟

قال ابن الجوزي مبينا عاقبة الصبر: صب في القنديل ماء ثم صب زيت، فصعد الزيت على سطح الماء، فقال الماء: أنا الذي سقيت شجرتك فأين الأدب؟ لم ترتفع عليّ؟ قال الزيت: لأنك بينما كنت في بطن الأرض تجري على طريق السلامة، صبرت أنا على العصر وطحن الرحاء، وبالصبر يرتفع القدر، قال الماء: إلا أني أنا الأصل، قال الزيت: استر عيبك، فإنك لو لامست شعلة المصباح لانطفأ!

## الفكاهة

الفكاهة جاء اسمها من الفاكهة، وهذا الاسم الجميل اشتقته العرب من الثمار الحلوة التي نتناولها في نهاية العام، فتعد بمثابة الحلو بعد الغداء، والفاكهة ليست حلوة المذاق فقط، بل أيضا شفاء وعلاج، وهكذا الفكاهة، فالضحك واحة الأمل لكل من وقع في براثن القلق.

## كلمات هارون الرشيد على فراش الموت

هارون الرشيد الخليفة المجاهد الذي كان يغزو عاما ويحج عاما، وكثرت في خلافته الفتوحات، عند موته استدعوا له الأطباء فيئسوا منه، فلما شعر بدنو أجله، قال يصف حاله:

**إن الطبيب بطبه ودوائه**
**لا يستطيع دفاع موت قد أتى**
**ما للطبيب يموت بالداء الذي**
**قد كان أبرأ مثله فيما مضى؟!**
**مات المداوي والمداوى والذي**
**جلب الدوا أو باعه ومن اشترى**

## أبو حنيفة النعمان

سأل هارون الرشيد أبا يوسف أن يصف أخلاق أبي حنيفة النعمان، فقال: كان والله شديد الدفاع عن حرمات الله، مجانبًا لأهل الدنيا، طويل الصمت، دائم الفكر، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا، إن سئل عن مسألة كان له فيها علم أجاب، وما علمته إلا صائنا لنفسه ودينه، مشتغلا بنفسه عن الناس، لا يذكر أحدا إلا بخير، فقال الرشيد: هذه أخلاق الصالحين.

## كلمات مضيئة

- الفضيلة في الفهم الصحيح لمعنى احترام النفس والذات.
- أكثر ما يثير قلقي أن أعرف رجلا لا يعرف القلق!
- خذ الخير من أهله، ودع الشر لأهله.
- العمل المليح لا يحتاج إلى أي مديح.
- فكر مرة قبل أن تعمل، ومرتين قبل أن تتكلم.
- من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه.
- من كثر اعتباره قل عثاره.

## حيزبون أصغر من لطلط!

لأبي منصور الثعالبي تصنيف للمراحل العمرية للمرأة يقول فيه: هي «طفلة» ما دامت صغيرة، ثم «وليدة» إذا تحركت، ثم «كاعب» إذا لعب ثدياها أي برزا، ثم «ناهد» إذا زاد ثدياها، ثم «معصر» إذا أدركت، ثم «عانس» إذا ارتفعت عن حد الإعصار، ثم «خود» إذا توسطت، ثم «مسلف» إذا جاوزت الأربعين، ثم «تصاب» إذا كانت بين الشباب والتعجيز، ثم «شهلة كهلة» إذا عجزت وفيها تماسك، ثم «حيزبون» إذا صارت عالية السن ناقصة القوة، ثم «لطلط» اذا انحنى قدها وسقطت أسنانها.

# مسك الختام

## في فقه التراث العربي الإسلامي

السيد المخزنجي

لاشك في أن معرفة تراثنا العربي الإسلامي، ودراسته وتمحيصه واستلهامه في حاضرنا والاستعانة به في إبصار مستقبل أمتنا، أمور بالغة الأهمية، إذ تفجر قضية التراث ودوره في بناء الحاضر وإبصار المستقبل عديدا من الإشكاليات البحثية من جهة، إلى جانب ما تثيره من قضايا تفرض مناقشتها وتحليلها على بساط البحث من جهة أخرى.

ويتجلى ذلك فيما يواجهنا اليوم - وربما لسنوات مقبلة - من محاولات مسخ هويتنا وتذويبنا في مستنقع «التغريب» و«الأوربة» و«الأمركة» و«العولمة»... وما إلى ذلك من الأساليب والمخططات التي ما تلبث أن تصيبنا بشيء من التيه والبلبلة، بهدف زلزلة كيان الأمة ومحقها وسحقها تحت وطأة التحريف والتزييف والتشكيك في ميراثنا القيمي والعقدي، ومن ثم اغتيال ذاتيتنا وإثناؤنا عن الفعل والإنجاز، مادمنا مستمسكين «بصلب» هذا التراث وقواعده المتينة الراسخة على مدى تاريخ أمتنا العربية والإسلامية العريق.

فللتراث دوره الفعال في تطور الحضارة - إن لم يكن هو الباعث الأول على نشأتها وتكونها - حتى إنه بلغ من شدة تلازمهما أن صارت دراسة التراث دراسة للحضارة نفسها، فكلاهما ينبثق من روح المجتمع الذي ينتسب إليه، قبل أن يقتحم ما حوله من البيئات ليسمو إلى درجة الشعور بإنسانيته التي تجعل من الزمن أحد عناصره ومكوناته، ومن ثم يكون موقفنا من التراث هو موقف تأمل ونظر، موقف اعتبار وعدل يعطى به كل شيء قسطه من الحق والإنصاف والتقدير.

من المفاهيم القاصرة والمغلوطة في النظر إلى التراث، محاولة البعض حصره في نطاق ضيق محدود يتمثل في المخطوطات في علوم العربية والإسلام وتحقيقها، فدراسة التراث انطلاقا من الواقع تستهدف أساسا تحقيق وعي سليم متجدد بالواقع ذاته، وتعميق مستمر لهذا الوعي.

ولعل من المطالب الملحة على النطاق العربي والإسلامي (في مقام تأكيد اهتمامنا بالتراث في حاضرنا وواقعنا المعاصر) أن نقوم بحملة جادة ومخلصة تهتم بجمع المخطوطات من مختلف الفنون والعلوم، والعمل على حمايتها وصيانتها من التلف أو الضياع وإمداد الباحثين بها حتى يتم تحقيقها والتعليق عليها وشرحها، فنتمكن بذلك من تقويم «وفرز» ما تبقى لنا من كنوز في ميدان العلم والفكر على السواء، «فتراثنا هو الذي يجب أن تكون له الأولوية في اهتمامنا بحمايته والتنقيب عن كنوزه، لأننا منه نشأنا وإليه نعود، وهو من مقومات ذاتيتنا، ومن ثم لابد من المحافظة عليه، لأن في ذلك تأكيدا لهويتنا وشخصيتنا الحضارية، العربية والإسلامية».

ولكن النظرة الحقة، والموقف العدل، يكمنان في ضرورة الإبقاء منه على ما يقبل التطور والاستمرار والتجديد والتوظيف (فيما يعرف بتوظيف التراث والجمع بين الأصالة والمعاصرة) باعتبار أن ذلك هو الطابع العام للتراث، لما يقوم به من دور إيجابي في نسج أو تشكيل الملامح الرئيسية المميزة لشخصية الأمة التي أنتجته، وما يبثه - في ذات الوقت - من روح جدلية مع الواقع ومثمرة وبناءة.

ولعل مطالبتنا بالنظر الى معطيات التراث كمنظومة واحدة، ونبذ الموقف الإقصائي لدى البعض في التعامل مع التراث، تدعونا الى بيان «منهجية النظر في التعامل مع التراث».

ولذا يمكننا القول إن إمكانات تجاوز الأمة لواقعها في الفكر العربي المعاصر، تعتمد، الى حد كبير، على قدرتنا اليوم على استعادة تلك الفاعلية المفتقدة لهذا الفكر الذي تكمن وظيفته الأساسية - من حيث تعامله مع التراث - في الترشيد والتصويب، وليس كما هو الشائع في التسويغ والتبرير أو الندب على هذا التراث!

فإذا أردنا لتراثنا العربي الإسلامي أن يؤدي دورا فعالا، ويكون طاقة إبداعية خلاقة ومحفزة في حاضرنا ومستقبل أمتنا المأمول فلابد أن نعي أولا القيمة الحقيقية للتيارات الفكرية والمذاهب والفرق والفلسفات التي تكوِّن في مجموعها صفحات هذا التراث.

فعلى الباحث في التراث أن يكون - إضافة الى تحرره الذهني - على قدر من الإدراك لدواعي تحيزه الحضاري، فلا موضع لدعوى الموضوعية الكاذبة أو الموهومة اذا ما افترض ذلك تجرده العلمي، فالباحث في التراث هو بالضرورة صاحب موقف.

وعليه فإن التحيز الحضاري المطلوب في باحث التراث هو شرط للاستشراف العلمي، وهو الذي يمهد لدقة الرصد ويشحذ قريحة التفاعل والتتبع في وسط المجهول الذي ليس بالغريب، والذي يحفز الخيال المبدع على تجاوز التلقي وسبر الغور، وقراءة ما بين السطور ووضع النقاط على الحروف عند تحرير المعاني واستخلاص الدلالات من الألفاظ، وعلى الجملة فإن التحيز الحضاري هو كذلك مناط الاستشراف العلمي في حقل البحوث الحضارية، وهو الذي يثري عمليات التفكيك واعادة التركيب التي لا غنى عنها عند التعامل مع النص - أي نص- وبوجه خاص عندما يكون التعامل مع نصوص التراث.

# إصـــدارات صـــوتيـــة على
# أقراص CD

ألوان من الحياة الجزء الأول والثاني

أناشيد همسات الجزء الأول والثاني

**جعلت إدارة الإعلام الديني لكل أفراد الأسرة**
**نصيباً من الإعلام القيمي الهادف ، تسعدنا**
**زيارتك للحصول على نسخة من هذه**
**الإصدارات الصوتية**

أعزائي الصغار الجزء الأول والثاني

أبناء الغد الجزء الأول والثاني

## إصدارات مرئية على أشرطة فيديو

نفسك

المشروع القيمي لتعزيز العبادات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الإعلام الديني

تفضلوا بزيارتنا.. للفوز بجوائزنا

www.nafaess.com
info@nafaess.com
مجمع الوزارات - بلوك 16 - الدور الأول - تلفون : 8 / 22487327 - فاكس : 22487326

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

# جديد مشروع « روافد »

## إشكالية تأصيل الرؤية الإسلامية في النقد والإبداع

(د. عمر أحمد بوقرورة)

## ملامح الرؤية الوسطية في المنهج الفقهي

(د. أبو أمامة نور الشلي)

## أضواء على الرواية الإسلامية المعاصرة

(د. حلمي محمد القاعود)


ص. ب : 13 الصفاة ، رمز بريدي : 13001 دولة الكويت

هاتف 22487106 ( 00965 ) - فاكس : 22468134 ( 00965 )

البريد الإلكتروني rawafed@islam.gov.kw